

البرهان

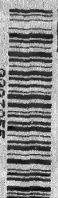
في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزكشي

تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم

المكتبة العصرية  
صيدا - بيروت

0003955



Bibliotheca Alexandrina









البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزكشي

تحت إشراف  
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

منشورات المكتبة العصرية  
طيدا - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### القسم الحادى عشر

#### المتنى وإرادة الواحد (٥)

كقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالترَّجَانُ﴾<sup>(١)</sup> ؛ وإنما يخرج من أحدهما .  
ونظيره قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَمًا كُلُّوا وَلَكِنْ لَكُمْ طَرِيقًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾<sup>(٢)</sup> ، وإنما تخرج الحلية من « اللبغ »<sup>(٣)</sup> ، وقد غلط في هذا اللغى أبو ذؤيب الهذلى حيث ، قال يذكر الدرة :

فجاء بها ما شئت من لعلية يدومُ الفرات فوقها ويموج<sup>(٤)</sup>

والفرات لا يدوم فوقها ؛ وإنما يدوم الأجاج .

وقال أبو عليّ في قوله تعالى : ﴿فَلْيَرْجُلِ مِنَ الْفَرَّتَيْنِ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> : إن ظاهر اللفظ يقتضى أن يكون من مكة والطائف جميعاً ؛ ولما لم يمكن أن يكون منهما ، دلّ اللغى على تقدير : « رجل من إحدى القرينتين » .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي يِنَّ نُورًا﴾<sup>(٦)</sup> أى في إحدهما .

---

\* تابع أقسام التوكيد ؛ وهو الأسلوب الأول من أساليب الفرقان ، التدرج تحت النوع السادس والأربعين ؛ وأوله في الجزء الثانى من ٢٨٢

(٢) سورة طاهر ١٢

(١) سورة الرحمن ٢٢

(٣) وهو المذكور في أول الآية من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ...﴾

(٤) ديوان المهذليين ١ : ٥٧ . والعلية : الدرة المنسوبة إلى العلوية ؛ وهى السوق التى يتباع فيها المطريات . ويدوم الفرات ؛ من دام الماء بمعنى سكن وركد . وروى بعضهم : « تدوم البحار » مكان « الفرات » ؛ وهذه يلم البيت من التقيد . وانظر ديوان المهذليين وحواشيه .

(٦) سورة نوح ١٦

(٥) سورة الزخرف ٣١

وقوله تعالى: ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>، والناسى كان يوشع، بدليل قوله لموسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ ولكن أضيف النسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه .  
وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> والتعجيل يكون في اليوم الثاني ، وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، قيل: إنه من هذا أيضا ، وإن موضع الإثم والتعجيل يحمل للتأخر الذي لم يقصر مثل ما جعل للمقصر .  
ويحتمل أن يراد: لا يقولن أحدهما لصاحبه: أنت مقصر؛ فيكون المعنى: لا يؤثم أحدهما صاحبه .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْتِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وقوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى أحدهما ، على أحد القولين .  
وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفْقِهَا حَدُّودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾<sup>(٦)</sup> فالجناح على الزوج لأنه أخذ ما أعطى؛ قال أبو بكر الصيرفي: للمعنى: فإن خيف من ذلك جازت الفدية ، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة .  
وقوله تعالى: ﴿الْفِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾<sup>(٧)</sup> ، قيل هو خطاب لذلك . وقال المبرد: مثناه على « ألقى » ، والمعنى: ألقى ألقى<sup>(٨)</sup> ، وكذلك القول في « قفا »<sup>(٩)</sup> وخالفه أبو إسحاق ،  
وقل: بل هو مخاطبة للملكين .

- 
- |  |                      |
|--|----------------------|
| (١) سورة الكهف ٦١ ، ٦٢   | (٢) سورة البقرة ٢٠٣  |
| (٣) سورة النساء ١١   | (٤) سورة الأعراف ١٩٠ |
| (٥) سورة البقرة ٢٢٩  | (٦) سورة ق ٢٤        |
| (٧) قتله صاحب الكشاف: ١ : ٣٠٧ ، والبيارة فيه: « إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل؛<br>لا تماديا كأنه قيل: ألقى ، ألقى » .   |                      |
| (٨) يشهد على ما نقله صاحب الكشاف أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان ؛ فكثر على<br>المتهم أن يقولوا: خليلٌ وصاحبٌ ، وففا وأسمدا ؛ حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين . |                      |

وقال القراء في قوله تعالى : ﴿ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ <sup>(١)</sup> قال : يخاطب الإنسان مخاطبه بالتثنية .

وجعل منه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> فقيل : جنة واحدة بدليل قوله تعالى <sup>(٤)</sup> آخر الآية : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ <sup>(٥)</sup> فأفرد بمذمته .

وقوله : ﴿ كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ <sup>(٦)</sup> فإنه مائى هنا إلا للإشعار بأن لها وجهين ، وأنت إذا نظرت عن يمينك ويسارك رأيت في كلتا الناحيتين مائلاً صينك قرعة ، وصدرك مسرة .

وقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٧)</sup> وإنما للتخذ إلهاً عيسى دون مريم ؛ فهو من باب « والنجوم الطوالع » <sup>(٨)</sup> قاله أبو الحسن ، وحكاها عنه ابن جني في كتاب « القد » وعليه حمل ابن جني وغيره قول امرئ القيس :

• قَفَا نَبْكَ مِنْ ذُكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ • <sup>(٩)</sup>

(١) سورة الرحمن ١٣

(٢) سورة الرحمن ٤٦

(٣) سورة الكهف ٣٢ ؛ والآية : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ... ﴾

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل صواب البارة : « بعد هذه الآية » .

(٥) سورة الكهف ٣٥

(٦) سورة الكهف ٣٣

(٧) سورة المائدة ١١٦

(٨) إشارة إلى بيت الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِغُ

ديوانه ١٩ ، و « لنا قراها » يريد الشمس والقمر ، وانظر جني الجنتين ١٢٧

(٩) ديوانه ٨ وبقيته :

• بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ •

ويؤيده قوله بعده :

\* أَصَاحَ تَرَى يَرْقَا أَرْبَكَ وَمِصْصَهُ \*<sup>(١)</sup>

وقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ سَأَلَ الْمِرْبَدَانِ كَلَامَهَا  
وإنما هو مرشد البصرة فقط .

وقوله : « ودار لها بالرقنتين »<sup>(٢)</sup>

وقوله : « ببطن المكتين »<sup>(٣)</sup> .

وقول جرير :

لَا مَهْرَ بِالذَّيْرَيْنِ أَرْقَى صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعُ النَّوَاقِيسِ<sup>(٤)</sup>

قالوا : أراد « دير الوليد »<sup>(٥)</sup> ؛ فنهاه باعتبار ما حوِّله .

### القسم الثاني عشر

#### إطلاق الجمع وإرادة الواحد

كقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الْعَالَمِيَّاتِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، إلى قوله : ﴿ فَذَرَهُمْ

(١) ديوانه ٢٤ وبقيته :

\* كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ \*

(٢) ديوانه ٨٦١ ؛ وروايته : « عجاجة موت » . (٣) من قول زهير :

وَدَارِ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِيرٍ مِفْصَمٍ

ديوانه . . والرقنتان : روضتان بناية الصمان ؛ وهو هنا من اللتى الحقيقي ؛ فلا يكون موضعا للشاهد .

(٤) أورد المرتضى منه قول الشاعر :

فَقَوْلَا لِأَهْلِ اللَّكْتَيْنِ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخْلِ

(٥) ديوانه ٣١١

الأعلى ٢ : ١٨٤

(٦) سورة « المؤمنون » ٥١

(٦) دير الوليد ؛ بالشام ، قاله ياقوت .

في غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ<sup>(١)</sup> ، قال أبو بكر الصديق : فهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ؛ إذ لا نبي معه ولا بعده .

ومثله : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، وهذا بما لا شريك فيه ، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لما كانت تصاريف أقضية سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه نزلت أضالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع .

وجعل منه ابن فارس قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، والرسول كان واحدا ، بدليل قوله تعالى : ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup> . وفيه نظر ؛ من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم ، فإن المادة جارية - لاسيما من الملوك - ألا يرسلوا واحدا .

ومنه : ﴿ قَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَظْتُكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> وغير ذلك ؛ وقد تقدم في وجوه المخاطبات<sup>(٦)</sup> .

ومنه : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، والمراد جبريل . وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(٨)</sup> ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ ﴾<sup>(٩)</sup> ؛ والمراد بهم ابن مسعود الثقفي<sup>(١٠)</sup> ؛ وإنما

(٢) سورة الزخرف ٣٢

(١) سورة المؤمنون ٥٤

(٤) سورة النمل ٣٧

(٣) سورة النمل ٣٥

(٦) الجزء الثاني ص ٢١٧ وما بعدها

(٥) سورة الشعراء ٢١

(٨) سورة النساء ٥٤

(٧) سورة النحل ٢

(٩) سورة آل عمران ١٧٣

(١٠) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد : يا محمد ، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله ؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران ؛ فألقى الله الرعب في قلبه ؛ فبدا له أن يرجع ، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي - وقد قدم معسرا - فقال : يا نعيم ؛ إني واعدت محمدا أن تلقى بموسم بدر ، وإن هذا عام جذب ، ولا يصلحنا =

جاز إطلاق لفظ « الناس » على الواحد؛ لأنه إذا قال الواحد قولاً له أتباع يقولون مثل قوله، حسن إضافة ذلك الفعل إلى الكل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَسَّيْتُمْ أَنْفُسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾<sup>(٢)</sup> والقائل ذلك رءوسهم. وقيل: المراد بالناس ركب من عبد القيس<sup>(٣)</sup> دسّمهم أبوسفیان إلى المسلمين وضّمن لهم عليه جملاً، قاله ابن عباس وابن إسحاق وغيرهما<sup>(٤)</sup>

### القسم الثالث عشر

#### إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾<sup>(٥)</sup> فإنه وإن كان لفظه لفظ التثنية فهو جمع، والمعنى « كرات » لأن البصر لا يعسر إلا بالجمع. وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾<sup>(٦)</sup>

### القسم الرابع عشر

#### التكرار على وجه التأكيد

وهو مصدر كرر إذا ردّد وأعاد؛ هو « تَقَمَّلَ » بفتح التاء؛ وليس بقياس؛ بخلاف التفصيل.

---

== إلا عام نزعى فيه الشجر ونسرب فيه اللبن، وقد بدا لي، ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة، فالحق بالمدينة ويطلبهم ولك عندي عشر من الإبل. فخرج لهم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرى، أنتم في دياركم وقراركم فلم يقلت منكم أحد إلا شريداً؛ فتريدون أن تخرجوا وقد جئوا لكم عند اللوس؛ فوالة لا يقلت منكم أحد». - الكشف ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠

(١) سورة البقرة ٧٧

(٢) قيل: مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس؛ يريدون المدينة للميرة؛ فيجل لهم حمل يسير من زبيب إن يطلوهم؛ فسكره المسلمون الخروج؛ فقال صلى الله عليه وسلم: « وأتى قضى بيده لأخريه ولو لم يخرج معي أحد؛ فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: حبينا الله ونعم الوكيل ». - الكشف ١ : ٣٤٠

(٣) سورة الملك ٤

(٤) تفسير الطبري ٧ : ٤٠٩

(٥) سورة البقرة ٢٢٩



وقال الكوفيون : هو مصدر « فَعَلَ » والألف عوض من الياء في التثنية .

والأول مذهب سيبويه .

وقد غلط مَنْ أنكر كونه من أساليب الفصاحة، فلما أنه لا فائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تعلق بمضه ييمض ؛ وذلك أن عادة العرب في خطابها إذا بهت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه ، كررت توكيدا ، وكانت تقيم تكراره مقام القسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث قصدت الدعاء ؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم ، وكانت مخاطباته جارئة فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا المسلك تستحكم الملحمة عليهم في مجزئهم عن المارضة . وعلى ذلك يحتفل ماورد من تكرار المواعظ والوعيد والوعيد ، لأن الإنسان مجبول من الطباع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشهوات ، ولا يقع ذلك إلا بتكرار المواعظ والقوارع ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَمُرُّنَا النَّارُ أَنْ لَدَّ كُرُ ﴾ <sup>(١)</sup> قال في « الكشف » <sup>(٢)</sup> : أي سهلناه للادكار والالتماظ بأن نسجناه <sup>(٣)</sup> بالمواعظ الشافية وصرنا فيه من الوعد والوعيد .

حسب تارة يكون التكرار مرتين ؛ كقوله : ﴿ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ . ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْبَاقِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(١) سورة القمر ١٧

(٢) الكشف : « شجناه » .

(٣) سورة القيامة ٣٤ ، ٣٥

(٤) سورة التبا ٤ ، ٥

(٥) الكشف ٤ : ٣٤٦

(٦) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٧) سورة النكاثر ٦ ، ٧

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وقوله : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفائدته العظمى<sup>(٣)</sup> التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرّر تقرر .

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرّر الأفاضيل والأخبار في القرآن<sup>(٤)</sup> قال :  
﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقال : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذِرُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾<sup>(٦)</sup> .

(وحيثقته إعادة اللفظ أو مراده لتقرير معنى ؛ خشية تناسي الأول ، لطول العهد به .  
فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فاعبدوا ما شئتم مِنْ كُرْوَيْهِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

فأعاد قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾<sup>(٨)</sup> بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ، لا لتقرير الأول ؛ بل لتعرض آخر ؛ لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالمعبادة لله والإخلاص له فيها ، ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالمعبادة والإخلاص . ولذلك قدّم<sup>(٩)</sup> للمقول على فعل العبادة في الثاني ،

(١) سورة التوبة ٦٩

(١) سورة آل عمران ٧٨

(٤) ت : « فيه » .

(٣) ١ : « ومن الفوائد العظمى التقرير » .

(٦) سورة طه ١١٣

(٥) سورة القصص ٥١

(٨) ت : « تخدم » .

(٧) سورة الزمر ١١ - ١٥

وأخر في الأول ؛ لأن الكلام أولا في الفعل ؛ وثانيا فيمن قيل لأجله الفعل .  
واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل ، أما إذا وافق  
الأصل فلا ؛ ولهذا لا يتجه سؤالهم : لم كرر « إياك » في قوله : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ف قيل : إنما كررت للتأكيد ، كما تقول : « بين زيد وبين عمرو مال » .  
وقيل : إنما كررت لارتفاع أن يقوم - إذا حذفت - أن مفعول « نستعين » ضمير  
متصل واقع بعد الفعل ، ففتوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود ، بتقديم المفعول على عامله .  
والتحقيق أن السؤال غير متجه ؛ لأن هنا عاملين متفايرين ، كلٌ منهما يقتضى  
معمولا ، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله ، والحذف  
خلاف الأصل ، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكرهما الأصل ذكره ، ولا حاجة إلى تكلف  
الجواب عنه ، وقس بذلك نظائره .

### [ فوائد التكرير ]

وله فوائد :

أحدها التأكيد ؛ واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد ، لأنه وقع في تكرار  
التأسيس ؛ وهو أبلغ من التأكيد ، فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم الصجوز ،  
فلهذا قال الزحشرى في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ  
تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> : إن الثانية تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال : وفي  
﴿ ثُمَّ ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول .

وكذا قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ فَنَقِيلُ كَيْفَ قَدَرٌ . ثُمَّ فَنَقِيلُ كَيْفَ قَدَرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، يحتمل أن يكون منه ، وأن يكون من التامنين .

والحاصل أنه : هل هو إنذار تأكيد <sup>(٣)</sup> ، أو إنذاران ؟ فإن قلت : « سوف تعلم ، ثم سوف تعلم » كان أجود منه بغير عطف ؛ لتجريحه على غالب احتمال التأكيد ، ولعدم احتماله لتعدد الخبر به .

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح « انطلاصة » <sup>(٤)</sup> أن الجملة التأكيدية قد توصل بإحاطة ، ولم يختص بهم ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ؛ وليس كذلك ؛ فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِإِنْدِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فإن للأمور فيها واحد ، كما قاله النحاس والغزالي والإمام نضر الدين والشيخ عز الدين ، ورجعوا ذلك على احتمال أن تكون « التقوى » الأولى مصروفة لشيء غير « التقوى » الثانية ، مع شأن إرادته .

وقولهم : إنه تأكيد ، فرادهم تأكيد للأمور به بتكرير الإنشاء ، لا أنه تأكيد لفظي ، ولو كان تأكيذا لفظيا لما فصل بالمطف ، ولما فصل بينه وبين غيره : ﴿ وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسُ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

فإن قلت : « اتقوا » الثانية معطوفة على « ولتنظر » .

(١) سورة الانطار ١٧ ، ١٨

(٢) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٣) ت : « مؤكدا » .

(٤) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك النوف سنة ٦٨٠ : شرح الألفية المعروفة بالملخصة في النحو ؛ وهو شرح منقح اشتهر بشرح ابن المصنف ؛ خطأ والده و بعض المواضع . كشف الفنون ١٥١

(٥) سورة الحجر ١٨

أجيب بأنهم قد اتفقوا على أن : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup> ، مطوف على ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، لا على قوله : ﴿ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِحْسَانًا ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ وهو نظير ما نحن فيه .

وقوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ ابْنِ اللَّهَ أَصْلَقْنَاكِ وَطَهَّرْنَاكِ وَأَصْلَقْنَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ويحتمل أن يكون « اصطفاءين » و « ذكرين » ، وهو الأقرب في الذكر ، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر .

وكقوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، كرر « أولئك » .

وكذلك قوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> . وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ بِالَّذِي . . . ﴾<sup>(٩)</sup> إلى قوله : ﴿ مِنْ الْمُصْلِحِينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> ، كررت « أن » في أربع مواضع تأكيداً . وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١١)</sup> .

\*\*\*

(الثاني) : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، ومنه قوله

- |                     |                        |
|---------------------|------------------------|
| (١) سورة البقرة ٨٣  | (٢) سورة آل عمران ٤٢   |
| (٣) سورة البقرة ١٩٨ | (٤) سورة طه ٣٣ ، ٣٤    |
| (٥) سورة الرعد ٥    | (٦) سورة البقرة ٥      |
| (٧) سورة القصص ١٩   | (٨) سورة الزمر ١١ ، ١٢ |

تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

\*\*\*

( الثالث : إذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانيا نظرية له ، وتجديداً لمعناه ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّعْرَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ <sup>(٢)</sup> وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفَوْرٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ... ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية .  
وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ <sup>(٥)</sup> ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا <sup>(٦)</sup> ﴾ فهذا تكرار للأول ، ألا ترى أن لا لا تنجى بالقائه !

ومثله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ <sup>(٧)</sup> ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ <sup>(٨)</sup> ﴾ .  
وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ <sup>(٩)</sup> ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُّوا <sup>(١٠)</sup> ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ <sup>(١١)</sup>

وقوله : ﴿ أَتَعْبُدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ <sup>(١٢)</sup>  
فقوله : ﴿ أَنْكُمْ ﴾ الثاني بناء على الأول ، إذ كاد أن به خشية تناسيه .  
وقوله : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ <sup>(١٣)</sup> .

(٢) سورة النحل ١١٩

(٤) سورة البقرة ٨٩

(٦) سورة البقرة ٢٥٣

(٨) سورة المؤمنون ٣٠

(١) سورة المؤمن ٣٨ ، ٣٩

(٣) سورة النحل ١١٠

(٥) سورة آل عمران ١٨٨

(٧) سورة يوسف ٥

(٩) سورة الروم ٧



الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا<sup>(١)</sup>؛ هو متعلق بقوله : ﴿فَيُظْلَمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرمات الأخر التي عدت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالمصوم والخصوص؛ فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كل واحد، ثم ذكر العام المنطوي عليها؛ فهذا تعميم بعد تخصيص. ثم ذكرت جزئيات آخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية؛ وهو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿بَنِيءٍ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٦)</sup> هو المقتضى الأول للتعظيم، وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾<sup>(٧)</sup> هو المقتضى الثاني وهو البناء، لأنه للذكر بالمقتضى الأول الذي هو «لولا» خشية تناسيه، فهو مبنى على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله : ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾<sup>(٨)</sup> وروداً واحداً من حيث أخذها مما كأنهما مقتضى منفرد، من حيث هما واحد بالنوع؛ وهو الشرط للماضي. وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾<sup>(٩)</sup> بناء على قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ﴾<sup>(١٠)</sup> نظر في المضارعة. وأما قوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١١)</sup> فيجوز أن يكون تكريراً، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله : ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بياناً لجمل لا تكريراً.

وقد جعل ابن المنير<sup>(١٢)</sup> من هذا القسم قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ﴾<sup>(١٣)</sup> ثم قال : ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾<sup>(١٤)</sup>.

(٢) سورة الفتح ٢٥

(١) سورة النساء ١٦٠

(٣) سورة النحل ١١٩

(٤) هو الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري؛ صاحب كتاب الاتصاف بين فيه ما تضمنه كتب الكشاف من الاعتزال؛ وناش في أغارب وأحسن إليها الجدل؛ توفي سنة ٦٨٣. كشف

(٥) سورة النحل ١٠٦

الظنون ١٤٧٧



وقوله : ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...﴾<sup>(١)</sup> ثم قال : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾<sup>(٢)</sup> ونازعه العراق<sup>(٣)</sup> لأن اللاد فيها أخص من الأول ؛ وهذا يحىء في كثير مما ذكرنا ، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخص منه كما بينا .

\*\*\*

الرابع : في مقام التظيم والتهويل ؛ كقوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾<sup>(٥)</sup> . ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾<sup>(٦)</sup> .  
وقوله : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾<sup>(٧)</sup> .  
وفوله : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾<sup>(٨)</sup> .  
وقوله : ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾<sup>(٩)</sup> .

\*\*\*

الخامس : في مقام الوعيد والتهديد ، كقوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> وذكر «ثم» في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول ، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير ، بل هو مستمر دائما .

\*\*\*

(١) سورة الفتح ٢٥

(٢) هو الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي ، صاحب كتاب الإتيان ، جمعه حكما بين الكتابين .  
والإتيان ، توفي سنة ٧٠٤ . كشف الظنون ١٤٧٧

(٤) سورة الحاقة ١

(٣) سورة الحاقة ٢٤١

(٦) سورة الواقعة ٢٧

(٥) سورة القدر ١

(٩) سورة المدثر ٣١

(٧) سورة الواقعة ٨

(٨) سورة النكاثر ٦

( ٢ - برهان - ثالث )

(السادس) : التمجيد ، كقوله تعالى : (فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرْتَ . ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْتَ) <sup>(١)</sup> ،  
فأعبد تعجباً من تقديره وإصابته النرض ، على حدّ : قاتله الله ما أشجبه !

\*\*\*

(السابع) : لتعدد المتعلق ، كما في قوله تعالى : (فَبَيَّأَ آلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) <sup>(٢)</sup> ،  
فلانها وإن تعددت ؛ فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين  
من الإنس والجن ، وعدّد عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكلما ذكر فضلاً من فصول النعم  
طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى .

فإن قيل : فإذا كان للمنى في تكريرها عدّ النعم واقتضاء الشكر عليها ، فما معنى  
قوله : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَلْتَمِصَانِ) <sup>(٣)</sup> ؟ وأى نعمة هنا ؟  
وإنما هو وعيد .

قيل : إن نعم الله فيما أنذر به وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها ،  
فظهر أنعمه على ما وعده ، وبشر من ثوابه على طاعته ؛ ليرغبوا فيها ، ويحرموا غلبتها ؛ وإنما  
تتحقق معرفة الشيء بأن تمتبره بضده . والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما ، فإنهما  
مقاربان في موضع النعم بالتوقيت على ممالك الأمر منها ، وعليه قول بعض حكماء الشعراء :  
والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نسيمها  
وإنما ذكرنا هذا ، لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ، ولو كان عائدًا لشيء واحد  
لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيّد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فإن قيل : فإذا كان المراد بكلّ ما قبله ، فليس ذلك بإطناب ، بل هي ألفاظ أريد بها  
غير ما أريد بالآخر .

(٢) سورة الرحمن ١٣ وما بعدها

(١) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٣) سورة الرحمن ٣٥

قلت : إن قلنا : العبرة بعموم اللفظ ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر .  
وقد تكلف لتوجيه المدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة ، قال الكِرْمَانِي :  
جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيفاً وثلاثين مرة ، لأن ست عشرة راجعة  
إلى الجنان ؛ لأن لها ثمانية أبواب ، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنعم ، فأعظم النعم  
جهنم ، ولها سبعة أبواب . وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب ، وسبعة عقب كل نعمة  
ذكرها للتقنين .

وقال غيره : نبه في سبع منها على ما خلقه الله للمباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة  
أمهات النعم ، وأفرد سبعة منها للتخويف ، وإنذاراً على عدة أبواب الخوف منه ، وفُصِّلَ  
بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلم في كتبهم عليهم من الفناء ،  
حيث انصت بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فكانت خمس عشرة ، أتبع  
بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها ، ثم بثمانية آخر في وصف الجنة  
من دون الأولين لذلك أيضاً فاستكملت إحدى وثلاثين .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، في سورة الرسائل  
عشر مرات ، لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه  
قال عقب كل قصة : ويل للكاذبين بهذه القصة ! وكل قصة مخالفة لصاحبها ،  
فأثبت الويل لمن كذب بها .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنه بمشر أمثالها ، وجعل للكفار في مقابلة كل مثل  
من الثواب ويل .

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .

وَلَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ<sup>(١)</sup> في ثمانية مواضع ؛ لأجل الوعظ ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة .

وأما قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام ، والعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها .

وأما مناسبة قوله : ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه تعالى نفي الإيمان عن الأكثر ؛ فدلّ بالمفهوم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن ، والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبتان كقرب الفريقين . ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى : ﴿كَذَلِكُمْ كَلَّمْنَا نَارًا كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ...﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، لأنّ عليهم يقع أولا وثانيا على نوعين مختلفين بحسب المقام ؛ وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه ؛ فإن الماملات الإلهية للطائع والعاصي متغيرة الأنواع الديوية البرزخية ، ثم الحشرية ، كما أن أحوال الاستقرار بمد الجميع في النهاية ؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة ، وفي « ثم » دلالة على الترقى ، إن لم يحمل الزمان مرتبا في الإنذار على التكرار ، وفي اللندّر به على التنويع .

ومنه تكرار : ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾<sup>(٣)</sup> ، قال الزمخشري<sup>(٤)</sup> : كرّر ليجدوا عند سماع كل نبيل منها انماظا وتنبها ، وأن كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار مختص به ، وأن يتنبهوا كيلا يفلت بهم السرور والنفلة .

ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ...﴾<sup>(٥)</sup> إلى آخرها

(١) سورة الشعراء ٨ ، ٩ (٩) سورة التكاثر ٦ ، ٧ (٣) سورة القمر ٣٩ (٤) الكشاف ٤ : ٣٤٩ ؛ والبارة فيه : « فأنذته أن يجدوا عند استماع كل نبأ من آباء الأولين اذكارا وانماظا ، وأن يستأفوا تنبها واستيقاظا ؛ إذا سمعوا المثل على ذلك والبست ، وأن يفرح لهم الصامرات ويقنع لهم الشن غارات ؛ لكلا يفتلهم السهو ، ولا تتولى عليهم النفلة ... »  
(٥) سورة الكافرون ١ ، ٢

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : إني أجد في القرآن تكراراً وذكر له ذلك ، فأجابه الحسن بما حاصله : إن الكفار قالوا : نعبد إليك شهراً ونعبد ألهتنا شهراً ، فجاء النفي متوجهاً إلى ذلك . وللقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء ، بل هي بالحذف والاختصار أليق ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ أي لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل ، وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، أي ولا أنا عابد في الحال ما عبدتم في المستقبل ، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ ، في الحال ما أعبد في المستقبل .

والحاصل أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة : الحال ، والماضي ، والمستقبل ؛ وللمذكور في الآية النفي في الحال والمستقبل ، وحذف للماضي من جهة ومن جهتهم ؛ ولا بد من نفيه ، لكنه حُذِفَ للدلالة الأولين عليه .

وفيه تقدير آخر ؛ وهو أن الجملة الأولى فعلية ، والثانية اسمية ، وقولك : « لا أضله » و « لا أنا فاعله » أحسن من قولك : « لا أضله » ، « ولا أضله » ؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه ، والاسمية نفي لاتصافه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وللعنى أنه تبرأ من فعله ومن الاتصاف به ، وهو أبلغ في النفي ؛ وأما للشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ في الموضعين .

وفرق آخر ، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، وقال في النفي عنهم : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ عائد في حقه بين الجملتين ، وقال : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالضارع ، وفي الثاني : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ بالماضي ، فإن الضارع يدل على الدوام بخلاف الماضي ، فأفاد ذلك أن ما عبدتموه ولو مرة ما أنا عابد له البتة ، فيه كمال

برأته ودوامها تما عبود ولو مرة ؛ بخلاف قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، فإن النقيض من جنس الإثبات ، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومتفردا .  
ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة<sup>(١)</sup> ، لأن التكرير لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس : اليهود ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم . وأهل النفاق أشد إنكاراً له ، لأنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قريش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قِبَلتنا ، وكانوا قبل ذلك يمتحنون عليه فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ؛ وقد فارق قِبَلتهما وآثر عليها قِبلة اليهود ؛ وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿ إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> والاستثناء منقطع ، أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون . وقال سبحانه : ﴿ اخْلُقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> أى الذين أشركوا فلا تنغر في ذلك ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ أَخْلُقَ وَمُمْ يَمْلِكُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى يكتمون ما عليهم أن الكعبة هى قِبلة الأنبياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ \* وَأَبْصِرْ وَمَنْ فَوَسَوْا يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وقال صاحب « الينبوع »<sup>(٦)</sup> : لم يلبث عن التفسيرين فيه شيء .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ آية ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١٤٧

(٣) سورة البقرة ١٥٠

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الصافات ١٧٤ ، ١٧٥ ، وكرر هاتين الآيتين قوله تعالى بعد ذلك في السورة ١٧٩ ، ١٧٨ : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ \* وَأَبْصِرْ وَمَنْ فَوَسَوْا يُبْصِرُونَ ﴾ .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر اللكنى الملقب القنقلى سنة ١٠٦٠ هـ . صاحب كتاب ينبوع الحياة في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ منه أجزاء متفرقة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، برقم ٣١٠ تصوير .

وقال المفسرون في غريب القرآن : هما في المعنى كالآيتين المتقدمتين ، فكذلك لنا تأكيد وتشديد الوعيد .

ويمحتمل أن يكون « الحيف » في الأوليين <sup>(١)</sup> يوم بدر ، و « الحين » في هاتين <sup>(٢)</sup> يوم فتح مكة .

ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين : ﴿ وَأَنْبِئُهُمْ ﴾ وفي هاتين : ﴿ فَأَنْبِئُهُ ﴾ أن الأولى بنزول المذاب بهم يوم بدر قتلا وأسرا وهزيمة ورعبا ، فما تضمنت التثنية بهم قيل له : ﴿ أَنْبِئُهُمْ ﴾ ، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم فلم يكن وقتا للتثنية بهم ، بل كان في استسلامهم ، وإسلامهم لميعة قرّة ، ولقلبه مسرة ، فقيل له : ﴿ أَنْبِئُهُ ﴾ .

ويمحتمل على هذا - إن شاء الله - أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذه : ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي يبصرون منك عليهم بالأمان ، ومثنا عليهم بالإيمان .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِيلٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْيَوْنَ لَهُنَّ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
وللتكرار [ هنا ] فائدتان :

إحداها : أن التحريم قد يكون في الطرفين ؛ ولكن يكون المانع من إحداها ؛ كما لو ارتدت الزوجة قبل الدخول ؛ يحرم النكاح من الطرفين ؛ والمانع من جيهما ، فذكر الله سبحانه الثانية ؛ ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك للمانع منهما .

والثانية : أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي ؛ ولهذا أتى فيها بالاسم الدال على الثبوت ؛ والثانية في المستقبل ، ولهذا أتى فيها بالفعل للمستقبل .

(٢) آيتا ١٧٨ ، ١٧٩

(١) آيتا ١٧٤ ، ١٧٥

(٣) سورة المتعنة ١٠

\*\*\*

ومنه تكرار الإضراب .

واعلم أن « بل » إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب .  
وهو إما أن يقع في كلام الخلق ؛ ومعناه إبطال ما سبق على طريق النفاذ من التكلم ؛  
أو أن الثاني أولى .

وإما أن يقع في كلام الله تعالى ، وهو ضربان :  
أحدهما : أن يكون ما فيها من الرد راجعا إلى العباد ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضَلُّوا  
أَحْلَامَهُمْ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

والثاني : أن يكون لإبطال ؛ ولكنه على أنه قد انقضى وقته ﴿ وَأَنْ الَّذِي بَعْدَهُ  
أُولَىٰ بِالذِّكْرِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ أَذَارُكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ  
ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِي ﴾<sup>(٢)</sup> .

وزعم ابن مالك في شرح « السكافية » أن « بل » حيث وقعت في القرآن النيران فإنها  
للاستئناف لنقض آخر لا لإبطال الأول ؛ وهو مردود بما سبق ، وقوله : ﴿ وَقَالُوا  
أَتَعَذَّبُ الرَّسُولُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فأضرب بها عن قولهم ،  
وأبطل كذبهم .

وقوله : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور  
وترك الأزواج .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾<sup>(٥)</sup> ،

(٢) سورة س ٨

(٤) سورة الشعراء ١٦٦

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الطلاق ٢



فالأول للمطلقين والثاني للشهود ؛ نحو : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَدَلْنِ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَمْتَصِلُوهُنَّ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ أو لها للأزواج ، وآخرها للأولياء .

ومنه تكرار الأمثال ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظُّلُّ وَلَا الظُّلُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكذلك ضَرْبٌ مثل المناهقين أول البقرة<sup>(٣)</sup> ثناء الله تعالى .

قال الزخشرى : « والثاني أبلغ<sup>(٤)</sup> من الأول لأنه أدل على قَوْطِ الحيرة ؛ وشدة الأمر وفظاعته » ، قال : « ولذلك أُخِّرَ ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ » .

ومنه تكرار القصص في القرآن ؛ كقصص إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء ، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه ، قال ابن العربي<sup>(٥)</sup> في « القوام » : ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية ، وقصة موسى في سبعين آية . انتهى .

وإنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر وهي أمور :

(١) سورة البقرة ٢٣٢

(٢) سورة طه ١٩ - ٢٢

(٣) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابعة عشرة من سورة البقرة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَصَابَتْ مَحْوَالَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . مع قوله في الآية التاسعة عشر : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْمَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ... ﴾

(٤) هو الإمام أبو بكر بن العربي صاحب

(٥) الكشف ١ : ٦١

كتاب القوام من القوام .

أحدهما : أنه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئا ، ألا ترى أنه ذكر الحية<sup>(١)</sup> في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعبانا ، فقائدته أن ليس كل حية ثعبانا<sup>(٢)</sup> ، وهذه عادة البناء ، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ؛ وكان أكثر من آمن به مهاجريا ؛ فلو لا تكرار القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشترائك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة القوم ، وزيادة [ تأكيد وتبصرة ]<sup>(٣)</sup> ، لآخرين وهم الحاضرون ، وعبر عن هذا ابن الجوزي وغيره .

الثالثة : تسليته لقلب النبي صلى الله عليه وسلم بما اتفق للأنبيا مثله مع أهمهم<sup>(٤)</sup> قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

الرابعة : أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا ينفق ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تنوفر على قلبها كتوفرها على نيل الأحكام ، فلها كررت القصص دون الأحكام .

(١) في قوله تعالى في سورة طه ٢٠ : ﴿ قَالَتْهَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْمَى ﴾ .

(٢) من قوله تعالى في سورة الأعراف ١٠٧ : ﴿ قَالَتْ عَصَاهُ إِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقوله في سورة الشعراء ٣٧ : ﴿ قَالَتْ عَصَاهُ إِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

(٤) ت « اسمهم » ، صوابه من م .

(٣) تسكئة من م .

(٥) سورة هود ١٢٠

السادسة : أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثل آية ، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في مجزم ؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، بأى عبارة عبروا ، قال ابن فارس <sup>(١)</sup> : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سَخِرَ العرب بالقرآن قال : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال في موضع آخر : ﴿ قَاتُوا بِمِثْرِ سَوْرٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربى بما قال الله تعالى : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ ، « إيتونا أتم بسورة من مثله » ، فأنزلها سبحانه في تمداد السور ، دَفْعًا لِحُجَّتِهِمْ من كل وجه .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ؛ كقصة موسى مع فرعون - وإن ظُنَّ أنها لا تباير الأخرى - قد يُوجد في ألقاظها زيادة وهسان وتقديم وتأخير ، وتلك حال للمالى الواقعة بحسب تلك الألقاظ ؛ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ؛ فكأن الله تعالى فرق ذكر مدار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات <sup>(٤)</sup> التكرار لتوجد متفرقة فيها ؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب للتقدمة ؛ من افراد كل قصة منها بموضع ؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة ، فاجتمعت في هذه الخاصية ؛ من نظم القرآن عدة معانٍ مجيبة :

منها : أن التكرار <sup>(٥)</sup> فيها مع سائر الألقاظ لم يُوقع في اللفظ هجئة ، ولا أحدث مَثَلًا ، فباين بذلك كلام المخلوقين .

ومنها : أنه ألبسها زيادة وهسانا وتهدينا وتأخيرا ؛ ليخرج بذلك الكلام أن

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٤) م : « منارات » .

(١) فقه اللغة ١٧٨

(٣) سورة هود ١٣

(٥) م : « منها » .

تكون ألقاظه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئاً معداداً ؛ فترّاه من ذلك بهذه التغييرات . ومنها : أن الماتى التى اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة فى تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التغيير - ميلا إلى سماعها ، لما جُبلت عليه النفوس من حبّ التنقل فى الأشياء المتجددة التى لكل منها حصّة من الالتذاذ به مستأنفة .

ومنها : ظهور الأمر المعجيب فى إخراج صور متباينة فى النظم بمعنى واحد ؛ وقد كان للمشركون فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر فى تكرير هذه القصص والأنباء مع تباير أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فمرّتهم الله سبحانه أن الأمر بما يعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾<sup>(١)</sup> . وكقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

\*\*\*

وقال القفال<sup>(٣)</sup> فى تفسيره : ذكر الله فى أفايصص بنى إسرائيل وجوها من المقاصد : أحدها : الدلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلّم ؛ وذلك لا يمكن إلا بالوحى .

الثانى : تمديد النعم على بنى إسرائيل ، وما من الله على أسلافهم من الكرامة والفضل ؛ كالنجاة من آل فرعون ، وفرّق البحر لهم ، وما أنزل عليه فى التيه من المنّ والسوى ، وتفجّر الحبر ، وتظليل النمام .

(٢) سورة أنعام ٢٧

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٣) هو محمد بن أحمد بن الحسين الشافى القفال ؛ رئيس المالكية فى عصره . تولى سنة ٥٠٧ .

(ابن خلكان) : ٤٦٤

الثالث : لإخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم ونعمتهم على الأنبياء ، فكأنه تعالى يقول : إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به ، وأنقذهم من العذاب بسببه ؛ فتغير بدفع ما يامله به أخلافهم محمدًا صلى الله عليه وسلم .

الرابع : تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب بهم ؛ كما نزل بأسلافهم .

\*\*\*

وهنا سؤالان :

أحدهما : ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام ، وسوقها مساقًا واحدًا في موضع واحد ، دون غيرها من القصص ؟ .

والجواب من وجوه :

الأول : فيها من تشبيب النسوة به ، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جهالا ، وأرفعهم مثالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك . وقد صحح الحاكم في مستدركه حديثا مرفوعا : النهي عن تعليم النساء سورة يوسف .

الثاني : أنها اختصت بمحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن ما لها إلى الوبال ، كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ؛ وغيرهم ، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص : بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لظرونها عن سمات القصص .

الثالث : قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقًا واحدًا ، إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم :

إن كان من تلقاء نفسه تصديره على الفصاحة ، فاضافوا في قصة يوسف ما فلت في قصص سائر الأنبياء .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط ، وموسى ، في سورة الأعراف وهود والشعراء ، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم ، وإسماعيل ، وذكرها في سورة الأنبياء ، ومريم ، والمنكبوت ، والصفات .

والسر في ذلك أن تلك السور الأول ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم ، ونجاء الرسل وأتباعهم ، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم ؛ بل كان المقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم ؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء ؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء ؛ وبدأ بقصة إبراهيم ، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد ، وإبراهيم أكرمهم على الله ، وهو خير البرية ، وهو أب أكثرهم ، وليس هو أب نوح ووط ؛ لكن لوط من أتباعه ، وأيوب من ذريته ، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَرَبِّي دَاوُدَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وأما سورة المنكبوت ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين ، ونصرهم ، وحاجتهم إلى الجهاد ؛ وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر ، وعاقبة من كذب الرسل ؛ فذكر قصة إبراهيم ؛ لأنها من النمط الأول .

وكذلك في سورة الصفات قال فيها : ﴿ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة ؛ إما بكونهم غلبوا وذلوا ؛ وإما بكونهم أهلكوا ؛ ولهذا ذكر قصة إيلاس دون غيرها ، ولم يذكر إهلاك قومه ، بل قال : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الأنعام ٨٤

(٢) سورة الصفات ٧١ ، ٧٣

(٣) سورة الصفات ١٢٧

وقد رَوَى أن الله رفع إلياس ؛ وهذا يقتضى عذابهم في الآخرة ؛ فإن إلياس لم يَمُتْ بينهم ، وإلياس للعروف بعد موسى من بنى إسرائيل ، وبعد موسى لم يهلك للكافرين بمذاب الاستئصال ؛ وبعد نوح لم يهلك جميع النوع ، وقد بث الله في كل أمة نذيراً ، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا ، كما ذكر ذلك عن غيرهم ؛ بل ذكر أنهم ألقوه في النار ، فجعلها برداً وسلاماً ، وفي هذا ظهور برهانه وآياته ؛ حيث أذلّهم ونصره ؛ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْتَلِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> وهذا من جنس المجاهد [ الذى يمرض عدوه ، والتقصص الأول من جنس المجاهد الذى ] <sup>(٢)</sup> قتل عدوه ، وإبراهيم بعد هذا لم يَمُتْ بينهم بل هاجر وتركهم ، وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا ، ولم يوجد فى حق إبراهيم سبب الهلاك ؛ وهو إقامة فيه ، وانتظار المذاب النازل ؛ وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ، لم يَمُتْ فيه ، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك ؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل ؛ فإنهم إذا علوا حصل المقصود ، وقد يتوب منهم من تاب ، كما جرى لقوم يونس ؛ فهذا - والله أعلم - هو السرّ فى أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء ؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم .

فإن قيل : فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك ؟

فالجواب : أمّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل ؛ فلم يسع في هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعْمُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنَبْلَنَكُمْ عَلَى أَلْسِنٍ . وَلَنَكُونَنَّكُمْ مِنَ الْآزِلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم فوقبوا ؛ وقوم إبراهيم وإن أوصّوه إلى المذاب ؛ لكن جعله الله عليه برداً وسلاماً ،

(٢) تكملة من ت .

(١) سورة الصافات ٩٨

(٣) سورة إبراهيم ١٣ ، ١٤

ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به المذاب ؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام ؛ وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة ؛ كما في المقوبات الشرعية ، فمن أرادوا عداوة [أحد] من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعصمه الله ، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه ؛ ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره ؛ فهو أشبه إبراهيم عليه السلام ؛ إذ عصمه الله من كيدهم ، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجلاً ، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن محمداً سيد الجميع ، وهو خليل الله ، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله ، والخليلان هما أفضل الجميع ، وفي طريقتهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما ، ولم يذكّر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير الشرك ، وكذلك عن قوم نوح ، وأما عاد فذكر عنهم التجبّر ، وعمارّة الدنيا ، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء ، وأهل مدين الظلم في الأموال مع الشرك ، وقوم لوط استحلل الفاحشة ، ولم يذكر أنهم أقرؤا بالتوحيد ، بخلاف سائر الأمم ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين ، وإنما كان دينهم استحلل الفاحشة ونوابغ ذلك ، وكانت عقوبتهم أشدّ .

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم ؛ ولما لم يكن في قوم نوح خير يرجى غرق الجميع . والله المستعان .

\*\*\*

فتأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته ، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم ، كقوله تعالى : ﴿ أَهَارَ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَهَارَ مِنْ كَبْنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَهَارَ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَهَارَ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ <sup>(١)</sup> ، فأعاد ذكر « الأهار » مع كل صنف ؛ وكان يكفي أن يقال فيها : « أهار من ماء ، ومن لبن ، ومن خمر ، ومن



عمل « ؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة ؛ وفيما عدا<sup>(١)</sup> الماء مجازاً لتشبيهه ؛  
فما اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز .  
فإن قلت : فماذا أفرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة ؟ قيل : لو فصل  
ذلك لجمع بين محامل من الجواز مختلفة في صيغة واحدة ، وهو قريب في النسخ من  
الذي قبله .

## فائدة

[ في صنيعهم عند استئصال تكرار اللفظ ]

قد يستعملون تكرار اللفظ فيمدلون لعناه كقوله تعالى : ﴿ فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ  
أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فإنه لما أعيد اللفظ غير « فعل » إلى « أفعل » فلما ثبت ترك اللفظ  
أحلاً ، قال : « رويدا » .

عنه وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم قال : ﴿ إِمْرًا ﴾<sup>(٤)</sup> .  
قال الكسائي : معناه شيئاً منكراً كثيراً الدهاء من جهة الإنكار ؛ من قولهم :  
أمر القوم إذا كثروا .  
قال الفارسي : وأنا أستحسن قوله هذا .

وقوله تعالى : ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال الفارسي : ﴿ وِرَاءَكُمْ ﴾ في موضع فعل الأمر  
أي تأخروا ؛ واللفظ أرجعوا تأخروا ؛ فهو تأكيدي وليس ظرفاً ؛ لأن الظروف لا يؤكد بها .  
وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة ؛ كقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ

(١) سورة الطارق ١٧

(٤) سورة الحديد ١٣

(١) ت : « وما »

(٢) سورة الكهف ٧٤ ، ٧٥

أَلِيمٌ<sup>(١)</sup> ، والقصد للباقية ، أى عذاب مضاعف / بالمطف كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله: ﴿ فَأَعْقُوا وَاصْفَحُوا ﴾<sup>(٣)</sup> .

### القسم الخامس عشر

#### الزيادة فى بنية الكلمة

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر على منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعانى ؛ فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة المعانى ضرورة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَآخِذْ نَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فهو أبلغ من « قادر » لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة ؛ لا يُردّ شئ عن اقتضاء قدرته ؛ ويسى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى .

وكقوله تعالى: ﴿ وَاصْطَلِمْ ﴾ فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من « اصبر » .  
وقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾<sup>(٥)</sup> لأنه لما كانت السبقة فضيلة وفيها تكلف زيد فى لفظ فعلها .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَلِحُونَ فِيهَا ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ فإنه أبلغ من « يتصارخون » .  
وقوله تعالى: ﴿ فَكَبَّكَبُوا فِيهَا ﴾<sup>(٧)</sup> ولم يقل « وكبوا » قال الزحشرى<sup>(٨)</sup> : والكببة تكرير الكب ، جُمِلَ التكرير فى اللفظ دليلاً على التكرير فى المعنى ، كأنه إذا ألقى

(٢) سورة يوسف ٨٦

(٤) سورة القدر ٤٢

(٦) سورة فاطر ٣٧

(٨) الكشاف ٣ : ٢٠٣

(١) سورة سبأ ٥

(٣) سورة البقرة ١٠٩

(٥) سورة البقرة ٢٨٦

(٧) سورة الشعراء ٩٤

في جهنم [ يَنْكَبَ ]<sup>(١)</sup> كبة مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها ، اللهم أجرا منها خير مستجارا

وقريب من هذا قول الخليل في قول العرب : صَرَ الْجُنْدُب ، وصرصر البازي ، كأنهم توهوا في صوت الجندب استطالة ، قالوا : صرّ صريرا ، فدوا وتوهوا في صوت البازي قطعيا ، قالوا : « صرصر » .

ومنه الزيادة بالتشديد أيضا ؛ فإن « ستارا » و « غفارا » أبلغ من « ساتر » و « غافر » ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ ومن هذا رجع بعضهم معنى « الرحمن » على معنى « الرحيم » لما فيه من زيادة البناء ، وهو الألف والنون ، وقد سبق في السادس .

ويقرب منه التضعيف - ويقال الكثير - وهو أن يؤتى بالصيغة دالة على وقوع الفعل مرة بعد مرة . وشرطه أن يكون في الأفعال للتمدية قبل التضعيف ؛ وإنما جعله متمديا لتضعيفه ؛ ولهذا ردّ على الزحشرى في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ حيث جعل ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ؛ هنا للتضعيف .

وقد جاء التضعيف دالا على الكثرة في اللازم قليلا ، نحو مَوْتٌ لَمَّا .

وجاء حيث لا يمكن فيه الكثير ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

فإن قلت : ﴿ فَأَمْتَمُهُ قَلِيلًا ﴾<sup>(٦)</sup> مشكل على هذه القاعدة ، لأنه إذا كان « قتل » للتكثير ، فكيف جاء « قليلا » نعتا لمصدر « متعم » وهذا وصف كثير قليل ، وإنه ممنوع .

(١) تكة من الكشاف

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة الإسراء ٩٥

(٤) سورة نوح ١٠

(٥) سورة الرعد ٧

(٦) سورة البقرة ١٢٦

قلت : وصف بالقلة من حيث صيرورته إلى نفاذ وقص وفناء .  
 واعلم أن زيادة اللحن في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعي غير موضوعة لمعنى ؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة ؛ قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْلِيمًا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ لا يدل على كثرة صدور الكلام منه ؛ لأنه غير منقول عن ثلاثي . وكذا قوله : ﴿ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ نَزِيلًا ﴾ <sup>(٢)</sup> يدل على كثرة القراءة على هيئة التاني والتدبر .  
 وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ليس النفي للمبالغة ؛ بل نفي أصل الفعل .

### القسم السادس عشر

#### التفسير

وقوله العرب في مواضع التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى : قرأت في تفسير الجنيدى أن قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، تفسير للقيوم .  
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> فإن هذا تفسير للوعد .

(٢) سورة المزمل ٣

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة المائدة ٩٥ .

(١) سورة النساء ١٦٤

(٣) سورة يس ٦٩

(٥) سورة الطارق ١٩ ، ٢١

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾<sup>(١)</sup>  
تفسير للوعد وتبيين له ، لا مفعول ثان ؛ فلم يصد الفعل منها إلا إلى واحد .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>  
« خلقه » تفسير للمثل .

وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْمَذَابِ يَذَّبُحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، « يَذَّبُحُونَ » وما  
بداه تفسير للسؤال ، وهو في القرآن كثير .

قال أبو الفتح بن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها  
لأن تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له ، وجاري مجرى بعض أجزائه ؛ كالصلة من للوصول ،  
والصفة من للوصول .

وقد يحىء لبيان العلة والسبب ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ  
مَا يُبْخَرُونَ وَمَا يُصَلِّتُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ وليس هذا من قولهم ، وإلا لما حزن الرسول ؛ وإنما  
يحىء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله : ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آيَةَ اللَّهِ لَجِيءًا﴾<sup>(٥)</sup> .

ولو جاءت الآيات على حدة ما جاء قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
لِلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> ، لكانت « أن » مفتوحة ، لكنها جاءت  
على حد قوله . . . (٧)

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٢) سورة يس ٧٦

(٣) سورة الواقعة ٩

(١) سورة التور ٥٥

(٢) سورة البقرة ٤٩

(٣) سورة يونس ٦٥

(٤) (٧) كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصلين ت ، م

## فائدة

قيل : الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب . وقيل : يكون لها موضع إذا كان للفسر موضع ؛ ويقرب منها ذكره تفصيلا ، كما سبق في قوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِثْرِ قَمَمَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ <sup>(١)</sup> .  
ومثل : ﴿ فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### القسم السابع عشر

#### خروج اللفظ مخرج الغالب

كقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فإن الحِجْر ليس بقيد عند العلماء ؛ لكن فائدة التقييد تأكيد الحكم في هذه الصورة مع ثبوته عند عدما ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ولم يقل : « ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ ولم يكن في حُجُوركم » فدل على أن الحِجْر خرج مخرج العادة .

واعترض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع فالحلّ يثبت بانتفاء المجموع ، والمجموع ينقضي بانتفاء جزئه ، كما ينقضي بانتفاء كل فرد من المجموع .

وأجيب بأنه إذا نُقِيَ أحدُ شطري الملة كان جزء الملة ثابتا ؛ فيعمل عليها .

فإن قيل : لما قال : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، قال في الآية بعدها :

(٢) سورة البقرة ٩٦

(١) سورة الأعراف ١٤٢

(٣) سورة النساء ٢٣

﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(١)</sup> عُلِمَ من مجموع ذلك أن الريبة لا تحرم إذا لم يدخل بانها ؛ فإثباته قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَاحُجَّاحَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ؟

قيل : فإثباته ألا يجوز أن قيد الدخول خرج مخرج النال لا يخرج الشرط ؛ كافي الحبر القهوم إذا خرج مخرج النال ، فلا قيد فيه عند الجمهور ، خلافا لإمام الحرمين والشيخ عز الدين بن عبد السلام والمراق ، حيث قالوا : إنه ينبغي أن يكون حجة بلا خلاف إذا لم تلب ؛ لأن الصفة إذا كانت غالبية دلّت المادة عليها ؛ فاستغنى للتكلم بالمادة من ذكرها ، فلما ذكرها مع استثنائه عنها دلّ ذلك على أنه لم يرد الإخبار بوقوعها للحقيقة ؛ بل ليقرب عليها نقي الحكم من السكوت ؛ أما إذا لم تكن غالبية أمكن أن يقال : إنما ذكرها ليرف السامع أن هذه الصفة تعرض لهذه الحقيقة .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> ، وجوزوا أن الرهن لا يختص بالسفر ، لكن ذكر لأن قد الكاتب يكون فيه غالبا ، فلما كان السفر مظنة لإعواز الكاتب والشاهد للوثوق بهما ، أمر على سبيل الإرشاد بحفظ مال المسافرين بأخذ الوثيقة الأخرى ؛ وهي الرهن .

وقوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ، والقصر جائز مع أمن السفر ، لأن ذلك خرج مخرج النال لا الشرط ، وغالب أسفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو .

ومنه من جعل الخوف هنا شرطا إن حل القصر على ترك الركوع والسجود والنزول

(٢) سورة النساء ٢٣

(٤) سورة البقرة ٢٨٣

(١) سورة النساء ٢٤

(٣) الإسراء ١١

(٥) سورة النساء ١٠١

عن الدابة والاستقبال ونحوه ؛ لافي عدد الركعات ، لكن ذلك شدة خوف لا خوف ،  
وسبب النزول لا يساعده .

وكقوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

### القسم التاسع عشر

#### القسم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر ، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ وَآلَهُ  
يَشْهَدُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> قسماً وإن كان فيه إخبار ، إلا أنه لما جاء توكيداً  
للخبر مسمى قسماً .

ولا يكون إلا باسم معظم ، كقوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَجْعَلَ لِي سُلُوكًا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّكَ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه والباقي كله أقسم بمخلوقاته .

(١) سورة النور ٣٣

(٢) سورة القاريات ٢٣

(٣) سورة التناوين ٧

(٤) سورة الحجر ٩٢

(٥) سورة الماعز ٤٠

(٦) سورة النور ٣٣

(٧) سورة القاريات ٢٣

(٨) سورة التناوين ٧

(٩) سورة الحجر ٩٢

(١٠) سورة الماعز ٤٠



كنوه : ﴿وَالْتَيْنِ وَالْآيَتُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَوْ تَمْشُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولما يحسن في مقام الإنكار .

فإن قيل : ما معنى القسم منه سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمنين ، فللمؤمن يصدق مجرد الإخبار ؛ وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد .

فلجواب : قال الأستاذ أبو القاسم التشريي : إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل بينين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم ، فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لم حجة .

وقوله : ﴿لَعَنَكَ إِنَّهُمْ . إِنِّي سَكْرَتِيهِمْ يَمْمَهُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾<sup>(٥)</sup> صاح وقال : من الذي أغضب الجليل حتى أُلجأ إلى اليمين ؟ قالها ثلاثا ، ثم مات .

\*\*\*

فإن قيل : كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهي علينا ألا قسم بمخلوق ؟

قيل : فيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه حذف مضاف ، أي « ورب الفجر » و « رب التين » ، وكذلك الباقي .

والثاني : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها ؛ فنزل القرآن على ما يرفعون .

(٢) سورة الواقعة ٩٥

(٤) سورة الحجر ٧٢

(١) سورة التين ٩

(٣) سورة التكاوير ١٥ ، ١٦

(٥) سورة القاريات ٢٢ ، ٢٣ .

والثالث : أن الأقسام إنما تجب بأن يُقسم الرجل بما يظلمه ، أو بمن يجله ؛ وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه ؛ فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدلّ على باريّ وصانع ؛ واستحسنه ابن خالويه .

وقسمه بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لَعْمَرُكَ ﴾ ليمرّف الناس عظمته عند الله ، ومكانته لديه ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في « كنز اليواقيت » : والقسم بالشيء لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة أو لمنفعة ؛ فالفضيلة كقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وأقسم سبحانه بثلاثة أشياء : أحدها : بذاته ، كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

والثاني : بفعله ، نحو : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

والثالث : مفعوله ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ﴿ وَالطُّورِ وَكَتَابِ مَسْطُورٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

\*\*\*

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمّر : فالظاهر كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ونحوه .

(٢) سورة الذاريات ٢٣  
(٤) سورة الشمس ٥ ، ٦  
(٦) سورة الطور ١

(١) سورة التين ٢ ، ٣  
(٣) سورة الحجر ٩٢  
(٥) سورة النجم ١  
(٧) سورة الذاريات ٢٣

والضمير على قسمين : قسم دلّ عليه لام القسم ، كقوله : ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقسم دلّ عليه النى ، كقوله تعالى : ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾<sup>(٢)</sup> تقديره « والله » .

وقد أقسم تعالى بطوائف للملائكة في أول سورة الصافات<sup>(٣)</sup> ، والمرسلات<sup>(٤)</sup> ، والنازعات<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

### فوائد

الأولى : أكثر الأقسام المحذوفة الفصل في القرآن ؛ لا تكون إلا بالواو ، فلذا ذكرت الباء أنى بالفصل ؛ كقوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِأَنَّهُ جَهْدُ آيْمَانِهِمْ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿يَخْلِفُونَ بِأَنَّهُ﴾<sup>(٧)</sup> . ولا تحيى الباء والفعل محذوف إلا قليلا ؛ وعليه تحمل بعضهم قوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

(٢) سورة مريم ٧١

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالَّتَالِيَاتِ ذِكْرًا﴾

قال الزعفرى في الكشف ٤ : ٢٥ : أقسم الله سبحانه بطوائف للملائكة أو بنفوسهم الصافات أقسامها في الصلاة .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا . فَالْمُصِيفَاتِ عَصْفًا . وَالنَّافِرَاتِ تَشْرًا .

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا . فَالْمُتَقِيَاتِ ذِكْرًا . عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا إِنَّا نُوْعِدُونَ لَوَاقِعُ﴾ قال الزعفرى في الكشف ٤ : ٤١ : « أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فصنن في مضيهن كما تصف الرياح ؛ تخففا في امتثال أمره »

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّاجِدَاتِ سَجْدًا .

فَالسَّائِحَاتِ سَيْحًا . فَالْمَذْبُوحَاتِ آمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ قال الزعفرى في الكشف ٤ : ٥٥٣ : « أقسم سبحانه بطوائف للملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد ؛ وبالعواطف التي تنشطها ، أي تخرجها . . . وبالعواطف التي تسبح في مضيها ، أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به ، فتدبر أمرا من أمور المباد بما يصلحهم في دينهم أو دنياهم » .

(٧) سورة التوبة ٦٢

(٦) سورة النحل ٣٨

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ<sup>(١)</sup> وقال : الباء باء القسم ؛ وليست متعلقة بـ « تُشْرِكْ » ، وكأنه يقول : ( يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ ) ثم ابتداءً فقال : ( بِاللَّهِ ) لا تُشْرِكْ ؛ وحذف « لا تُشْرِكْ » دلالة الكلام عليه : وكذلك قوله : ( ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ<sup>(٢)</sup> ) ؛ قيل : إن قوله : « بما عهد » قسم ؛ والأولى أن يقال : إنه سؤال لا قسم .

وقوله : ( مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ<sup>(٣)</sup> ) فصف على ( لِي ) وابتدئ ( بحق ) فجعله قسماً .

هذا مع قول النحويين : إن الواو فرع الباء ؛ لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال ويقطع الأصل .

\*\*\*

الثانية : قد علمت أن القسم إنما جرى به لتوكيد القسم عليه ؛ فتارة يزيدون فيه للبالغة في التوكيد ، وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالحنوف .

فما زادوه لفظ « إِي » بمعنى « نعم » ، كقوله تعالى : ( قُلْ إِي وَرَّيْ<sup>(٤)</sup> ) .

وما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكوراً ، كقوله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> أَى « والله » .

وقوله : ( لَا تَقْلَمَنَّ أَيْدِيَكُمْ<sup>(٦)</sup> ) ، ( لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ<sup>(٧)</sup> ) ، ( لَيْسَجَنَ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ<sup>(٨)</sup> ) .

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسم للعلم به ، كقوله تعالى : ( صَ . وَالْقُرْآنِ

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة يونس ٥٣

(٦) سورة الشعراء ٤٩

(٨) سورة يوسف ٣٢

(١) سورة قيان ١٣

(٣) سورة المائدة ١١٦

(٥) سورة الأحزاب ٧١

(٧) سورة الطل ١٥

ذِي الذِّكْرِ<sup>(١)</sup> على أحد الأقوال ؛ أن الجواب حُذِفَ لطول الكلام ؛ وتقديره « لأعذبهم على كفرهم » .

وقيل : الجواب : إن ذلك لحق .

وبما حذف فيه القسم به قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى نحلف إنك لرسول الله ؛ لأن الشهادة بمعنى اليمين ، بدليل قوله : ﴿ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالأول قسم بمنزلة ، « والحق » وجوابه « لأملأن » ، وقوله : ﴿ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾<sup>(٥)</sup> توكيد لقسم .

وأما قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ثم قال : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾<sup>(٧)</sup> قالوا : وهو جواب القسم ، وأصله « لقد قتل » ثم حذف اللام وقد .

\*\*\*

الثالثة : قال الفارسي في الحجة : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلا يجاب بجوابه ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾<sup>(٩)</sup> ، ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾<sup>(١٠)</sup> ؛ فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالًا خلوه من الجواب .

والثاني : ما يتعلق بجواب القسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(٢) سورة التائين ١

(٤) سورة ص ٨٤

(٦) سورة البروج ١٤١

(٨) سورة البقرة ٦٣

(١) سورة ص ١٤٢

(٣) سورة التائين ٢٠

(٥) سورة ص ٨٤

(٧) سورة الحديد ٨

(٩) سورة المجادلة ١٨

الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَهُ<sup>(١)</sup> ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

الرابعة : القسم والشرط ، يدخل كل منهما على الآخر ؛ فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم ؛ وأغنى عن جواب الشرط ؛ وإن عكس فبالعكس ؛ وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له .

ومن تقدم القسم قوله تعالى : ﴿ لَنْ لَمْ نَنْتَهَ لَأَنْ جَنَّكَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، تقديره « والله لن لم تنته » ، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى للوطئة للقسم ؛ ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم متظر ؛ أى الشرط لا يصلح أن يكون جواباً ؛ لأن الجواب لا يكون إلا خبراً .

وليس دخولها على الشرط بواجب ، بدليل حذفها في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

والذى يدل على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ؛ وأنه ليس بمجزوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ مِّنْ أَوْفِيْتُمْ إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ فاللام في « ولئن » هي للوطئة للقسم ، واللام في ﴿ لَأَلَى اللَّهِ ﴾ هي لام القسم ؛ ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والجرور . والأصل « لئن تم أو قهلم لتحشرون إلى الله » فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه .

(٢) سورة النحل ٣٨

(٤) سورة المائدة ٧٣

(٦) سورة آل عمران ١٠٨

(١) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة مريم ٤٦

(٥) سورة الإسراء ٨٨

### الضم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة الاستعيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة

كقول العرب : لا أكلك حتى يبيض القار ، وحتى يشيب التراب ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَلْدُ فِي سَمِّ الْغِلَاطِ﴾<sup>(١)</sup> ، يعني والجل لا يلبح في السم ، فهو لا يدخلون ، فهو في المعنى متعلق بالخال ، فالعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً ، وليس للغاية هنا مفهوم ، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء ببيئته ، لأنه جعل ولوج الجبل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة مفتاحاً .

وغالى بعض الشعراء في وصف جسمه بالنحول ، فجاء بما يزيد على الآية ، فقال : وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْىِ وَصَابِيَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار المبالغة ، وإلا فعارضات القرآن لا تجوز ، كما سبق التنبيه عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا آبَاءَكُمْ مِمَّنْ نَبَأَ مِنَ النَّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٢)</sup> فإن المعنى : إن كان ماسلف في الزمن السالف يمكن رجوعه فله ثابت ، لكن لا يمكن رجوعه أبداً ، ولا يثبت حله أبداً ، وهو أبلغ في النهى المجرد .  
ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ قَاتْنَا أَوَّلَ الْيَوْمِ﴾<sup>(٣)</sup> ، أى ولكن ليس له ولد ، فلا أعبد سواه .

(١) سورة الأعراف ٤٠

(٢) سورة النساء ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٨١

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَنَوتًا إِلَّا سَلَامًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى إن كان تسليم بعضهم على بعض ، أو تسليم الملائكة عليهم لنوا ، فلا يسمعون لنوا إلا ذلك ؛ فهو من باب قوله وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُبُوحَهُمْ بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قُرَاجِ الْكِتَابِ<sup>(٢)</sup> ومنه قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن الناس اسقشكوا وجه الاستثناء ، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً . ومقتضى استثنائها من النفي أنهم يذوقونها في الجنة وليس كذلك .

ووجهه الزمخشري<sup>(٤)</sup> بأنه من التوكيد في الدلالة ، والموتة الأولى لا يذوقونها أصلاً ؛ إذ يستحيل عود ما وقع ؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلاً ، أى إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى ، وإن كان إيقاع الموتة الأولى في الجنة مستحيلاً ، فمرّض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها .

هذا إن جملنا الاستثناء متصلاً ؛ فإن كان منقطعاً ، فالمعنى : « لكن الموتة الأولى قد ذاقوها » .

ويمتثل على الاتصال أن يكون للمعنى فيها ، أى في مقدماتها ، لأن الذى يرى مقامه في الجنة عند الجنة عند موته ينزل منزلة من هو فيها ، بتأويل الذوق على معنى الاستحيل . فهذه ثلاثة أوجه .

### القسم المسمى العشرين

#### الاستثناء والاستدراك

ووجه التأكيده فيه أنه نفي ذكره مرتين ، مرة في الجملة ومرة في التفصيل .

(٢) البيت لقائصة الديباني ، ديوانه ٦

(٤) انظر الكشاف ١ : ٢٢٣

(١) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة النحل ٥٦



فإذا قلت : قام القوم إلا زيدا ، فكأنه كان في جملتهم ، ثم خرج منهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ آلَ لَئِكَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ فِيهِ مَعْنَى زَائِدًا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ ، هُوَ تَعْظِيمُ أَمْرِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي آتَى بِهَا إِبْلِيسَ ، مِنْ كَوْنِهِ خَرَقَ إِجْمَاعَ اللَّائِكَةِ ، وَفَارَقَ جَمِيعَ اللَّأْ أَعْلَى بِمُخْرَجِهِ مِمَّا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ ؛ وَهُوَ بِمَثَابَةِ قَوْلِكَ : أَمَرَ لِلَّهِ بِكَذَا فَأُطَاعَ أَمْرُهُ جَمِيعُ النَّاسِ ؛ مِنْ أَمِيرٍ وَوَزِيرٍ إِلَّا فُلَانًا ؛ فَإِنَّ الْإِخْبَارَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ ، أَيْ بَلَّغُ مِنْ قَوْلِكَ : أَمَرَ لِلَّهِ فَصَاهُ فُلَانٌ .

وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ وَصِفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْمَدْلِ فَيَا ضَرْبَهُ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ خَزْيِ الدُّنْيَا ، وَخَمَّ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ أَلَا تَحْسِنَ عَامًا ﴾<sup>(٢)</sup> فَإِنَّ الْإِخْبَارَ عَنْ الْمُدَّةِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ تَهْوِيلًا عَلَى السَّامِعِ ؛ لِشَهْدِ عُدْرَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدَّعَاءِ عَلَى قَوْمِهِ . وَحِكْمَةُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْمُدَّةِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ تَعْظِيمُ الْمُدَّةِ ؛ لِيَكُونَ أَوَّلُ مَا يَبَاشِرُ السَّمْعَ ذِكْرُ « الْأَلْفِ » وَاخْتِصَارُ اللَّفْظِ ؛ فَإِنَّ لَفْظَ الْقُرْآنِ أَخْصَرَ مِنْ « تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا » ؛ وَلِأَنَّ لَفْظَ الْقُرْآنِ يَبْدِي حَصْرَ الْمُدَّةِ الذِّكُورَ وَلَا يَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ وَلَا النَقْصَ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَامًا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾<sup>(٣)</sup> فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ وَصْفَ الشَّقَاءِ بِمِثْلِ الْمَوْزَنِ الْعَاصِيِ وَالْكَافِرِ ، اسْتَقْنَى مِنْ حَكْمٍ بِمُخْلُودِهِ فِي النَّارِ لَفْظَ مُطْلِعٍ ، حَيْثُ أَثْبَتَ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمَطْلُوقَ ، وَأَكْدَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنْ رَبُّكَ قَالَا لِمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أَيُّ أَيْ لَا اعْتَزَّاضَ عَلَيْهِ فِي إِخْرَاجِ أَهْلِ الشَّقَاءِ مِنَ النَّارِ . وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ أَهْلَ السَّادَةِ لَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْ أَنْجَفَةٍ أَكَّدَ خُلُودَهُمْ بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ بِمَا يَرْفَعُ أَصْلَ الْإِسْتِثْنَاءِ ، حَيْثُ قَالَ : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ

(٢) سورة التنبؤ ١٤

(١) سورة الحجر ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة هود ١٠٦ ، ١٠٧

تَجْدُوزِ<sup>(١)</sup> أى غير منقطع ؛ لئلم أن عطائه لم الجنة غير منقطع - وهذه للمائى زائدة على الاستثناء التامى .

وقيل : وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية، ويؤيده قولُ بعض<sup>(٢)</sup> الصحابة :

\* وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَطْهَرًا \*

وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهرير ، أو إلى نوع آخر من المذاب بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر فى النار ، وجعل الاستثناء الثانى دالاً على نجاه أهل الكبائر من العذاب ، فكأنه تصور<sup>(٣)</sup> أن الاستثناء الثانى لما لم يحمل على انقطاع النعيم ، لقوله تعالى : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجْدُوزِ ﴾ فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام . وقال : معنى قوله : ﴿ إِنَّا رَبَّكَ فَعَلْنَا لِمَا يُرِيدُ ﴾ عقب الاستثناء الأول فى مقابلة قوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجْدُوزِ ﴾ عقب الثانى ، أن الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب ، كما يعطى لأهل الجنة عطائه الذى لا انقطاع له<sup>(٤)</sup> .

قيل : وما أصدق فى سياق الزمخشري فى هذا الموضع قول القائل :

\* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ \*

وذلك لأن ظاهر الاستثناء ؛ هو الإخراج عن حكم ما قبله ، ولا موجب للعدول

(٢) هو النافذة الجمدى ؛ أى النبي صلى الله

(١) سورة هود ١٠٨

عليه وسلم فأشده قصيده ؛ فلما بلغ إلى قوله :

بَلَنَّا السَّمَاءَ تَجْدُونَا وَجُدُونَنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَطْهَرًا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى أين يا أبا ليلي ؟ » ، فقال : إلى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « إن شاء الله » الشعر والشعراء ٢٤٧ (٣) م : « يصور » .

(٤) راجع الكشف ٢ : ٣٣٦

عن الظاهر في الاستثناء الأول ، فعمل على النجاة . ولما كان إنجاء المستحق للمذاب محل  
تجنب وإنكار ، عقبه بقوله : ﴿ إِنْ رَبَّكَ قَمَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى من المذاب  
والإنجاء منه ، بفضل ، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد ؛ بفعل ما يشاء وبحكم ما يريد .  
وأما الاستثناء الثانى فلما لم يكن على ظاهره ، كان إخراج أهل الجنة للمستحقين  
للثواب وقطع النعم لا يناسب إنجاء أهل النار للمستحقين للمذاب ، فلذا عقب بقوله :  
﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴾ <sup>(١)</sup> بيانا المقصود .

ورعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب الذى توم الزمخشري ؛ فإنَّ حاصله يرجع  
إلى أن الاستثناء الثانى لما لم يكن على ما هو الظاهر في باب الاستثناء ، ينبىء ألا  
يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر . ولا يخفى على النصف أنه تستف .  
وأما قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> فالمنى لاطعامهم أصلاً ؛ لأن  
الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الإنس ؛ وذلك كقولك : ليس لقنار ظل إلا الشمس ؛  
تريد بذلك نقي الظل منه على التوكيد ، والضريع نبت ذو شوك يسمى الشبرق فى حال  
خضرته وطراوته ، فإذا يبس سُمى الضريع ، والإبل ترعاه طريقاً لا بأساً .  
وقريب منه تأكيد للدح بما يشبه الدم ، بأن يستقى من صفة ذم متغية عن الشئ صفة  
مدح ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيلًا  
سَلَامًا سَلَامًا ﴾ <sup>(٣)</sup> التأكيد فيه من وجهين : على الاتصال في الاستثناء والاشطاع .

### القسم الحادى والعشرون

#### المبالغة

وهى أن يكون للشئ صفة ثابتة ؛ فتزيد فى التعريف بمقدار شدته أو ضعفه ؛ فيدعى

(٢) سورة النازعات ٦

(١) سورة هود ١٠٨

(٣) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع ؛ أو <sup>(١)</sup> يحيلُ عقله ثبوته .  
ومن أحسنها قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ مَجْيٍّ يَنْشَأُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وهي <sup>(٣)</sup> ظلمة البحر وظلمة للوج فوقه ، وظلمة السحاب فوق للوج .  
وقوله تعالى : ﴿ يَلْفَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى كادت تبلغ ؛ لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه .  
وقيل : هو حقيقة ، وإن الخوف والروع يوجب للخائف أن تتفخ رثته ، ولا يمد أن ينهض بالقلب نحو الخنجره . ذكره القراء وغيره .  
أو أنها لما اتصل وجيبها واضطرابها يلفت الخناجر .  
ورّد ابن الأنباري <sup>(٥)</sup> تقدير « كادت » فإن « كاد » لا تضمر .  
وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
وقوله تعالى : ﴿ تَسْكَدُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ .  
ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(١) م « إذ » ؛ والصواب ما أثبتته من ب . (٢) سورة النور ٤٠

(٣) : « فتنى » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٤) سورة الأحزاب ١٠ (٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم الأباري ؛

وقله أيضا الصريف للرفعى ؛ ورده . وانظر غرر الفوائد ٢ : ٣٣٤

(٦) سورة إبراهيم ٣٦ (٧) سورة مريم ٩٠

(٨) سورة الرسالات ٣٢ ، ٣٣

وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكرم للبيان وهو مجاز، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(١)</sup>، فجعل مجي جلائل آياته، مجيئاً له سبحانه، على اللبانة.

وكقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فجعل قلبه بالملكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازي.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَآ بِرَقِّهِ يَذْهَبُ يَأَلًا بُصَارٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فإن اقتران هذه بـ «يكاد» صرفها إلى الحقيقة، فاطلب من الامتناع إلى الإمكان.

وقد تسمى لللبانة مدحجة، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَمَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٤)</sup>، فإن اللبانة في هذه الآية مدحجة في اللقطة، وهي بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى المخاطب؛ معناه أن علم ذلك متعذر عنكم؛ وإلا فهو بالنسبة<sup>(٥)</sup> إليه سبحانه ليس بمبالغة.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ لَآبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي...﴾<sup>(٦)</sup> الآية، قيل<sup>(٧)</sup>: سببها أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: كيف عُنُقْنَا بهذا القول: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٨)</sup>، ونحن قد أوثينا التوراة، وفيها كلام الله<sup>(٩)</sup> وأحكامه، ونور وهدي؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية.

(٣) سورة النور ٣٩ (٣) سورة النور ٤٣

(٥) كذا في م، وفي ت: «الله».

(٧) قوله الواحد في أسباب النزول ٢٢٥،

(٨) سورة الإسراء ٨٥

(٩) عبارة أسباب النزول: «أوثينا التوراة، ومن أوثي التوراة فقد أوثي خيراً كثيراً».

(١) سورة التجر ٢٢

(٤) سورة الرعد ١٠

(٦) سورة الكهف ١٠٩

عن ابن عباس.

وقيل: إنما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قال المفسرون: والنرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته؛ وهى فى نفسها غير متناهية وإنا قرب الأمر على أفهام البشر بما يقناهى؛ لأنه غاية ما يمهده البشر من الكثرة. وقال بعض الحققين: إن ما تضمنت الآية أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفد، ولم تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور؛ وكما قال الخضر عليه السلام: ما قصص على وعلمك من علم الله إلا كما قص هذا المصفور من ماء البحر حين غمس منقاره فيها.

وعد بعضهم من هذا التبيل ما جاء من المبالغة فى القرآن من الإغضاء عن العيوب؛ والصفح عن الذنوب، والتغافل عن الزلات، والستر على أهل اللوات، كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقيل فى تفسيره: أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك وتمنوا عن ظلمك. وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(٣)</sup> الآية.

(١) سورة لقمان ٢٧، وفى أسباب النزول الواحدى ص ٢٦٠ أيضاً: «قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فأُتزل الله: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ أتاه أعيان اليهود فقالوا: يا عبد، بلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أخصيتنا أم قومك؟ فقال: كلا عتيب؛ قالوا: أأنت تتلو فيها جاءك إنا قد أوتينا الزيادة وفيها علم كل شئ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هى فى علم الله سبحانه قليل، وأقد أنا كم الله ما إن علمته به انتم به»، فقالوا: يا عبد، كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكيف يجتمع هذا؛ علم قليل وخير كثير؛ فأُتزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...﴾

## تَشْبِيه

(١) تحصل مما سبق أن قصد للمبالغة يستلزم في الحال الإيجاز؛ إما بالحذف، وإما بمجمل الشيء نفس الشيء، أو بتكرار لفظ يتم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢).  
وقد نص سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لاقتراحها في أحكام.

## فائدة

[ في اختلاف الأقوال في تدبير للمبالغة في الكلام ]

اختلف في اللبانة على أقوال :

أحدها : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستعالة .

والثاني : أنها الناية في الحسن ؛ وأعذب الكلام ما بولغ فيه ؛ وقد قال النابغة :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرْ يُعْمِنُ فِي الضُّحَى      وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

والثالث : وهو الأصح ؛ أنها من محاسن الكلام ؛ ولا ينحصر الحسن فيها - فإن

فضيلة الصدق لا تنسك - ولو كانت مميبة لم ترد في كلام الله تعالى ؛ ولها طريقان :

أحدهما : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة ، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة

وغيرها ، من أنواع المجاز .

والثاني : أن يُشْفَعَ ما يُفْهِمُ المعنى بالمعنى على وجه يقتضي زيادة ؛ فتترادف (٣) الصفات

(٢) سورة الحاقة ١

(١) هذا التثنية ساقط من ت .

(٣) في : « قترداد » .

بقصد التهويل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَنْشَأُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

### القدم الثاني والعشرون

#### الاعتراض

وأسماء قدامة <sup>(٢)</sup> : « التفتان » <sup>(٣)</sup> ، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى ، بشئ يتم الفرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين ، لنكتة .

وقيل : هو إرادة وصف شيئين : الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار ؛ وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد .

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد .

وقال الشيخ عز الدين في أماليه : الجملة للمقترضة تارة تكون مؤكدة ، وتارة تكون مشددة ؛ لأنها إما ألا تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه فقط ، فهي مؤكدة . وإما أن تدل عليه وعلى معنى زائد ، فهي مشددة . انتهى .

وذكر النحاة مما تميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبية ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٤٠

(٢) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر ؛ صاحب كتاب نقد الشعر .

(٣) قال : « ومن نموت الماني الالتفات ؛ وهو أن يكون الشاعر آتخفا في معنى ؛ فكأنه يستتره ؛ لما شك فيه . أو ظن أن رادا يرد عليه قوله ؛ أو سائلا يسأله عن سببه ؛ فيمود راجعا إلى ما قدمه فلما أن يذكر سببه ؛ أو يحل الشك فيه » وانظر نقد الشعر ٨٧ ، وبيد القرآن ٤٢



﴿وَمَنْ يَنْفُرْ أَذْهُ نُوْبٌ إِلَّا أَتَهُ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه معترض بين : ﴿فَاسْتَقْرُوا لِدُنُوْبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ، وبين : ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا قَعَلُوا﴾<sup>(٣)</sup> .  
وله أسباب :

منها تقرير الكلام ، كقولك : فلان أحسن بفلان - ونم ما فعل . ورأى من الرأى كذا - وكان صوابا .

ومنه قوله تعالى : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> ، ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعراض ؛ وللراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة .

وقوله : ﴿وَأَمْنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> .  
﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً وَكَذَّابًا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، واعترض بقوله : ﴿وَكَذَّابًا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ، بين كلامهما<sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿وَأَتُوا بِهِ مَقْشَايَا﴾<sup>(٩)</sup> .

ومنها قصد التنزيه ، كقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ فِيهِ أَبْنَاءَ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> ، فاعترض ﴿سُبْحَانَهُ﴾ لفرض التنزيه والتعظيم ، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله .

ومنها قصد التبرك ، وكقوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ أَكْرَامًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾<sup>(١١)</sup> .

(٢) سورة يوسف ٧٣

(١) سورة آل عمران ١٣٠

(٤) سورة النمل ٣٤

(٣) سورة القتال ٢

(٥) أى من كلام بلقيس ؛ وبشيء كلامها : ﴿إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ...﴾ .

(٧) سورة النحل ٥٧

(٦) سورة البقرة ٢٥

(٨) سورة الفتح ٢٧

ومنها قصد التأكيـد: كقوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

وفيها اعتراضان ؛ فإنه اعترض بقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾<sup>(١)</sup> بين القسم وجوابه ، واعترض بقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> بين الصفة والموصوف ؛ وللرأى تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيـد إجلاله في النفوس ، لا سيما بقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾<sup>(٤)</sup> ذ « أولئك » الخبر و « إِنَّا لَا نُضِيعُ » اعتراض .

ومنها كون الثاني بياناً للأول ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ التَّوَّابِينَ وَيَجِبُ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ فإنه اعتراض وقع بين قوله: ﴿فَأَنُوهَنَّ﴾<sup>(٦)</sup> ، وبين قوله: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرِّثَ لَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> ، وهما متصلان معنى ؛ لأن الثاني بيان للأول ؛ كأنه قيل : فَأَنُوهَنَّ من حيث يحصل منه الحرث . وفيه اعتراض بأكثر من جملة .

ومنها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيـد على أمر علق بهما ، كقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾<sup>(٨)</sup> ، فاعترض بقوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾<sup>(٩)</sup> بين « وَصَّيْنَا » وبين الموصى به ، وفائدة ذلك إذكـار الولد بما كابده أُمُّه من المشقة في حمـله وفصـاله ، فذكرُ الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأُم ، لصحـمها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأُم ثلاثاً ، وبالأب مرة .

(٢) سورة الكهف ٣٠ ، ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٢٣

(١) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة لقمان ١٢٠

ومنها زيادة الرد على الخصم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أَنْتُمْ فِيهَا... ﴾<sup>(١)</sup> الآية بقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَرَجَ ﴾<sup>(٢)</sup> اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وفادته أن يقرر في أنفس مخاطبين أن تدارو بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس لم يكن نافعا لهم في إخطائه وكتمانه ، لأن الله تعالى مظهر لقلبك<sup>(٣)</sup> ومخرجه ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أَنْتُمْ فِيهَا ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ قَتَلْنَا أَسْرِبُوهُ بِيَمِينِهَا ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةَ مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فاعتراض بين « إذ » وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾<sup>(٧)</sup> ؛ فكانه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً .

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾<sup>(٨)</sup> إلى قوله : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(١٠)</sup> إلى قوله : ﴿ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام . وهو قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَّتْ ﴾ الآية ، وذلك لأن قوله : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ سبب عن قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَّتْ ﴾ على معنى أنهم يشمئزون من توحيد الله تعالى ، ويستبشرون بالشرك الذي هو ذكر الآلهة ؛ فإذا مسَّ أحدهم ضُرٌّ أو أصابته شدة تناقض في دعواه ، فدعا من اشتأز من ذكره واقبض من توحيده ولجأ إليه دون الآلهة ، فهو اعتراض بين السبب والسبب ، صيّد القول بما فيه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأمره بذلك ، ويقول ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ ، ثم عقبه من الوعيد العظيم أشدَّ التأكيد وأعظمه وأبلغه ؛

(٢) م : ٧ : ذلك .

(٤) - سورة الحل ١٠١

(١) سورة البقرة ٧٢

(٢) سورة البقرة ٧٣

(٥) سورة الزمر ٤٥ - ٤٩

ولذلك كان اتصال قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾<sup>(١)</sup> للسبب الواقع فيها، وخلق الأول، منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة، ومناسبة أوجب العطف بالواو للوضوعة لطلق الجمع، كقولهم: قام زيد وعمر. وتسيب السبب مع ما في ظاهر الآية من اشمزازهم ليس يقتضى التجاهل إلى الله تعالى، وإنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية يقتضى إثبات التناقض؛ وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى؛ فإذا مسه الضر لجأ إليه فهذا سبب ظاهر مبنى على اطراد الأمر وتقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضر لجأ إليه، فنجى بالقاء هنا كالأول لفرض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان في فصل سبب الالتجاء؛ فأنت؛ تلزمه العكس؛ بأنك إنما قصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. له مقابليد السموات والأرض<sup>(٤)</sup> اعتراض واقع في أثناء كلام متصل؛ وهو قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وهو على مهيج أسلوب القرآن؛ من ذكر الضد عقب الضد؛ كإقيل:

\* وبضد ما يتبين الأشياء \*

ومنها الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾<sup>(٧)</sup>، فاعترض بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾<sup>(٨)</sup> إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

(٢) كما وردت البيارة في الأصول وفيها غموض.

(٤) سورة الزمر ٦٣

(٦) سورة التحل ٤٣، ٤٤

(١) سورة الزمر ٥٨

(٣) سورة الزمر ٦٢

(٥) سورة الزمر ٦٤

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي على الفارسي قوله : إنه لا يترض بأكثر من جملة واحدة .

ورُدُّ بأن جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين ونفسه عند آخرين ، فهو مع جملة الشرط ، كالجملة الواحدة . نعم جوزوا في قوله تعالى : ﴿ مُتَكِّثِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنًا مِنْهُ ﴾ (١) ، أن يكون حالا من قوله : ﴿ وَلَيْنَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) ، فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلة ؛ إن كان : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٣) ، خبر مبتدأ محذوف ؛ وإلا فيكون بست جمل .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَىٰ . . . ﴾ (٤) الآية : إن في هذه الآية الكريمة سبع جمل معترضة : جملة الشرط ، و « اتقوا » و « فتحننا » و « كذبوا » و « أخذناهم » و « بما كانوا يكسبون » . وزعم أن « أقامن » (٥) معطوف على « فأخذناهم بفتنة » (٦) ، وكذا نقله ابن مالك عن الزمخشري وتبعه أبو حيان ، ولم يوجد ذلك في كلام الزمخشري .

قال ابن مالك : ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان ، قال : وإنما اعترض بأربع جمل ؛ وزعم أن من عند « ولو أن » (٧) إلى « والأرض » (٨) جملة ؛ لأن الفائدة إنما تم بمجموعه .

وفي القولين نظر ؛ أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمان جمل ؛ أحدها :

(١) سورة الرحمن ٤٦

(٢) سورة الأعراف ٩٦

(٣) سورة الأعراف ٩٥

(٤) سورة الرحمن ٥٤

(٥) سورة الرحمن ٤٨

(٦) سورة الأعراف ٩٧

(٧) سورة الأعراف ٩٧

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وأربعة في حيز «لو» وهي ﴿آمنوا﴾ و﴿اتقوا﴾ و﴿فتحنا﴾ ،  
وللركبة مع أن وصلتها مع «ثبت» مقدراً على الخلاف في أنها ضلية أو اسمية ، والسادسة  
﴿ولكن كذبوا﴾ والسابعة ﴿فأخذناهم﴾ والثامنة ﴿بما كانوا يكسبون﴾ .

وأما قول للمترض فلا أنه كان من حقه أن يدها ثلاث جمل ؛ أحدها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ؛  
لأنها حال مرتبطة باملمها وليست مستقلة برأسها ؛ والثانية «لو» ومافى حيزها ، جملة واحدة  
ضلية إن قدر : «ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا» ، أو اسمية وضلية إن قدر :  
﴿إيمانهم﴾ ، واتقوا ثابتان ، والثالثة ﴿وَلَكِنْ كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
كله جملة .

وينبغي على قواعد البيانين أن يمدوا الكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض ،  
وعلى رأى النحاة ينبغي أن يكون ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾<sup>(٢)</sup> جملة واحدة  
لارتباط الشرط بالجزاء لفظاً ، ﴿وَلَكِنْ كَذَبُوا﴾ ثانية أو ثالثة ﴿فَآخَذْنَاهُمْ﴾ ثالثة  
أو رابعة ، و﴿بما كانوا يكسبون﴾ متملق بـ «أخذناهم» فلا يمدّ اعتراضاً .

وقوله : ﴿وَغِيضَ آلَمَاءٍ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾<sup>(٣)</sup> ، فهذه ثلاث  
جمل معترضة بين ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾<sup>(٤)</sup> وبين ﴿وَقِيلَ بَعْدَ﴾ .  
وفيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ معترض بين ﴿غِيضَ السَّاءِ﴾  
وبين ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ .

ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض ، كقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَنَسَمٌ لَوْ تَحْمِلُونَهُ﴾<sup>(٥)</sup>  
عَظِيمٌ<sup>(٦)</sup> .

ومنه قوله تعالى في سورة النكبت ذاكراً عن إبراهيم قوله : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾<sup>(١)</sup> ، ثم اعترض تسليّة قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿وَإِنْ نَكَدُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup> ، وذكر آيات ، إلى أن قال : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾<sup>(٣)</sup> يعنى قوم إبراهيم ، فرجع إلى الأول .

وجعل الزمخشري قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، وفي آخر الصافات مطوفا على ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> في أول السورة<sup>(٦)</sup> : وقال في قول بعضهم في : ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾<sup>(٧)</sup> : إنه حال من فاعل ﴿قُمْ﴾<sup>(٨)</sup> في أول هذه السورة ، هذا من يدع التفسير<sup>(٩)</sup> وهذا الذى ذكره في الصافات منه .

ومن المعجب دعوى بعضهم كسر همزة « إِنْ » في قوله تعالى : ﴿إِنْ ذَلِكَ لَتَأْتِيَ بِمَا أَنْتُمْ أَهْلُ النَّارِ﴾<sup>(١٠)</sup> على جواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(١١)</sup> ، حكاها الرماني .

فإن قيل : أين خبر « إِنْ » في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِي كُرِّهَ لَنَا جَاءَهُمْ﴾<sup>(١٢)</sup> قيل الخبر : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(١٣)</sup> .

- 
- |   |                                      |
|---|--------------------------------------|
| (١) سورة النكبت ١٦  | (٢) سورة النكبت ٢٤                   |
| (٣) سورة الصافات ١٤٩ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ﴾ .                                    |                                      |
| (٤) سورة الصافات ١١ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَمْ أَسْأَلُكُمْ خَلْقًا أَمْ خَلْقًا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ . |                                      |
| (٥) سورة الدھر ٣٦   | (٦) سورة الذھر ٢٨ : وهو قوله تعالى : |
| (٧) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .  |                                      |
| (٨) الكشف ٤ : ٤٨ ، وعبارته : « مطوف على مثله في أول السورة وإن تابعت بينهما الساق » .   |                                      |
| (٩) الكشف ٤ : ٥٢٢   | (١٠) سورة فصلت ٤١                    |
| (١١) سورة فصلت ٤٤   |                                      |

## فَسَوَاءٌ

قال ابن عمرو<sup>(١)</sup> : لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو المطف وما دخلت عليه ؛ وقد أجازوه قوم في « ثم » و « أو » فتقول : « زيد قائم ثم والله عمرو » .  
وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾<sup>(٢)</sup> اعتراض بين الشرط وجوابه مع أن فيه ظاء والجملة مسندة لـ « يَكُنْ » .  
قال الطيبي : سئل الزحشرى عن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾<sup>(٣)</sup> : أهو اعتراض ؟ قال : لا ، لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ؛ وأما بالقاء فلا .  
وفهم صاحب « فرائد القلائد » من هذا اشتراط الواو ، قال : وقد ذكر الزحشرى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾<sup>(٤)</sup> هذه الجملة اعتراض بين البديل وبين المبدل منه ، أعمى « إبراهيم » و « إذ » قال : هذا معترض لأنه اعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال ، وليس كما قال ، قد يأتي بالواو كما سبق في الأمثلة ، وبدونها كقوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقد اجتمعا في قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْفَعُ لَمَلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾<sup>(٦)</sup> .

## القسم الثاني والعشرون

### الاحتراض

وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد ، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال ؛ فنحوه

- 
- (١) هو محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد عمرو بن النخعي ؛ أخذ عن ابن ميثم ؛ وله شرح على  
الفصل ؛ توفي سنة ٦٤٩ . بنية الوعاة ٩٩  
(٢) سورة النساء ١٣٥  
(٣) سورة الدثر ٥٥  
(٤) سورة مريم ٤٩ ، ٥٦  
(٥) سورة النحل ٧٧  
(٦) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧



تعالى : ﴿ أَسْأَلُكَ بِذِكِّكَ فِي حَبِيبِكَ تَخْرُجُ بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فاحترس سبحانه بقوله : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص .

وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة لثوّم أن ذلك لضعفهم ، فلما قيل : ﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ علم أنها منهم تواضع ؛ ولهذا عدّى « الذل » بلى لتضمنه معنى العطف .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْطِفُونَكَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> احتراس بين أن عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطلون غلبة فافرقها إلا بآلا يشعروا بها .

وقد قيل : إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها ؛ ولذلك أكد التبسم بالضحك ؛ لأنهم يقولون : تبسم كتبسم النضبان ؛ لينبه على أن تبسمه تبسم سرور .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> الفتات إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان ، عقّبهم بالدعاء عليهم ، ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للمذاب ،

(٢) سورة اللأئمة ٥٤

(٤) سورة النمل ١٨

(٦) سورة هود ٤٤

(١) سورة القصص ٢٢

(٣) سورة التتبع ٢٩

(٥) سورة التتبع ٢٥

احتراس من ضعف يوم أن الملاك بمومه ربما شمل مَنْ لا يستحق العذاب ؛ فلما دعا على المالكين ، ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم ، مع قوله أولا : ﴿ وَلَا تَحْطِئِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وأعجبُ احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ النَّرِيِّ إِذْ قُضِيَنا إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ . . . ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية .

وقال حكاية عن موسى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالسكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف السكان بالنرى <sup>(٤)</sup> ولم يقل في هذا اللوضع ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ كما قال : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ <sup>(٥)</sup> أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفى عنه كونه بالجانب الأيمن ، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من الأيمن ، أو مشاركاً لمادته ، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشريفاً لموسى ؛ فراعى في اللقامين حسن الأدب معهما ، تلميحاً للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَكَاذِبِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> فإنه لو اختصر لترك : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ؛ لأن سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة ، لكن حسن ذكره رفع توهم أن التكذيب للشهود به في نفس الأمر .

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ولم يذكر الجلب مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين :

(٢) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة النافقون ١

(١) سورة هود ٣٧

(٣) سورة مريم ٥٢

(٥) سورة يوسف ١٠٠

أحدهما؛ لثلاثا يستجى إخوته ، والكريم ينفى ؛ ولا سياً في وقت الصفاء .

والثاني : لأن السجن كان باختياره ، فكان الخروج منه أعظم ، بخلاف الحب .

وقوله : ﴿ نَكَلُمُ النَّاسَ فِي الْهَيْدِ وَكَهَلَا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إجماع فيه ؛ لأنه كان في العادة ، أن مَنْ يَكَلُمُ في الهيد أنه لا يعيش ولا يَمَادِي به العمر ، فجعل الاحتراس بقوله : ﴿ وَكَهَلَا ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، والسقف لا يكون إلا من فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يقوم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة ؛ فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً تقوم وسقفاً لآخرين ؛ فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين وهما قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ولفظه ﴿ خَرَّ ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفلى .

وقيل : إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حاليين تحته ، والعرب قول : خَرَّ علينا سقف ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم ، فقال : ﴿ من فوقهم ﴾ ، أى عليهم وقع ؛ وكانوا تحته ، فهلكوا وما أفلتوا .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا حَرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ لأنه لما كان يحتمل معنى « كيف » و « أين » احتس بقوله : ﴿ حَرَّتْكُمْ ﴾ ؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيث نَبَت البذور ، وينبت الزرع ، وهو الحقل الخصوص .

وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الذُّبَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ وذلك لأن الاشتراك في المصيبة يحذف منها ، ويسى عنها ؛ فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك .

(٢) سورة الزخرف ٣٩

(٤) سورة النحل ٢٦

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٣) سورة المائدة ١١٠

## فائدة

عاب قدامة على ذى الرثمة قوله :

أَلَا يَا أَسْلَمَى يَادَارَ حَيٍّ عَلَى الْبُلَى      وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطَرِ<sup>(١)</sup>  
فإنه لم يحترس ، وهلا قال كما قال طرفة<sup>(٢)</sup> :  
\* فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُقْسِدِهَا \*

وأجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار .

وقيل : لم يرد بقوله : « وَلَا زَالَ مِنْهَا » اتصال الدوام بالشئ من غير إقلاع ، وإنما  
ذلك بمثابة من يقول : ما زال فلان يزورنى ، إذا كان متاهداً له بالزيارة .

## القسم الرابع والعشرون

### التذييل

مصدر « ذَبَل » للبلانة ؛ وهى لفة ، جعلُ الشئ ذليلاً للآخر . واصطلاحاً أن يُؤتى  
بعد تمام الكلام بكلام مستقل فى معنى الأول ؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهوماً ؛  
ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ؛ ويكمل عند من فهمه .

كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهَلْ

(١) ديوانه ٢٠٦

(٢) ديوانه ٧٢ ( من مجموعة القديتين ) ، وبقية :

\* صَوَّبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهَى \*

(٣) سورة سبأ ١٧

يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ<sup>(١)</sup>، أى هل يجازى ذلك الجزاء الذى يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثانى مفيداً فائدة زائدة .

وقوله : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلَاقًا إِنَّ مِتَّ فَهُمْ أَتَّالِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا تَسْمَعُوا دَعْوَاهُمْ وَلَا يُسْمِعُوا دَعْوَاهُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا إِلَيْكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾<sup>(٤)</sup> .

قوله : ﴿وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ تذييل لاشتماله على . .<sup>(٥)</sup>

وقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٧)</sup> .

وجعل القاضى أبو بكر فى كتابه «الإيجاز» منه قوله تعالى : ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَصِحُّ بِأَنبَاءِهِمْ وَيَسْتَخْفِي بَسَائِهِمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْئِدِينَ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿فَالْقَظْفَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كُونْ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(٩)</sup> .

ويحتمل أن يكون من التعليل .

وقوله : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> ، قوله :

(٢) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة طه ١٣ ، ١٤

(٦) سورة المؤمن ٤٦

(٨) سورة القصص ٤

(١٠) سورة الزخرف ٢٢

(١) سورة سبا ١٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٤

(٥) يابى فى الأصلين .

(٧) سورة الأعراف ١٣٣

(٩) سورة القصص ٩

(وَكَذَلِكَ) <sup>(١)</sup> ، تذييل ، أى فذلك شأن الأمم مع الرسل ، وقوله : (مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) <sup>(٢)</sup> ، جعل التذييل هنا من التفسير .

### القسم الخامس والعشرون

#### التسميم

وهو أن يتم الكلام ، فيلحق به ما يكمله ، إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً ؛ وقيل : هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح ؛ وربما كان السامع لا يتأمله ليمود التكمّل إليه شارحاً ؛ كقوله تعالى : (وَيُطِيعُونَ أَلْعَاطَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) <sup>(٣)</sup> ، فالتسميم في قوله : (عَلَى حُبِّهِ) ، جعل الماء كفاية عن الطعام مع اشتهاؤه . وكذلك قوله : (وَأَنَّى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) <sup>(٤)</sup> .

وكقوله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قُلُوا لَكُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) <sup>(٥)</sup> ، قوله : (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) تسميم في غاية الحسن .

### القسم السادس والعشرون

#### الزيادة

والأكثر أن ينكروا إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ، ويسمونّه التأكيد . ومنهم من يسميه بالصلة . ومنهم من يسميه المقسم .

(٢) سورة الدهر ٨

(٤) سورة النساء ١٢٤

(١) سورة الزخرف ٢٣

(٣) سورة البقرة ١٧٧

قال ابن جني : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .  
وبابها الحروف والأفعال .

كقوله تعالى : ﴿ فِيمَا هَضَبِهِمْ مِيثَاقُهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> . ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنْ آفَتِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُسْكُكُم مِّنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ <sup>(٣)</sup> قيل : ﴿ كان ﴾ ما هنا  
زائدة ؛ وإلا لم يكن فيه إيجاز ؛ لأن الرجال كلهم كانوا في المهد ، واتعصب ﴿ صبيًّا ﴾  
على الحال .

وقال ابن عصفور : هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام لتأكيده ؛ وهي مؤكدة  
للماضي في ﴿ قَالُوا ﴾ .

ومنه زيادة « أصبح » ، قال حازم : إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه [ يكن  
أسمى فيه ، فليست زائدة ، وإلا فهي زائدة ؛ كقولك : أصبح العسل حلواً .  
وأجاب الرماني عن قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَافِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فإن العادة أن من به علة  
تراد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن انفسران جعل لم  
في الوقت الذي يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وهو معنى قول غيره : إنها تأتي للدوام واستمرار الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا  
لَا يُرَى إِلَّا مَسَ كِنُهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ يَمْنُوا بِالْأَمْسِ ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
وأما قوله تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> فهو على الأصل ، لظهور  
الصفة نهارة ، وللمراد الدوام أيضاً ، أي استقرت له الصفة نهارة <sup>(٨)</sup> .

- |                     |                                     |
|---------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة المائدة ١٣ | (٢) سورة آل عمران ١٥٩               |
| (٣) سورة مريم ٢٩    | (٤) سورة المائدة ٥٣                 |
| (٥) سورة الأحقاف ٢٥ | (٦) سورة القصص ٨٢                   |
| (٧) سورة النمل ٨    | (٨) كلمة : « نهارة » ، ساقطة من ت . |

واعلم أن الزيادة والقو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال<sup>(١)</sup> سيديوه عقب قوله تعالى : ﴿ قَبِيْآ تَغْضِبُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> : إن « ما » لنو ، لأنها لم تُحْدِث شيئاً .

والأولى اجتنابُ مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى ، فإن مرادَ النحويين بالزائد من جهة الإعراب ، لا من جهة للمعنى ، فإن قوله : ﴿ قَبِيْآ رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> معناه : « ما لنتَ لم إلا رحمة » ؛ وهذا قد جمع نفيًا وإثباتًا، ثم اختصر على هذه الإرادة، وُجِّع فيه بين لنفي الإثبات وأداة النفي التي هي « ما » .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ذ « إِنَّمَا » ها هنا حرف تحقيق وتعقيق ، إنَّ هنا للتحقيق ، وما للتعقيق فاختصر ، والأصل : « ما الله اثنان فصاعدا ، وأنه إله واحد » .

\*\*\*

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن ؛ ففهم من أنكره ، قال الطرطوسي في « الثمَّة »<sup>(٥)</sup> : زعم للبرّد وطلب الأصل في القرآن ، والدِّهَّاء من العلماء والفقهاء وللمفسرين على إثبات الصَّلَاتِ في القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه لا يسمنا إنكاره فذكر كثيرًا .

وقال ابن الخباز<sup>(٦)</sup> في التوجيه<sup>(٧)</sup> : وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد، لأنه تكلم بغير فائدة ، وما جاء منه حمّله على التوكيد :

(١) الكتاب ٢ : ٣٠٥

(٢) سورة النساء ١٥٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة النساء ١٧١

(٥) هو كتاب عمدة المحاكم فيما لا ينفذ من الأحكام ؛ للقاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي

المنفي للتوفي سنة ٧٥٨ . كشف الظنون ١١٦٦ - ١١٦٧

(٦) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي، الإربلي الضرير ، المعروف بابن الخباز؛ توفي سنة ٦٣٩

(٧) ذكره صاحب كشف الظنون .

نكت المبيان ٩٦



ومنهم من جَوَّزه وجعل وجوده كالعدم ؛ وهو أفسد الطرق .

وقد رُدَّ على نغر الدين الرازي قوله : إِنَّ الْحَقَّيْنِ عَلَى أَنَّ لِلْمَهْلِ لَا يَتَّقِ فِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ فأما في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> فيمكن أن تكون استفهامية للمتعجب ، والتقدير « فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ » ؟ لجعل الزائد مهملًا ، وليس كذلك ، لأن الزائد ما أتى به لفرض التقوية والتوكيد ، وللمهل ما لم تضعه العرب ، وهو ضِدُّ الاستعمل ، وليس المراد من الزيادة - حيث ذكرها النحويون - إهمال اللفظ ، ولا كونه لتواضعتنا إلى التمسك عن التعبير بها إلى غيرها ؛ فإنهم إنما سمَّوْا « ما » زائدة هنا لجواز تمدد العامل قبلها إلى ما بعدها ، لا لأنها ليس لها معنى .

وأما ما قاله في الآية : إنها للاستفهام التمجيد ، فقد انتقد عليه بأن قيل : تقديره « فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ » دليل على أنه جعل « ما » مضافة للرحمة ، وأسماء الاستفهام التمجيد لا يضاف منها غير « أَيْ » ؛ وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلًا منها ، وللبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام ، وليست الهمزة مذكورة ، فدل على بطلان هذه الدعوى ؛ وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة في إدخال « ما » ها هنا ، فانظره هناك .

### تنبيهات

الأول : أهل الصناعة يُطلقون الزائد على وجوه منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقدم تأكيدها ، نحو : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مِثْلًا مَّا بِمُؤْذَنَةٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة الشورى ١١

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) سورة البقرة ٢٦

ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد ، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة .  
وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف ، وما معناه ؛ إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى ؟  
قال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال : ومثال ذلك مثال المعارف بوزن الشعر طبعا ؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال : أجد نفسى على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها ، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه .

\*\*\*

الثانى : حق الزيادة أن تكون فى الحرف وفى الأفعال كما سبق ؛ وأما الأسماء فنص  
أكثر النحويين على أنها لا تزداد . ووقع فى كلام كثير من المفسرين الحكم عليها فى بعض  
لواضع بالزيادة ، كقول الزمخشري فى قوله تعالى : ﴿ تَحَادُّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ <sup>(١)</sup> :  
إن اسم الجلالة مقم ، ولا يتصور تحادتهم لله تعالى <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

الثالث : حقا أن تكون آخرأ وحشوا ؛ وأما وقوعها أولا فلا لما فيه من التناقض ،  
إذ قضية الزيادة إمكان أطراحها ، وقضية التصدير الاهتمام ، ومن ثم ضعف قول بعضهم  
بزيادة « لا » فى قوله تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وأبعد منه قول آخر :  
لأنها بمعنى « إلا » ، والظاهر أنها رد لكلام تقدم فى إنكار البعث ، أى ليس الأمر  
كما تقولون ، ثم قال بعده : ﴿ أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وعليه فيجوز الوقف على « لا »  
وفيه بحد .

## فصل

[ في حروف الزيادة ]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي ، كالباء في خبر ليس وما ، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ .

وحروف الزيادة سبعة : إن ، وأن ، ولا ، وما ، ومن ، والباء ، واللام . بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة ؛ لأنها لازمة للزيادة . ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها ، فقد زادوا الكاف وغيرها ؛ بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها .

\*\*\*

[ زيادة « إن » ]

فأما إن الخفيفة فخطرد زيادتها مع ما النافية ، كقول امرئ القيس <sup>(١)</sup> :  
 حَلَلْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَأْمُوا فَإِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ  
 أي فما حديث . فزاد « إن » للتوكيد ، قال الفراء : إن الخفيفة زائدة ، فجمعوا بينها وبين ما النافية ، تأكيداً للنفي ، فهو بمنزلة تكرارها ، فهو عند الفراء من التأكيد اللفظي ، وعند سيبويه من التأكيد للمتنوى .

وقيل : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ <sup>(٢)</sup> ﴾ : أنها زائدة .  
 وقيل نافية ؛ والأصل « في الذي ما مكنناكم فيه » بدليل : ﴿ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ <sup>(٣)</sup> ﴾ ؛ وكأنه إنما عدل عن « ما » لثلاث تكرار فيقتل اللفظ .

ووم ابن الحاجب ؛ حيث زعم أنها تزداد بعد « لا » الإيجابية ؛ وإنما تلك في « أن » للفتوحة .

[زيادة « أن »]

وأما أن للفتوحة فتزاد بعد لا الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وإنما حكموا بزيادتها ؛ لأن « لا ظرف زمان ؛ ومعناها وجود الشيء لوجود غيره ، وظروف الزمان غير للتمكن لا تضاف إلى المفرد ، « وأن » للفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد ؛ فلم تبق « لما » مضافة إلى الجمل ؛ فلذلك حكموا بزيادتها .

وجعل الأخفش من زيادتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُنَاقِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وقيل : بل هي مصدرية ؛ والأصل « وما لنا في ألا نفعل كذا » ؛ فليست زائدة ؛ لأنها عملت النصب في المضارع .

\*\*\*

[زيادة « ما »]

وأما « ما » فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر ؛ فتزاد بعد « من » و « عن » غير كافة لما عن العمل ، وتزاد بعد الكاف ، ورب ، والباء ؛ كافة [تارة] وغير كافة أخرى . والكافة إما أن تكف عن عمل النصب والرفع ؛ وهي للصلة بأن وأخواتها ؛ نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾<sup>(٥)</sup> . وجعلوا منها : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى « الذي » و « العلماء » خبر ، والمبائد مستتر في « يخشى » ، وأطلقت « ما » على جماعة العقلاء ،

(٢) سورة إبراهيم ١٢

(٤) سورة النساء ١٧١

(٦) سورة طه ٢٨

(١) سورة النكبات ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٤٦

(٥) سورة الأهل ٦

كافي قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>

وإما أن تكف عن عمل الجبر ، كقوله تعالى : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقيل : بل موصولة ؛ أي « كالذي هو لهم آلهة » .

وغير الكافة تقع بعد الجازم ؛ نحو : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا ﴾<sup>(٤)</sup> .  
﴿ أَيِنَّمَا تَكْفُرُوا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وبعد انقاض ؛ حرفاً كان : ﴿ فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ ﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿ فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> .  
﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾<sup>(٨)</sup> . ﴿ تَمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾<sup>(٩)</sup> ، أو اسماً ، نحو : ﴿ أَيِنَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وتزاد بعد أداة الشرط ؛ جازمة كانت ، نحو : ﴿ أَيِنَّمَا تَكْفُرُوا يُدْرِكْكُمْ  
الْمَوْتُ ﴾<sup>(١١)</sup> . أو غير جازمة ، نحو : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا شَيْدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ﴾<sup>(١٢)</sup> .

وبين المتبوع وتابعه ؛ نحو : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾<sup>(١٣)</sup> ، قال الزجاج : ما حرف زائد  
للتوكيد عند جميع البصريين .

ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود . و« بعوضة » بدل . وقيل « ما » اسم تكرة  
صفة لـ « مثلاً » ، أو بدل و« بعوضة » عطف بيان .

وقيل في قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١٤)</sup> بأنها زائدة لجرد تقوية الكلام ؛ نحو :

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة النساء ٣    | (٧) سورة الأعراف ١٧٨  |
| (٢) سورة الأعراف ٢٠٠ | (٨) سورة الإسراء ١١٠  |
| (٣) سورة النساء ٧٨   | (٩) سورة آل عمران ١٥٩ |
| (٤) سورة المائدة ١٣  | (١٠) سورة المؤمنون ٥  |
| (٥) سورة لوط ٢٥      | (١١) سورة القصص ٢٨    |
| (٦) سورة النساء ٧٨   | (١٢) سورة فصلت ٢٠     |
| (٧) سورة البقرة ٢٦   | (١٣) سورة البقرة ٨٨   |

﴿فَبِأَرْحَمٍ﴾<sup>(١)</sup> و« قليلا » في معنى النفي ، أو لإفادة التقليل كما في نحو « أكلت أكلاما » ، وعلى هذا فيكون : « قليلا بعد قليل<sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

### [ زيادة « لا » ]

وأما « لا » فتزاد مع الواو بعد النفي ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْقَوْنَ آلْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ لأن « استوى » من الأفعال التي تطلب اسمين أي لا تليق بفعل واحد ؛ نحو « اختصم » ، فلم أن « لا » زائدة . وقيل : دخلت في السيئة لتحقيق أنه لا تساوي الحسنه السيئة ، ولا السيئة الحسنه .

وتزاد بعد « أن » للصدرية ؛ كقوله : ﴿لَيْثَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ أي ليعلم ؛ ولولا تقدير الزيادة لانعكس المعنى ؛ فزيدت « لا » لتوكيد النفي . قاله ابن جني .

واعترضه ابن مكيون ؛ بأنه ليس هناك نفي حتى تكون هي مؤكدة له . ورد عليه السكوني بأن هنا ما معناه النفي ؛ وهو ما وقع عليه العلم من قوله : ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ ويكون هذا من وقوع النفي على العلم ، والمراد ما وقع عليه العلم كقوله : « ما علمت أحدا يقول ذلك إلا زيدا » فأبدلت من الضمير الذي في « يقول » ما بعد « إلا » ؛ وإن كان البديل لا يكون إلا في النفي ؛ فكما كان النفي هنا واقفا على العلم ، وحكم لما وقع عليه العلم بحكمه ، كذلك يكون تأكيد النفي أيضا على ما وقع عليه العلم ، ويحكم للعلم بحكم النفي ، فيدخل على العلم توكيد النفي ، والمراد تأكيد نفي ما دخل عليه العلم .

(٢) في النفي « قليلا بعد قليل » .

(٤) سورة الحديد ٢٩

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) سورة فصلت ٣٤

وإذا كانوا قد زادوا « لا » في للوجوب للمنى لما توجه عليه فعل منقّى في المنى؛ كتوبه تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾<sup>(١)</sup> ، المنى « أن تسجد » ، فزاد « لا » تأكيداً للمنى للمنى الذى تضمنه « منعك » ؛ فكذلك تَزَادُ « لا » في العلم للموجب تأكيداً للمنى الذى تضمنه اللوجه عليه .

قال الشَّوْكَانِيُّ : وأما زيادة « لا » في قوله : ﴿ لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فشىء متفق عليه ؛ وقد نصّ عليه سيبويه ، ولا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة « لا » فيها ، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه .

ويدل عليه قراءة ابن عباس وعاصم والحيدى : « لَيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ » وقرأ ابن مسعود وابن جبير « لِيَكُنْ يَعْلَمَ » وهاتان القراءتان تفسير لزيادتها ؛ وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً ؛ وهو أَنَّ الشركين كانوا يقولون : إن الأنبياء منّا ، وكفروا مع ذلك بهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ... ﴾<sup>(٣)</sup> الآية . ومنه : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، بدليل الآية الأخرى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ وليس للمنى : ما منعك من ترك السجود ؟ فإنه ترك ؛ فلا يستقيم التوبيخ عليه .

وقيل : ليست بزانة من وجهين :

أحدهما : أَنَّ التقدير ما دعاك إلى ألا تسجد ؟ لأنّ الصارف عن الشىء دافع إلى تركه ، فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل .  
الثانى : أَنَّ التقدير ما منعك من ألا تسجد .

(٢) سورة الحديد ٢٩

(٣) سورة الأعراف ١٢

(١) سورة الأعراف ١٢

(٢) سورة الحديد ٢٩٠

(٥) سورة م ٧٥

وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع « أن » كثير كثرة لا تصل إلى الجواز ، والزيادة في درجته .

قالوا : وقائدة زيادتها تأكيد الإثبات ؛ فإن وضع « لا » نفى ما دخلت عليه ، فهي معارضة للإثبات ؛ ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت بما إذا لم يعترضه المعارض ، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط .

ومنه : ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ )<sup>(١)</sup> .

وقيل : وقد تزداد قبل القسم ، نحو : ( فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ )<sup>(٢)</sup> .  
( فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ )<sup>(٣)</sup> . ( لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ )<sup>(٤)</sup> ؛ أى أقسم بثبوتها .

وضُعف في الأخيرة ، بأنهم وقمت صدرا ، بخلاف ما قبلها ، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها .

وقيل : زبدت نوطنة لنفى الجواب ؛ أى لا أقسم بيوم القيامة ، فلا يتركون سُدى .  
ورد بقوله تعالى : ( لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ... )<sup>(٥)</sup> الآيات ، فإن جوابه مثبت ، وهو : ( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ )<sup>(٥)</sup> .

وقيل غير زائدة .

وقيل : هي رد لكلام قد تقدم من الكفار ، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة ، فيجوز أن يكون الادعاء في سورة ، والرد عليهم في أخرى ؛ فيجوز الوقف على « لا » هذه .

(٢) سورة المارج ٤٠

(٤) سورة القيامة ١

(١) سورة طه ٩٢ ، ٩٣

(٣) سورة الواقعة ٧٥

(٥) سورة البلد ١ ، ٤



واختلف في قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَسَآلُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُفْهَمُونَ ۚ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقيل : زائدة ليصح للمعنى ؛ لأنَّ المحرم الشرع .  
وقيل : نافية أو ناهية .

وقيل : الكلام تم عند قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ ، ثم ابتدأ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَا تُفْهَمُونَ ۚ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فيمن فتح الهمزة<sup>(٣)</sup> ،  
ف قيل « لا » زائدة ، وإلا لكان عنراً للكفار .

ورده الزجاج بأنها نافية في قراءة الكسر<sup>(٤)</sup> ، فيجب ذلك في قراءة الفتح .

وقيل : نافية وحذف المعلوم ؛ أى وأنهم يؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقيل : « لا » زائدة ، والمنع : ممتنع<sup>(٦)</sup> على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم  
لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة .

وعلى هذا ذ « حرام » خبر مقدم وجوبا لأنَّ الخبر عنه « أَنْ وَصَلَهَا » .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ

(٢) سورة الأنعام ١٠٩

(١) سورة الأنعام ١٠٩

(٣) مرواية الرازيين طالبة عن أبي بكر من طريق يحيى ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢١٥  
« على أنها بمعنى لعل ؛ وهى فى مصنف أبي كنفك ، أو على تقدير لام اللة ؛ والتقدير : إنما الآيات التى  
يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون ، وما يشرك اعتراض بين اللة والمألوف » .

(٤) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وأبى بكر ويقرب وخلف . الإتحاف ٢١٥

(٥) سورة الأنبياء ٩٥

(٦) ت « يمتنع » .

يَقُولُ فَنَاسٍ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ  
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ  
أَرْبَابًا <sup>(١)</sup> عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> عطفًا على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ذ «لا» زائدة  
مؤكدَة لعنى الثنى السابق .

وقيل : عطف على ﴿يَقُولُ﴾ ، والمعنى : ما كان لبشر أن ينصبه الله للعبادة إلى عبادته  
وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادًا لله ، ويأمرهم أن تتخذوا للملائكة  
والنبيين أربابًا .

وقيل : ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينهى قريشًا عن عبادة للملائكة ،  
وأهل الكتاب عن عبادة عُزَيْر وعيسى ؛ فلما قالوا له : أنتخذك ربًا ؟ قيل لهم :  
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ، ثم يأمر الناس بعبادته ، وينهم عن  
عبادة للملائكة والأنبياء .

\*\*\*

[ زيادة « من » ]

وأما « من » فإنها تزداد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهة ؛ نحو : ﴿وَمَا تَسْأَلُ مِنْ  
رِزْقٍ إِلَّا يَمْلِكُهَا﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى  
مِنْ فُتُورٍ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ﴾ <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠ (٢) قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء

البشر ١٧٧ : « واختلف في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ ، فإن عامر وعاصم وحزرة وكذا يعقوب وخلف بنصب  
الراء ؛ أى ولله أن يأمرهم ، فإن مضرة ، أو منصوب بالاعطف على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ، والفاعل ضمير  
« بصر » ، ووافهم الحسن واليزيدى والأعمش ؛ والباقون بالرفع على الاستئناف ، وفاعله ضمير اسم الله  
تعالى أو بشر » .

(٣) سورة الأنعام ٩

(٤) سورة الملك ٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

وجوز الأخفش زيادتها مطلقاً ؛ عتجاً بنحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ  
الْمُرْسَلِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> . ﴿ يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ يُحِلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ  
ذَهَبٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وأما « ما » في نحو قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ فَبِمَا  
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، فـ « ما » في هذين للوضيعة زائدة ؛ إلا أن فيها فائدة جليلة ؛  
وهي أنه لو قال : فبرحمة من الله لنت لهم ، وينقضهم لعناهم ، جوزنا أن اللين واللين كانا  
للسبيين المذكورين ولغير ذلك ، فلما أدخل « ما » في اللوضيعة قطعنا بأن اللين لم يكن  
إلا للرحمة ، وأن اللين لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق .

\*\*\*

#### [زيادة الباء]

وأما الباء فتزاد في الفاعل ؛ نحو « كفى بالله » ، أي كفى الله ، ونحو « أحسن زبدي »  
إلا أنها في التصحب لازمة . ويجوز حذفها في فاعل « كفى بالله شهيداً » ، « وكفى بينا  
حاسبين » <sup>(٧)</sup> ، وإعما هو « كفى الله » و « كفانا » .

وقال الزجاج : دخلت لضمّن « كفى » معنى اكتفى ؛ وهو حسن .  
وفي الفعل ، نحو : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ <sup>(٨)</sup> ؛ لأن الفعل متعدي  
بنفسه ؛ بدليل قوله : ﴿ وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، ونحو : ﴿ وَهَزَيْ لِمَلِكٍ بِجِذْعِ  
النَّخْلَةِ ﴾ <sup>(١٠)</sup> . ﴿ أَلَمْ يَتْلَمْ يَا أَبَاهُ يَرَى ﴾ <sup>(١١)</sup> . ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ <sup>(١٢)</sup>

- |                              |                     |
|------------------------------|---------------------|
| (١) سورة الأنعام ٣٤          | (٢) سورة نوح ٤      |
| (٣) سورة الحج ٢٣ ، والكهف ٣١ | (٤) سورة البقرة ٢٧١ |
| (٥) سورة آل عمران ١٥٩        | (٦) سورة المائدة ١٤ |
| (٧) سورة الأنبياء ٤٧         | (٨) سورة البقرة ١٩٥ |
| (٩) سورة الحجر ١٩            | (١٠) سورة مريم ٢٥   |
| (١١) سورة الطلاق ١٤          | (١٢) سورة الحجر ١٥  |

﴿وَمَنْ يَرُدْ فِيهِ بِالْحَادِ بَطْلٌ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾<sup>(٢)</sup>، أى يمسح السوق مسحاً .

وقيل فى الأول : ضَمِنَ « تَلَفُوا » معنى « تَفَضُّوا » .

وقيل : للمنى لا تَلَفُوا أَمْسِكُمْ بِسَبَبِ أَيْدِيكُمْ ؛ كما يقال : لا تفسد أَمْرَكَ بِرَأْيِكَ .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ تَنَبَّأْتُ بِاللَّغْوِ ﴾<sup>(٣)</sup> : إن الباء زائدة ؛ والراد : « تنبت

اللعن » .

وفى المبتدأ ؛ وهو قليل ؛ ومنه عند سيبويه : ﴿ بِأَيْكُمْ الْفَتُونُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال أبو الحسن : ﴿ بِأَيْكُمْ ﴾ متملق باستقرار محذوف مخبر عنه بالفتون ؛

ثم اختلف قليل : « الفتون » مصدر بمعنى الفتنة ، وقيل : الباء ظرفية ، أى فى أَيْكُمْ الجنون .

وفى خبر المبتدأ ؛ نحو : ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمِّثِلُهَا ﴾<sup>(٥)</sup> . وقال أبو الحسن : الباء زائدة ،

بدليل قوله فى موضع آخر : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وفى خبر ليس ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُجْهِىَ الْمَوْتَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقال ابن عصفور فى « المغرب »<sup>(٩)</sup> : وتزاد فى نادٍ كلام لا يُقَاسُ عليه ، كقوله

تعالى : ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُجْهِىَ الْمَوْتَ ﴾<sup>(٧)</sup> . انتهى .

(٢) سورة ص ٣٣

(٤) سورة ن ٦ والفتون : الجنون

(٦) سورة الثورى ٤٠

(٨) سورة الزمر ٣٦

(١) سورة الحج ٢٥

(٣) سورة المؤمنون ٢٠

(٥) سورة يونس ٢٧

(٧) سورة القيامة ٤٠

(٩) المغرب فى النحو ؛ لابن عصفور على بن مؤمن الحضرى ؛ للثوى سنة ٦٦٣ ؛ وعليه شرح

ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية . والظاهر كشف الفتون .

ومرادہ الآية التي أولاها : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِثْلَهُنَّ بَقَادِرٍ﴾<sup>(١)</sup> ، ولقد صرح به ابن أبي الربيع<sup>(٢)</sup> في القراءتين ، ويدل على الزيادة الآية التي في [الإسراء] : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(٣)</sup> . وزعم<sup>(٤)</sup> ابن النحاس أنه أراد الآية الأولى ، أعنى قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ آلَمُوتَى﴾<sup>(٥)</sup> ، فاعتذر عنه بأنه : إنما قال ذلك - وإن كان في خبر ليس - لأن « ليس » هنا بدخول الهمة عليها لم يبق معناها من النفي ، فصار الكلام تقريراً ويعنى بقوله : « في نادر » في القياس لا في الاستعمال .

#### [زيادة اللام]

وأما اللام ، فزاد معترضة بين الفعل ومفعوله ؛ كقوله :  
وملكت ما بين العراق ويثرب مُلْكًا أجار لمسلم ومعاذٍ  
وجعل منه للبرد قوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> ، والأكثر على أنه ضَمَنَ  
﴿رَدِفَ﴾ معنى : « اقترب » ؛ كقوله : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾<sup>(٧)</sup> .  
واختلف في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> ، قيل  
زائدة ، وقيل للتعليل والمفعول محذوف ، أي يريد الله التبيين وليبين لكم ويهديكم ، أي  
فيجمع لكم بين الأمرين .

(٢) هو أحمد بن سايان السكتاني الأندلسي .

(١) سورة الأحقاف ٣٣

مسند القراء بالأندلس . توفي سنة ٤٦٠ . طبقات القراء ١ : ٨٠

(٤) كذا في م ، وفي ت : « وظن » .

(٣) سورة الإسراء ٩٩

(٦) سورة النمل ٧٧

(٥) سورة القيامة ٤٠

(٨) سورة النساء ٢٦

(٧) سورة الأنبياء ١

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، في سورة الزمر<sup>(٢)</sup> : لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في « أردت لأن أفضل » ، ولا تزداد إلا مع « أن » خاصة دون الاسم الصريح ؛ كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ؛ كما أنت<sup>(٣)</sup> السين في « أسطاع » ، بمعنى بقطع الهزمة عوضاً من ترك الأصل انتهى هو « أطوع » والدليل على هذا مجيئة خبر لام في قوله تعالى : ﴿وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> . انتهى .

وزيادتها في « أردت لأن أفضل » لم يذكره أكثر النحويين ؛ وإنما قرئوا لها في إعراب : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> .

وتراد لتقوية العامل الضيف إما لتأخره ، نحو : ﴿هُدًى وَوَسْعَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِأَرْبَابِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

أو لكونه فرعاً في السمل ، نحو : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾<sup>(٨)</sup> ، ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وقيل منه : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرَؤُوسِكَ﴾<sup>(١١)</sup> ، وقيل : بل يتعلق بمستقر محذوف صفة لعدو ؛ وهي للاحصاص .

وقد اجتمع<sup>(١٢)</sup> التأخر والفرعية ، في نحو : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾<sup>(١٣)</sup> .

(٢) الكشاف ٤ : ٦٣

(١) سورة الزمر ١٢

(٣) عبارة الكشاف : « كما عوز العين » .

(٤) سورة الزمر ١٢

(٥) سورة النباء ٢٦

(٦) سورة الأعراف ١٥٤

(٧) سورة يوسف ٤٣

(٨) سورة البقرة ٩١

(٩) سورة البروج ١٦

(١٠) سورة المارج ١٦

(١١) سورة طه ١١٧

(١٢) م : « يجتمع » .

(١٣) سورة الأنبياء ٢٨

وأما قوله تعالى ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾<sup>(١)</sup> ، فإن كان «نذيرا»<sup>(٢)</sup> بمعنى للذعر ، فهو مثل : ﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٣)</sup> ، وإن كان بمعنى الإنذار ، فاللام مثلها في : «سقيًا لزيد» .

وقد نجى اللام للتوكيد بعد النفي ، ونسبى لام الجحود ، وقع بعد «كان» مثل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، اللام لتأكيد النفي ، كالباء الداخلة في خبر «ليس» ، ومعنى قولهم : «إنها لتأكيد» أنك إذا قلت : «ما كنت أضربك» بنير لام ، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه ؛ فإذا قلت : «ما كنت لأضربك» ، فاللام جملة بمنزلة ما لا يكون أصلا .

\*\*\*

وقد أتى مؤكدة في موضع ، وتحذف في آخر لاقتضاء اللقار ذلك .  
ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِذَلِكَ لَمُتُّونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ، فإنه سبحانه أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيدين ، وأكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، وكان للتبادر العكس ، لأن التأكيدي إنما يكون حيث الإنكار ؛ لكن في النظم وجوه :

أحدها : أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبداهيات ؛ فلم يحتج إلى تأكيد ؛ وأما الموت فإنه - وإن أقروا به - لكن لما لم يسلوا ما بعده تزلوا منزلة من لم يقتر به ؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك ؛ لأنه قد ينزل المنكر كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمله ارتدع من الإنكار<sup>(٦)</sup> . ولما ظهر على المخاطبين من التمداد في الثقة والإعراض عن العمل

(٢) ت : «الذعر» .

(٤) سورة الأفعال ٣٣

(٦) ت : «وذلك أن قد ينزل المنكر» .

(١) سورة الدثر ٣٦

(٣) سورة البوج ١٦

(٥) سورة المؤمنون ١٥ ، ١٦

(٧) م : «من إنكار» .

لما بعده والانهماك في الدنيا ، وهي من أمارات إنكار اللوت ، فلماذا قال : « ميتون » ولم يقل : تموتون ؟ وإنما أكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، لظهور أدلته للزيلة للإنكار ، إذا تأملوا فيها ، ولهذا قيل : « تبشون » على الأصل ، وهو الاستقبال بخلاف « تموتون » .

الثاني : أن دخول اللام على « ميتون » أحق ؛ لأنه تعالى يردّ على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني ، خلفاً عن سلف ، وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القرآن ، وأكّده وكذّب منكّره ؛ كقوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> قاله الشيخ تاج الدين بن الفركاح <sup>(٢)</sup> .

الثالث : أنه لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم استغنى به عن إعادة لفظ اللام ؛ وكأنه قيل : « لتبشون » واستغنى بها في الثاني لذكرها في الأول .

الرابع : قال الزعرى : بولغ في تأكيد اللوت ؛ تنبيها للإنسان أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا ينفل عن رقبته ؛ فإن مآله إليه ؛ فكأنه أكّدت جلته ثلاث مرات ؛ لهذا المعنى ، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعى ؛ كأنه مخدّ ، ولم يؤكد جلة البعث إلا بـ « إن » لأنه أبرز بصورة للتقطع به الذي لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكاراً .

قلت : هذه الأجوبة من جهة المعنى ؛ وأما الصناعة فتوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه وهو حذف اللام في « تبشون » لأن اللام تخلّص للمضارع لالحال ؛ فلا يجاء [ به ] مع يوم القيامة ، لأنه مستقبل ، ولأن « تبشون » عامل في الطرف المستقبل . وأما قوله : ﴿ وَإِنْ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ فيمكن تأويلها بتقدير عامل .

(١) سورة التين ٧ (٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم التوفى سنة ٦٩٠ م طبقات النافضة ٥ : ٧٠

(٣) سورة النحل ١٢٤



ونظير هذا آية الواقعة؛ وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتَ نَفْسُكَ هُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال سبحانه في الماء: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾<sup>(٢)</sup> بنير لام؛ والفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها: أن صيرورة الماء ملحا أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاما، إذ للماء المذب يمرُّ بالأرض السبخة فيصير ملحا، فالتردد به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أن الإنسان إذا توعّد عبده بالضرب بصا ونحوه لم يحتاج إلى تأكيد، وإذا توعّد بالقتل احتاج إلى تأكيد.

والثاني: إنَّ جعل الحرث حطاما - قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجاجا قلب للسكنية قط، وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو»<sup>(٣)</sup> لما كانت داخلة على جملتين مملقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء [بالشرط]<sup>(٤)</sup> أتى باللام علما على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الشيء إذا علم [وشهر موقعه، وصار مألوفاً ومأنوساً به]<sup>(٥)</sup> لم يبال بإسقاطه عن اللفظ [استثناء بمعرفة السامع]<sup>(٦)</sup> ويساوى لشهرته حذفه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقة؛ لأن تقدّم ذكرها - والمسافة قصيرة - يفي عن ذكرها ثانياً.

الرابع: أن اللام أدخِلَتْ في آية الطعوم؛ للدلالة على أنه يقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفقده أشدّ وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للطعوم؛ ولهذا قدّمت آية الطعوم على آية المشروب، ذكرها والذي قبله الزمخشري.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة الواقعة ٦٥، ٧٠.

(٢) الكشاف ٤: ٢٧١؛ مع تصرف في العبارة. (٣) تكملة من الكشاف.

(٤) تكملة من الكشاف.

وَالرَّسُولِ<sup>(١)</sup> وَإِنبَأَهَا بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مِثْلَهُ خَمْسَةٌ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، والجواب أنك إذا عطفت على مجرور<sup>(٣)</sup> ...

### القسم السابع والعشرون

#### باب الاشتغال

فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَضْمِرَ ثُمَّ فُسِّرَ كَانَ أَنْفَعًا مِمَّا إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمَ لِإِضْمَارٍ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَجِدُ اهْتِزَازًا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَعَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾<sup>(٥)</sup> .

وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٧)</sup> - لَا تَجِدُ مِثْلَهُ إِذَا قُلْتَ : وَإِنْ اسْتَعَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَجِرْهُ . وَقَوْلُكَ : لَوْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُكَ : ﴿ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وَقَوْلُكَ : هَدَىٰ فَرِيقًا وَأَضَلَّ فَرِيقًا ؛ إِذَا الْفِعْلَ لِلْفُسْرِ فِي تَقْدِيرِ الْمَذْكُورِ مَرَّتَيْنِ .

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾<sup>(٨)</sup> ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَفْطَرَّتْ ﴾<sup>(٩)</sup> ، وَنَظَائِرُهُ ، فَهَذِهِ فَائِدَةُ اشْتِغَالِ الْفِعْلِ عَنِ الْمَفْعُولِ بِضَمِيرِهِ<sup>(١٠)</sup> .

- |   |  |
|---|--|
| (١) سورة الأنفال ١                                      | (٢) سورة الأَنْفَال ١١                                 |
| (٣) كَذَا وَرَدَ السَّكَلَامُ نَاقِصًا فِي الْأَصُولِ . | (٤) سورة التَّوْبَةِ ٦                                 |
| (٥) سورة الْإِسْرَاءِ ١٠٠                               | (٦) سورة الْبَحْرِ ٣١                                  |
| (٧) سورة الْأَعْرَافِ ٣٠                                | (٨) سورة الْاِنْشِقَاقِ ١                              |
| (٩) سورة الْاِنْشِقَاقِ ١                               | (١٠) هَذَا الْقِسْمُ جِيهَ سَائِلُهُ مِنْ نَسْخَةِ ت . |

## القسم الثامن والعشرون

### التعليل

بأن يُذكر الشيء مفعلاً؛ فإنه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين :  
أحدهما : أن العلة للنصوصة قاضية بسموم الملل ؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في  
العلة المنصوصة .

الثاني : أن النفوس تنبث إلى قتل الأحكام المللة ، بخلاف غيرها ؛ وغالب التعليل في  
القرآن ، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وهو سؤال عن العلة .  
ومنه : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ <sup>(١)</sup> . ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
وتوضيح التعليل أن إلقاء السببية لو وضعت مكان « إِنَّ » كَحَسُنَ .

\*\*\*

والطرق الدالة على العلة أنواع :  
الأول : التصريح بلفظ الحكم ، كقوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، والحكمة هي العلم النافع .  
والعمل الصالح .

\*\*\*

(٢) سورة الحج ١

(٤) سورة القمر ٥

(١) سورة يوسف ٥٣

(٣) سورة التوبة ١٠٣

(٥) سورة النساء ١١٣

الثاني : أنه فعل كذا لكذا ، أو أمر بكذا لكذا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ لِّتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ جَمَلَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ الْبَيِّنَاتِ الْخُرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
﴿ لِنَسْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
﴿ وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وهو كثير .  
فإن قيل : اللام فيه للعاقبة ، كقوله تعالى : ﴿ فَالْقَطْعُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ <sup>(٨)</sup> ، وقوله : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ <sup>(٩)</sup> ، وإنما قلنا ذلك لأن أفعال الله تعالى لا تمل .

فالجواب أن معنى قولنا : إن أفعال الله تعالى لا تمل ، أي لا تجب ؛ ولكنها لا تخلو عن الحكمة ، وقد أجاب للملائكة عن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ <sup>(١٠)</sup> بقوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١١)</sup> .

ولو كان فعله <sup>(١٢)</sup> سبحانه مجرداً عن الحكم والغايات لم يسأل الملائكة عن حكمته ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح ، وفرق بين العلم والحكمة ؛

(٢) سورة الطلاق ١٢

(٤) سورة البقرة ١٤٣

(٦) سورة آل عمران ١٢٦

(٨) سورة الحج ٥٣

(١٠) م : « فليبه » تصحيف .

(١) سورة المائدة ٩٧

(٣) سورة الحديد ٢٩

(٥) سورة الأنفال ١١

(٧) سورة القصص ٨

(٩) سورة البقرة ٣٠

ولأنَّ لامَ العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة ، كقوله : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾<sup>(١)</sup> ؛ وأما مَنْ هو بكلِّ شَيْءٍ عليمٌ فستحيله في حقه ؛ وإنما اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لامُ الحكمة والغاية للطاوية من الحكمة . ثم قوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هو تمثيل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم ، فإن التقاطهم إنما كان بقضائه وقدره ، وذكر فعلهم دون قضائه ؛ لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم .

### قاعدة تفسيري<sup>(٢)</sup> :

حيث دخلت واو الماطف على لام التعليل فله وجهان :  
أحدهما : أن يكون تمليلاً معطّلاً محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَرِيبِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فالمنى وللإحسان إلى المؤمنين فَمَلَّ ذلك .  
الثاني : أن يكون معطوفاً على علة أخرى مضرة ، ليظهر صحة المطف ، كقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى﴾<sup>(٤)</sup> ؛ التقدير : ليستدل بها للكلف على قدرته تعالى ولتجزى . وكقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ التقدير : ليتصرف فيها ولنعلمه .

والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة ، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد . وقد يحملها الكلام ، كقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾<sup>(٦)</sup> ، فالتقدير على الأول ، ولنجعل آيةً قلنا ذلك ، وعلى الثاني : ولنبين للناس قدرتنا ولنجعل آيةً . ويطرأ الوجهان في نظائره ، ويرجح كل واحد بحسب اللقاع ، وحذف الملل ما هنا أرجح ، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بدٌّ من ملل محذوف ، وليس قبلها ما يصلح له .

(٢) هذه القاعدة مما سقط من ت .

(٣) سورة البقرة ٢٢

(٤) سورة البقرة ٢٠٩

(١) سورة النمل ٨

(٢) سورة الأفعال ١٧

(٣) سورة يوسف ٢١

فإن قلت : لم قدر المثل مؤخراً ؟

قلت : فائدة هذا الأسلوب هو أن يباه بالة بالواو للاهتمام بشأن الة للذكورة ؛ لأنه إما أن يقدّر علة أخرى ليعطف عليها ، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أمم ، وإما أن يكون على تقدير ممل ؛ فيجب أن يكون مؤخراً ليشر تقديمه بالاهتمام .

\*\*\*

الثالث : الإتيان بكى ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا بِكُونِ دَوْلَةٍ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، فمثل سبحانه قسمة التي بين هذه الأصناف كَيْلًا يتناولها الأغنياء دون الفقراء .

وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وأخير سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرا الأرض أو المصيبة أو الأرض أو المجموع ، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه دين عليه ، وحكمته البالغة التي منها ألا يحزن عباده على ما فاتهم ، ولا يفرحوا بما آتاهم ، فإنهم إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ، ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفات ، فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا .

\*\*\*

الرابع : ذكر المفعول له وهو علة لفعل المثل به ، كقوله : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَرْبَ تَبِيئًا تَأْكُلُ كُلُّ شَيْءٍ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٣)</sup> .

ونُصِبَ ذلك على المفعول له أحسن من غيره ، كما صرح به في قوله : ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا تُرِيدُ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ نَمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ لَكُمْ بِتَهْتِدُونَ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (٣) ، أى لأجل الذكر ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ فَالْتُمِيعَاتِ ذِكْرًا . عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ (٥) ، أى للإعذار والإنذار .

وقد يكون مملولا بمتلة أخرى ، كقوله تعالى ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (٦) ، فـ « من الصواعق » يحتمل أن تكون فيه « من » لا ابتداء الغاية فتتملص بمحذوف ، أى خوفاً من الصواعق ، ويجوز أن تكون معلقة بمعنى اللام كما في قوله تعالى : ﴿ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ (٧) ، أى لغمٍّ .

وعلى كلا التقديرين فـ « من الصواعق » في محل نصب ؛ على أنه مفعول له ، والعامل فيه ﴿ يحملون ﴾ . و « حذر الموت » مفعول له أيضاً فالعامل فيه « من الصواعق » ، فـ « من الصواعق » علة لـ « يحملون » . مملول لحذر الموت ، لأن للمفعول الأول الذى هو « من الصواعق » يصلح جواباً لقولنا : لم يحملون أصابهم في آذانهم ؟ والمفعول الثانى الذى هو « حذر الموت » يصلح جواباً لقولنا : لم يخافون من الصواعق ؟ فقد ظهر ذلك .

\*\*\*

الخامس : اللام في المفعول له ، وتقوم مقامه الباء ، نحو : ﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنْ الدِّينِ هَادُونَ ﴾ (٨) .

(١) ، سورة البقرة ١٥٠

(٢) سورة البقرة ٨٨

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) سورة النساء ١٦٠

(١) سورة التحل ٤٤

(٢) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة المرسلات ٤ ، ٥

(٤) سورة الحج ٢٢

ومن ، نحو : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا ﴾<sup>(١)</sup> .

والكاف ، نحو : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عَدْلَكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى لإرسالنا وتعليمنا .

\*\*\*

السادس : الإتيان بإن ، كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .  
﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> .

﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾<sup>(٨)</sup> .

وكقوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، وليس هذا من قولهم ، لأنه لو كان قولهم لما حَزَنَ الرسول ، وإنما حَزَىء بالجللة لبيان العلة والسبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِمْزَازَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(١٠)</sup> والوقف على القول في هاتين الآيتين والاجتهاد بإن لازم .

وقد يكون علة كقوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾<sup>(١١)</sup> وفيها وجهان لأهل اللغوى .

(١) سورة البقرة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٣٩

(٢) سورة التوبة ١٠٣

(٣) سورة طه ١٠

(٤) سورة يونس ٦٥

(٥) سورة المائدة ٣٢

(٦) سورة المزمل ٢٠

(٧) سورة يوسف ٥٣

(٨) سورة يس ٧٦

(٩) سورة الفرقان ٦٥ ، ٦٦



أحدهما : أن سؤالهم لصرف المذاب معلل بأنه غرام ، أى ملازم الغريم ، وبأنها  
ساعات مستقرا ومقاما .

الثانى : أن « ساءت » . تعليل لكونه غراما .

\*\*\*

السابع : أن والفعل المستقبل بهما ؛ تليلا لما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ  
الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِأَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَوتْتُ فِي جَنْبِ آفَةٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

كأنه قيل : لم فاضت أعينهم من الدمع ؟ قيل : للحزن ، قيل <sup>(٤)</sup> : لم حزنوا ؟ قيل :  
لثلاث يجدوا .

وقوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ونظائره كثيرة . وفى ذلك طريقان :

أحدهما للكوفيين ؛ أن للمنى لثلاث يقولوا ، ولثلاث تقول نفس .

الثانى للبصريين ؛ أن للفعل له محذوف ؛ أى كراهة أن يقولوا ، أو حذار أن يقولوا .

فإن قيل : كيف يستقيم الطريقان فى قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى ﴾ <sup>(٥)</sup> ؟ فإنك إذا قدرت : « لثلاث تضل إحداها » لم يستقم عطف « فتذكر »

عليه ؛ وإن قدرت « حذار أن تضل إحداها » لم يستقم العطف أيضا ؛ لأنه لا يصح

أن تكون الضلالة علة لشهادتهما .

(٢) سورة الزمر ٥٧

(٤) ت : • • فسل • .

(١) سورة الأنعام ١٥٦

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) سورة البقرة ٢٨٢

قيل : بظهور المعنى يزول الإشكال ؛ فإن المقصود إظهار إحداها الأخرى إذا ضلت ونسيت ؛ فلما كان الضلال سبباً للإذكار جعل موضع العلة ، تقول : « أعددت هذه الخشبة أن تعميل الحائط فأدعيم بها » ؛ فإنما أعددتها للدعم لا للدليل <sup>(١)</sup> ؛ وأعددت هذا السواء أن أمرض فأداوى به ونحوه ، هذا قول سيبويه والبصريين .  
وقال الكوفيون : تقديره في « تدكر إحداها الأخرى » إن ضلت ، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ، ففتحت أن .

\*\*\*

الثامن : « من أجل » في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَتَغَيَّرُ نَفْسٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> فإنه لتعميل الكتب ، وعلى هذا فيجب الوقف على : ﴿ مِنْ النَّادِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وظن قوم أنه لتعميل لقوله : ﴿ مِنْ النَّادِمِينَ ﴾ ؛ أى من أجل قتله لأخيه ؛ وهو غلط ، لأنه يشوش صحة النظم ، ويخل بالفاصلة .

فإن قلت : كيف يكون قتل أحد ابني آدم للآخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم ؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم ؟  
قيل : إن الله - سبحانه - يجعل أفضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره ، فجعل حكمه الكونى القدرى علة لحكمة أمره الدنى ؛ لأن القتل لما كان من أعلى

---

(١) الكتاب لسيبويه ١ : ٤٣ ؛ وعبارته بعد أن أوود الآية : بنصب ﴿ فتدكر ﴾ : « فالنصب لأنه أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداها الأخرى ، ومن أجل أن تذكر . فإن قال إنسان : كيف جاز أن تقول : أن تضل ولم بعد هذا الضلال وللانقباض ، فإنما ذكر ﴿ أَنْ تَضِلَّ ﴾ ؛ لأنه سبب الإذكار ؛ كما يقول الرجل : أعددت أن يميل الحائط فأدعنه ؛ وهو لا يطلب بإعداد ذلك ميلان الحائط ؛ واسكنه أخبر به الدعم وبسببه ، وقرأ أهل الكوفة : ﴿ فتدكر ﴾ رفساً ، وانظر الكتاب أيضاً ١ : ٤٧٦

أنواع الظلم والفساد، فتم أمره، وعظم شأنه، وجعل إيماءه أعظم من إيماء غيره، ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأُنس كلِّها في أصل المذاب؛ لافي وصفه .

\*\*\*

التاسع : التعليل بعلّ، كقوله تعالى : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، قيل : هو تلييل لقوله : ﴿اعْبُدُوا﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل لقوله : ﴿خَلَقَكُمْ﴾ .

وقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>؛ حيث لمع فيها معنى الرجاء رجعت إلى المخاطبين .

\*\*\*

العاشر : ذكر الحكم الكوئي أو الشرعي عقب الوصف المناسب له ، فغارة يذكر بأن ، وغارة بالقاء ، وغارة يجرّد .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله : ﴿خَاشِعِينَ﴾ . وقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup> .

والثاني : كقوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿الْإِنَانِيَةُ وَالْإِنَانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾<sup>(٧)</sup> .

والثالث : كقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آدْخُلُوها بِسَلَامٍ﴾<sup>(٨)</sup> . ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(٢) سورة الأنبياء ٨٩

(٤) سورة اللّٰه ٣٨

(٦) سورة الحجر ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٣) سورة الدّٰر ١٥ ، ١٦

(٥) سورة النور ٧

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

الحادى عشر : تمليله سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ...﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

وقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبْتَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى آيات

الافتراح ، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التى تأتى منه سبحانه ابتداء .

وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾<sup>(٦)</sup> ، فأخبر

سبحانه عما يمنع<sup>(٧)</sup> من إنزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه ، وإن عانيته وحكمته بخلقه

اقتضت منع ذلك ؛ بأنه لو أنزل عليه الملك ثم عابنوه ولم يؤمنوا به لعوجلوا بالعقوبة ،

وجعل الرسول بشراً ليمكنهم التلقى عنه والرجوع إليه . . . ولو جعله ملكاً ؛ فلما أن يدعه

على هيئته للملكية ، أو يجعله على هيئة البشر ؛ والأول ينعمهم من التلقى عنه ، والثانى

لا يحصل مقصوده ؛ إذا كانوا يقولون : هو بشر لا ملك .

\*\*\*

الثانى عشر : إخباره عن الحِكم والنايات التى جعلها فى خلقه وأمره ، كقوله :

(٢) سورة الزخرف ٣٣

(٤) سورة الإسراء ٩٠

(٦) سورة الأنعام ٨

(١) سورة البقرة ٢٧٧

(٣) سورة النورى ٢٧

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٧) م : « من » .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾<sup>(١)</sup> الآية.

وقوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا...﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

وقوله : ﴿وَأَلَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾<sup>(٣)</sup> الآية .

\*\*\*

وكما يقصِدون البسط والاستيفاء بقصِدون الإجمال والإيجاز ، كما قيل :

يَرْمُونُ بِالْمَطْلَبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَى لِلْمُلَاحِظِ خِفَةَ الرَّقَبَاءِ<sup>(٤)</sup>

وقوله : ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾<sup>(٥)</sup> .

(٢) سورة النبأ ٦

(١) سورة البقرة ٢٢

(٣) سورة النحل ٨٠

(٤) البيت لأبي دؤاد بن حريز الإيادي ؛ ذكره الملاحظ في البيان والتبيين ١ : ٤٤ ، ١٥٥

(٥) سورة الروم ٢١

## الأسلوب الثاني

### الحذف

وهو لفظة الإسقاط ؛ ومنه حذفُ الفِعْر إذا أخذت منه .

واصطلاحاً إسقاطُ جزء الكلام أو كله لدليل . وأما قول النحويين : الحذف لنور دليل ، ويسى اقتصاراً ؛ فلا تحريزَ فيه ، لأنه لا حذفَ فيه بالسكاية كما سنبينه فيما يليبس به الإيجازُ والإيجاز .

والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون [في الحذف] مَقْدَرٌ ؛ نحو : **﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾** <sup>(١)</sup> بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه . والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط للمضمر بقاء أثر القدر في اللفظ ، نحو : **﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** <sup>(٢)</sup> . **﴿وَيُذَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾** <sup>(٣)</sup> . **﴿أَتَتْهُوَ خَيْرًا لَكُمْ﴾** <sup>(٤)</sup> . أى اتوا أمراً خيراً لكم ؛ وهذا لا يشترط في الحذف . ويدل على أنه لا بد في الإضمار من ملاحظة القدر باب الاشتقاق ؛ فإنه من أضمرت الشيء ، أخفيته ، قال :

\* سبقت لها في مضمَرِ القلب والحشا \* <sup>(٥)</sup>

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) سورة الأحزاب ٧٤

(٥) بقيته :

(٢) سورة الدھر ٣١

(٤) سورة النساء ١٧١ وانظر الكشف ١ : ٤٦٠

\* سَرِيْرَةٌ وَهِيَ يَوْمٌ تُبْلَى السَّرَائِرُ \*

من أبيات لبها صاحب اللسان ( ١٦٢ : ٦ ) لدى الأحوس بن محمد الأصارى .

وأما الحذف ؛ فمن حذف الشيء قطعه ؛ وهو يُشعر بالطرح ، بخلاف الإختصار ، ولهذا قالوا : « أن » تنصب ظاهرة ومضمرة .

ورد ابن ميمون قول النحاة : إن الفاعل <sup>(١)</sup> يحذف في باب المصدر ، وقال : الصواب أن يقال : يضرر ولا يحذف ؛ لأنه عمدة في الكلام .

وقال ابن جنى في « خاطرياته » : من اتصال الفاعل بالفاعل أنك تضمرة في لفظ إذا عرّفه نحو قم ؛ ولا تحذفه <sup>(٢)</sup> كحذف للبتداء ؛ ولهذا لم يميز عندنا ما ذهب إليه الكسائي في « ضربني ، وضربت قومك » .

## فصل

[ في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور ]

المشهور أن الحذف مجاز ؛ وحكى إمام الحرمين <sup>(٣)</sup> في « التلخيص » عن بعضهم : أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف : وحذف للضاف هو عين المجاز أو معطوفه ؛ وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازاً . انتهى . وقال الزنجاني في « للميار » <sup>(٤)</sup> : إنما يكون مجازاً إذا تغير بسببه حكم <sup>(٥)</sup> ؛

(١) كذا في ت ، وفي م : « بأن » . (٢) ساقطة من م .

(٣) هو أبو للمعال عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ ؛ ولنا به تلخيص التقريب ؛ ذكره ابن خلكان ١ : ٨٧ .

(٤) هو كتاب ميار النظر في علوم الأسماء لمز الدين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ؛ منه نسخة مخطوطة يدار الكتب المصرية برقم ١٣٦ م أدب .

(٥) م : « إذا تغير به حكمه » .

فأما إذا لم يتغير به حكم ، كقولك : زيد منطلق وعمره ، بحذف الخبر ؛ فلا يكون مجازاً  
إذا لم يتغير حكم ما بقي من الكلام .  
والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالحذف ليس كذلك ،  
لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره .. وهو المجاز العقلي .. فالحذف كذلك .

## فصل

[ في أن الحذف خلاف الأصل ]

والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه ينبغي فرعان :  
أحدهما : إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحل على عدمه أولى ، لأن لأصل  
عدم التفسير .

والثاني : إذا دار الأمر بين قلة الحذف وكثرته ؛ كان الحل على قلته أولى .

[ أوجه الكلام على الحذف ]

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه : في فائدته ، وفي أسبابه ، ثم في أدلته ، ثم في  
شروطه ، ثم في أقسامه .

[ فوائد الحذف ]

الوجه الأول في فوائده :

فمنها التفتيح والإعظام ؛ لما فيه من الإيهام ، لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشوئه  
إلى ما هو المراد ، فيرجع<sup>(١)</sup> قاصراً عن إدراكه ، فنشد ذلك يعظم شأنه ، ويدلو في  
النفس مكانه . ألا ترى أن الحذف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يحتاج في الوم من  
المراد ، وخلّص للذكور

(١) م : « يرجع » ، وما انتهى من ت .



ومنها : زيادة لثة بسبب استنباط الذهن للحذوف ، وكلما كان الشعور بالحذوف أعسر ، كان الالتئاذ به أشد وأحسن .

ومنها : زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ؛ بخلاف غير الحذوف ، كما تقول في اللمة للسقنطة والمنصوصة .

ومنها : طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .

ومنها : التشجيع على الكلام ؛ ومن ثم سماه ابن جني : « شجاعة العربية » .

ومنها : موقفه في النفس في موقفه على الذكر ؛ ولهذا قال شيخ الصناعتين عبدالقاهر الجرجاني : ما من آسم حُذِفَ في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره . والله در القائل :

إذا نطقت جاءت بكلّ مكيحة وإن سكنت جاءت بكلّ مليح

[ أسباب الحذف ]

الثاني في أسبابه :

فمنها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر ، نحو : الهلال والله ، أي هذا ، فحذف للبتداء استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول .  
ومنها : التنبيه على أن الزمان يقتصر عن الإتيان بالحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت اللهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير ؛ نحو : إياك والشر ، والطريق الطريق ، الله الله . وباب الإغراء هو لزوم أمر بمحمد به ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ <sup>(١)</sup> على التحذير ؛ أي احذروا ناقة الله فلا تبروها ، و « سقياها » إغراء بتقدير الزموا ناقة الله .

ومنها التضييع والإعظام ؛ قال حازم في « منهاج البلاء » : إنما يحسن الحذف ما لم

يشكل به اللحن ، لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تحديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسامة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا القصد يؤثر في اللواضع التي يراد بها التعجب والتعويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾<sup>(١)</sup> فحذف الجواب ؛ إذ كان وصف ما يملونه ويقومونه عند ذلك لا يقتضى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وترك النفوس تهدر ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

قلت : ومنه : ﴿ فَفَشَّيْهِمْ مِنْ آلِئِمٍّ مَا غَشَّيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ما لا يعلم كنهه إلا الله ، قال الزمخشري : وهذا من باب الاختصار ومن جوامع الكلم للتحفة مع قلة المعاني الكثيرة .  
ومنها : التخفيف ؛ لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، في نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾<sup>(٣)</sup> وغيره . قال سيديويه : العرب تقول لا أدر ؛ فيحذفون الياء ، والوجه « لا أدرى » ، لأنه رفع ، وتقول : « لم أبل » ، فيحذفون الألف ، والوجه « لم أبال » . ويقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون ؛ كل ذلك يفعلونه استخفافاً لكثرتهم في كلامهم .

ومنها : حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق ، نحو « الضارباً زيداً » و « الضاربو زيداً » وقراءة من قرأ : ﴿ وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ ﴾<sup>(٤)</sup> كأن النون تاجية ، فملوا ذلك لاستطالة الوصول

(١) سورة طه ٧٨

(١) سورة الزمر ٧٣

(٢) سورة الحج ٣٥ بالنصب وهي قراءة أبي

(٣) سورة يوسف ٢٩

عمرو ؛ على نون النون ؛ وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم ؛ وأشد سيديويه .

الحافظون عورة المشيرة لا يأتينهم من ورائنا نطف

واظفر الكتاب ١ : ٩٠ ، وتفسير القرطبي ١٢ : ٥٩

في العلة ، نحو : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾<sup>(١)</sup> حذف الياء للتخفيف .

ويحكى عن الأخفش أن التورج السدوسي سأل : [عن ذلك] قال : لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، فقبل ، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشئ عن معناه قصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، قص منه حرف ، كما في قوله : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُكُ بَغِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> ، الأصل « بنية » فلما حوّل وقيل عن فاعل قص منه حرف . انتهى .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾<sup>(٤)</sup> ونحوه . وقال الرماني : إنما حذف الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك كالتوقي التي لا يوقف عليها بغير ياء .

ومنها : أن يُحذف صيانة له ؛ كقوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَلَائِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ حذف للبتداء في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب ، أي هو رب السموات . والله ربكم . والله رب الشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتفضيلاً ، فاقصر على ما يستدل به من أفضاله الخاصة به ، ليمرّفه أنه ليس كمثل شئ . وهو السميع البصير .

ومنها : صيانة اللسان عنه ، كقوله تعالى : ﴿صُمُّ بَكْمُ عُيٌّ﴾<sup>(٧)</sup> ، أي هم .

(٢) سورة مريم ٢٨

(١) سورة الفجر ٤

(٤) سورة الفجر ٤

(٣) سورة الضحى ٣

(٥) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨ والآيات بنماها : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَلَائِكِينَ .

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لَيْنَ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجَئِلُونَ . قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ .

(٦) سورة البقرة ١٨

ومنها : كونه لا يصلح إله ، كقوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعلمه سواء ، قال الزمخشري : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان اللقال ، كقول رؤية : خير ، جواب من قال : كيف أصبحت ؟ لحذف الجار ، وعليه حمل قراءة حمزة : ﴿نَسَاءُ تُؤْنِ بِهِ وَأَلُّرْحَامُ﴾<sup>(٣)</sup> لأن هذا مكان شهر بذكر الجار ، قامت الشهرة مقام الذكر .

وكذا قال القارسي مخلصاً من عدم إعادة حرف الجر في المعطوف على الضمير المجرور : إنه مجرور بالجار للتقدير ، أى و « بالأرحام » وإنما حذف استثناء به في الضمير المجرور قبله .

فإن قلت : هذا للتدريج في المسألة ؛ لأنه يصير من عطف الجار والمجرور على مثله ! قلت : إعادة الجار شرط لصحة المعطف ؛ لا أنه مقصود لقائه .

### [ أدلة الحذف ]

الوجه الثالث في أدلته :

ولما كان الحذف لا يجوز إلا لدليل احتجج إلى ذكر دليله .

والدليل تارة يدل على محذوف مطلق ، وتارة على محذوف معين .

فنها : أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمانة إلا بمجزة .

ومنها : أن تدل عليه العادة الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةَ﴾<sup>(٥)</sup>

(٢) سورة البروج ١٦

(٤) سورة يوسف ٨٧

(١) سورة المؤمنون ٩٢

(٣) سورة النساء ١

(٥) سورة النحل ١١٥

فإن الذات لا تنصف بالحل والحرمة شرعا ، وإنما هما من صفات الأفعال الواقعة على القوات ، فلم أن الحذف التناول ؛ ولكنه لما حذف وأقيمت للية مقامه أسند إليها الفعل ، وقطع النظر عنه ، فذلك أنث الفعل في بعض الصور ، كقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقول صاحب التلخيص <sup>(٢)</sup> : إن هذه الآية من باب دلالة العقل بمنوع ، لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة ، فلماذا جلتاه من دلالة المادة الشرعية .

ومنها : أن يدل العقل عليهما ، أى على الحذف والتميين ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى أمره أو عذابه أو ملائكته ؛ لأن العقل دل على أصل الحذف ، ولا استحالة مجيء الباري عقلا ؛ لأن الحجيء من سمات الحدوث . ودل العقل أيضا على التمييز ، وهو الأمر ونحوه ، وكلام الرغزباني يقتضى أنه لا حذف البتة ؛ فإنه قال : هذه الآية <sup>(٤)</sup> الكريمة تمثيل ؛ مثلث حاله سبعائه وتعالى في ذلك بحال لللك إذا حضر بنقسه . وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ <sup>(٥)</sup> ؛ لأنه في معرض التوحيد ، فعدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة ، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء للزوم ضرورة ، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغا لها .

ومنها : أن يدل العقل على أصل الحذف ، وتدل عادة الناس على تمييز الحذف ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ لَسَكَنَّ الَّذِي لَمْ تُغْنِي فِيهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفا للوأمين ؛ فمعين أن يكون غيره ؛ فقد دل العقل على أصل الحذف . ثم يجوز أن يكون الظرف حبة ، بدليل : ﴿ شَفَّهَهَا حَبًا ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أو مرادوته بدليل : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا ﴾ <sup>(٨)</sup> ، ولكن

(١) تلخيص للفتح الغليلي التزويدي .

(٤) الكشف ٤ : ١٠٠

(٦) سورة يوسف ٣٧

(١) سورة المائدة ٣

(٣) سورة الفجر ٢٢

(٥) سورة الأنبياء ٢٢

(٧) سورة يوسف ٣٠

القول لا يمين واحدًا منها ؛ بل المادة دلت على أن المحذوف هو الثاني ، فإن الحب لا يلام عليه صاحبه ؛ لأنه يقهره ويغلبه ، وإنما اليوم فيا للنفس فيه اختيار ، وهو للراودة ، لقدرة على دفعها .

ومنها : أن تدلّ المادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى مكان قتال ، وللراد مكانًا صالحًا للقتال ، لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال ؛ والمادة تمنع أن يريدوا : لو نعلم حقيقة القتال ؛ فذلك قدّره مجاهد : « مكان قتال » .

وقيل : إن تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا المادة .

ومنها : أن يدلّ اللفظ على الحذف ، والشروع في الفعل على تعيين المحذوف كقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفًا ؛ لأن حرف الجر لا بدّ له من متعلق ودلّ الشروع على تعيينه ؛ وهو الفعل الذى جعلت التسمية في مبدئه ؛ من قراءة ، أو أكل أو شرب ونحوه ، ويقدر في كل موضع ما يليق ، ففي القراءة : أقرأ ، وفي الأكل : آكل ؛ ونحوه .

وقد اختلف : هل يقدر الفعل أو الاسم ؟ وعلى الأول ، فهل يقدر عام كالإهداء أو خاص كما ذكرنا ؟

ومنها اللنة كضربت ؛ فإن اللنة قاضية أن الفعل للتدعى لا بدّ له من مفعول ؛ نعم هي تدلّ على أصل الحدث لا تعيينه . وكذلك حذف للبدا والخبر .

ومنها : تقدم ما يدلّ على المحذوف وما فى سياقه ، كقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفى موضع آخر نحو : ﴿ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وفى موضع :

(٢) سورة الفاتحة ١

(٤) سورة ص ٧٥

(١) سورة آل عمران ١٦٧

(٣) سورة الصافات ١٧٩

﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾<sup>(١)</sup> . وكتوبه : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾<sup>(٢)</sup> أى هذا ،  
بدليل ظهوره في سورة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> ، ونظائره .  
ومنها اعتضاده<sup>(٤)</sup> بسبب النزول ؛ كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾<sup>(٥)</sup> ،  
فإنه لا بد فيه من تقدير فقال زيد بن أسلم : أى قمتم من المضاجع - يعنى النوم - وقال غيره :  
إنما يعنى إذا قمتم محدثين .

واحجج زيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضى الله عنها عيها ،  
فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح ، فطلبوا الماء عند قيامهم من نومهم فلم يجدوه ؛ فأنزل  
الله هذه الآية .

وبما رُجع من طريق النظر بأن الأحداث للذكورة بعد قوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾<sup>(٦)</sup>  
الأولى أن يحمل قوله ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ معنى غير الحدث ، لما فيه من زيادة الفائدة ، فكون  
الآية جامعة للحدث ولسبب الحدث ؛ فإن النوم ليس يحدث بل سبب للحدث .

### [ شروط الحذف ]

الوجه الرابع في شروطه :

فنها : أن تكون في المذكور دلالة على الحذف ؛ إما من لفظه أو من سياقه ، وإلا  
لم يتمكن من معرفته ، فيصير اللفظ محلاً بالقيم . ولثلاث بصير الكلام لثلاث فيجب<sup>(٧)</sup> في  
القصاحة ، وهو معنى قولهم : لا بد أن يكون فيها أبقى دليل على ما ألقى .  
وتلك الدلالة مقالية وحالية .

فالقالية قد تحصل من إعراب اللفظ ، وذلك كما إذا كان منصوباً ، فيعلم أنه لا بد له

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٤-٤) ساقط من ت

(٦) ت : « فيهر »

(١) سورة الأعراف ١٢

(٣) سورة إبراهيم ٥٧

(٥) سورة المائدة ٦

من ناصب، وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بد من أن يكون مقدراً، نحو : أهلاً وسهلاً ومرحباً، أى وجدت أهلاً، وسلكت سهلاً، وصادفت رحباً . ومنه قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾<sup>(١)</sup> على قراءة النصب . وكذلك قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾<sup>(٢)</sup> والتقدير : احذوا الحذر ، واحفظوا الأرحام ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِنْفَةً ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والنظر العلم ؛ فإنه لا يتم إلا بمحذوف، وهذا يكون أحسن حالا من النظم الأول لزيادة عمومه ، كافى قولهم : فلان يحمل ويربط ، أى يحمل الأمور ويربطها ، أى ذو تصرف .

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير ؛ كقولهم فى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٥)</sup> : إن التقدير لأننا أقسم لأن فعل الحال لا يقسم عليه . وقوله تعالى : ﴿ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، التقدير : لا تفتأ ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون، كقوله : ﴿ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثَنَّ ﴾<sup>(٧)</sup>

وهناك عند قيام دليل واحد ، وقد يكون هناك أدلة يتمدد التقدير بحسبها ، كافى قوله تعالى : ﴿ أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾<sup>(٨)</sup> ، فإنه يحتمل ثلاثة أمور : أحدها : كمن لم يزین له سوء عمله ، والمعنى : ﴿ أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ

(١) سورة الفاتحة ٢٢ قال أبو عبد الله القرطبي : « وروى عن سليمان بن عيينة ورؤية بن السجاج ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ ، بنصب الدال ، على إضمار فعل . وقراءة الرقع هى قراءة الفراء السبعة وجمهور الناس . الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٣٥

(٣) سورة البقرة ١٣٨

(٢) سورة النساء ١

(٥) سورة القیامة ١

(٤) سورة الحج ٧٨

(٧) سورة التغاين ٧

(٦) سورة يوسف ٨٥

(٨) سورة ظر ٨



حَسَنًا<sup>(١)</sup> من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما ، كن لم يزين له ١ ثم كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له ذلك ، قال : لا ، قيل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ثانيها : تقدير : ذهبتْ نَفْسُكَ عليهم حَسْرَاتٍ خُذِفَ الخبر لدلالة ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ .

ثالثها : تقدير : « كن هداه الله » ، خُذِفَ لدلالة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

واعلم أَنَّ هذا الشرط إما أَن يُحْتَاجَ إليه إِذَا كَانَ المَحْذُوفُ الجُمْلَةُ بِأَسْرَها ؛ نحو : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، أَوْ سَلَّمْنَا سَلَامًا ، أَوْ أَحَدُ رَكْنَيْهَا نحو : ﴿ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> أَوْ « سلام عليكم أَنتم قوم منكرون » ، خُذِفَ خبر الأولى ومبتدأ الثانية .

وَأَمَّا إِذَا كَانَ المَحْذُوفُ فَضْلَةً فَلَا يَشْتَرُطُ لِحْذَفِهِ دَلِيلٌ ؛ وَلَكِنْ يَشْتَرُطُ أَلَّا يَكُونَ فِي حِذْفِهِ إِخْلَالٌ بِالْمَعْنَى أَوْ بِاللَّفْظِ ، كَأَنَّهُ حِذْفُ الْعَائِدِ لِلنَّصُوبِ وَمَحْوُهُ .

وَشَرَطَ ابْنُ مَالِكٍ فِي حِذْفِ الْجَارِ أَيْضًا أَمَّنَ الْقَبْسَ ، وَمَنْعَ الْحَذْفِ فِي نَحْوِ : رَغِبْتُ أَنْ تَفْعَلَ ، أَوْ عَنْ أَنْ تَفْعَلَ ، لِإِشْكَالِ الرَّرَادِ بِعَدِ الْحَذْفِ .

وَأُورِدَ عَلَيْهِ ﴿ وَتَرْتَابُونَ أَنْ تَنْفَكِحُوهُنَّ ﴾<sup>(٦)</sup> ، خُذِفَ الحرف .

وَجَوَابُهُ أَنَّ النِّسَاءَ يَشْتَمِلْنَ عَلَى وَصْفَيْنِ ، وَصِفِ الرِّغْبَةِ فِيهِنَّ وَعَنِينَ ، خُذِفَ لِلتَّعْظِيمِ .

(٢) سورة هود ٦٩

(١) سورة طه ٨

(٤) سورة النساء ١٢٧

(٣) سورة القاريات ٢٥

وشرط بعضهم في الدليل اللفظي أن يكون على وفق المحذوف . وأنكر قول القراء في قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾<sup>(١)</sup> أن التقدير : بَلَى حسبنا قادرين ، والحساب للذكور بمعنى الظن ، والمحذوف بمعنى العلم ؛ إذ التردد في الإعادة كفر ، فلا يكون مأمورا به .

ويجيب بأن الحساب للتقدير بمعنى الجزم والاعتقاد ؛ لا بمعنى الظن ، وتقديره بذلك أولى ، لموافقته للفظ .

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع أخر :  
منها - وهو أقواها ، كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْغَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾<sup>(٢)</sup> أى أمره ، بدليل قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقوله في آل عمران : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى كعرض ؛ بدليل التصريح به في آية الحديد<sup>(٥)</sup> .

وفيه إيحاء بليغ ؛ فإنه إذا كان العرض كذلك ، فما ظنك بالعاول ! كقوله : ﴿ بَطَّأْتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقيل : إنما أراد التعظيم والسعة لأحقية العرض ، كقوله :  
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَلَائِفِ الْمَظْلُومِ كِفَّةُ حَابِيلٍ  
ومنها : ألا يكون الفعل طالبا له بنفسه<sup>(٧)</sup> ، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل ، ومفعول ما لم يسم فاعله ، واسم كان وأخواتها ، وإنما لم يحذف لما في ذلك من قبح الفرض .

(٢) سورة الأنعام ١٠٨

(١) سورة التيامة ٤٠٣

(٤) سورة آل عمران ١٣٣

(٣) سورة النحل ٣٣

(٥) آية ٢١ : وهو قوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَفْزَعٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الرحمن ٥٤ قال صاحب الكشاف : « إذا كانت البطائن من إستبرق ، فما ظنك بالظواهر ! » .  
(٧) ت : « بيينة » .

ومنها: قال أبو الفتح بن جنى : ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط؛ لأن طرف الشيء أضف من قلبه ووسطه ، قال تمال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال الطائي الكبير<sup>(٢)</sup> :

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ الْمُنَوَّعَ فَاسْتَلَيْتُ مَا حَوْلَهَا الْخَلِيلُ حَتَّى أَصْبَحْتُ طَرَفًا  
فَكَانَ الطَّرَفَيْنِ سِيَاحَ الْوَسَطِ وَمَبْذُولَانِ لِلْمَوَارِضِ دُونَهُ ، ولذلك تجمد الإعلال عند التصريفيين ، بالحذف منها<sup>(٣)</sup> ، غذفوا الفاء في المصادر من باب وعد ، نحو العدة والزنة والهبة واللام في نحو اليد والهم والنم والأب والأخ ، وقلما تجمد الحذف في المين لما ذكرناه ، وبهذا يظهر لطف هذه اللغة العربية .

## تَشْبِيَهَات

الأول: قد توجب صناعة النحو التنديد وإن كان المعنى غير متوقف عليه؛ كما في قوله: « لا إله إلا الله » فإن الخبر محذوف ، وقدّره النحاة بـ « موجود » أو « لنا » .  
وأنكره الإمام غفر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرهم فاسد ، لأن نفي الحقيقة مطلقة أهم من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقا كان ذلك دليلا على سلب للماهية مع القيد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .  
ولا معنى لهذا الإنكار ؛ فإن تقدير « في الوجود » ، يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً فإنّ العدم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة المطلقة لا مقيدة . ثم لا بدّ من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ، ظاهراً أو مقدراً ؛ وإنما يقدّر النحويّ القواعد حقها وإن كان المعنى مفهوماً ، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث

(١) سورة الرعد ٤١

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوانه ٧ : ٣٧٤ .

(٣) أي من الأطراف .

اللفظ مثالا ، لا من حيث اللفظ ، ولم تقديراً : إعراباً ، وهو الذى خفي على المعترض ، ومعنوى وهو الذى أُلِمَّ ، وهو غير لازم .

ومن النكر فى هذا أيضاً قول ابن الطراوة : إن الظاهر فى هذا « إلا الله » ، وكيف يكون المبتدأ نكرة والظهير معرفة !

الثانى : اعتبر أبو الحسن فى الحذف التدرج حيث أمكن ؛ ولهذا قال فى قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> : إن أصل الكلام : « يوم لا تجزى فيه » لحذف حرف الجر ، فصار « تجزى » ، ثم حذف الضمير فصار « تجزى » وهذا ملاطفة فى الصناعة ، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة .

وقال أبو الفتح<sup>(٢)</sup> فى « المحتسب » : وقول أبى الحسن أوثق فى النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معاً فى وقت واحد .

الثالث : للشهور فى قوله تعالى : ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ﴾<sup>(٣)</sup> ، أنه معطوف على جملة محذوفة ، التقدير : « فضرِبَ فأنفجرت » ، وذنَّ « انفجرت » على المحذوف ، لأنه يُعلم من الانفجار أنه قد ضربَ .

وكذا : ﴿أَنْ اضْرِبْ بِمِصَاكِ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقْ﴾<sup>(٤)</sup> ، إذ لا جائز أن يحصل الانفجار والافتراق دون ضرب .

وابن عصفور يقول فى مثل هذا : إن حرف المعطف للذكور مع للمعطوف هو الذى كان مع للمعطوف عليه ، وإن المحذوف هو للمعطوف عليه ، وحذف حرف المعطف من المعطوف ،

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ؛ وكتابه

(١) سورة البقرة ٤٨

المحتسب فى إعراب التواذ ؛ تنشر بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر . (٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الشعراء ٦٣

فالهاء في « اغلق » هو هاء النقل المحذوف وهو « ضرب » فذكرت فاؤه وحذف ضلها  
وذكر فعل « اغلق » وحذفت فاؤه ليدلّ للذكور على المحذوف ؛ وهو تحمّل غريب .

### [ أقسام الحذف ]

الخامس في أقسامه :

الأول : الاختطاع ، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي ، كقوله :

• دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالِيمٍ قَابَانٍ •

أى للنازل ، وأنكر صاحب « للتل السائر »<sup>(١)</sup> ورود هذا النوع في القرآن العظيم ،  
وليس كما قال .

وقد جعل منه بعضهم فوائح السور ؛ لأن كل حرف منها يدلّ على اسم من أسماء الله  
تعالى ، كما روى ابن عباس « آلم » معناه : « أنا الله أعلم وأرى » ، و « آلمس » أنا الله  
أعلم وأفضل ؛ وكذا الباقي .

وقيل في قوله : ﴿ وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> : إن الباء هنا أول كلمة « بعض » ثم  
حذف الباقي ، كقوله<sup>(٣)</sup> :

• قلت لما قني لنا قالت قاف •

أى وقتت ، وفي الحديث : « كفى بالسيف شا » أى شاهدا .

(١) التل السائر لابن الأثير ٢: ١١٣ ؛ قال : « وأعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئا لا يجوز  
العباس عليه ، كقول بعضهم [ علقمة بن عبدة ] :

كَأَنَّ لِمُرْقُفِهِمْ ظُلْمًا عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلُثُومٌ  
فقوله : « سبَا الكتان » ، يريد : « سيائب الكتان » ، وكذلك قول الآخر :

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَاشِرٍ لِحُجُوبِهَا فَكَاثِمًا تُذَكِّي سَنَا بَكْمِهَا الْحَبَا  
فهذا وأمثاله مما يجمع ولا يحسن ؛ وإن كانت العرب استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نستعمله .

(٢) سورة المائدة ٦ (٣) هو الوليد بن عتبة ، وبهذه :

• لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافَ •

وانظر شواهد النافية ٢٧١ ، والخصائص ٣٠٠٦

وقال الزخشرى في قوله : « من الله » في القسم : إنها « أيمن » التي تستعمل في القسم ، حذفت نونها<sup>(١)</sup> .

ومن هذا الترخيم ، ومنه : قراءة بعضهم : ﴿ يَا مَالٍ ﴾<sup>(٢)</sup> على لغة من يَنْتَظِرُ ، ولما سمعها بعضُ السلف قال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجّزوا عن إتمام الكلمة .

\*\*\*

الثاني : الاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ؛ فيكتفى بأحدهما عن الآخر ، ويخصّ بالارتباط المطلق غالباً ؛ فإن الارتباط خمسة أنواع ؛ وجودى ، وزوى ، وخبرى ، وجوابى ، وعطفى .

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق ؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاختصار عليه .

وللشهور في مثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَرَّائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾<sup>(٣)</sup> أى والبرد ، هكذا قدروه . وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحرّ بالذُّكْرِ . وأجابوا بأن الخطاب للعرب ، وبلادهم سرة ، والوقاية عندهم من الحرّ أهم ؛ لأنه أشدّ من البرد عندهم .

والحق أن الآية ليست من هذا القسم ، فإن البرد ذُكرَ الامتنانُ بوقايته قبل ذلك صريحاً في قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِنَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) انظر المفصل ٣٤٤ ، وابن ينيش ٩ : ٩٢ (٢) هي قراءة ابن مسعود الآية ٧٧ الزخرف :

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثُكَ ﴾ ؛ وانظر الكشف ٤ : ٢٠٨

(٤) سورة النحل ٨٠

(٣) سورة النحل ٨١

الْجِبَالِ أَكْثَانًا<sup>(١)</sup>، وقوله في صدر السورة: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْعًا<sup>(٢)</sup>﴾ .  
 فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوقاتين بعد قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ  
 غِلَظًا<sup>(٣)</sup>﴾؛ فإن هذه وقاية الحر، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْثَانًا<sup>(٤)</sup>﴾،  
 فهذه وقاية البرد على عادة العرب؟

قيل: لأن ما تقدم بالنسبة إلى الساكن، وهذه إلى اللابس، وقوله: ﴿وَجَعَلَ  
 لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْثَانًا<sup>(٥)</sup>﴾ لم يذكره<sup>(٦)</sup> السهيلي، وفيه الجوابان السابقان .  
 وأمثلة هذا القسم كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَاسْكِنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ<sup>(٧)</sup>﴾  
 فإنه قيل: المراد: «وما تحرك»، وإنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق  
 من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثر عددًا من المتحرك. أو لأن كل متحرك يصير  
 إلى السكون، ولأن السكون هو الأصل، والحركة طارئة .

وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ<sup>(٨)</sup>﴾ تهديره «والشر»، إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله؛  
 وإنما أثر ذكر الخير؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجودًا في العالم  
 من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم:  
 «والشر ليس إليك» .

وقيل: إن الكلام إنما ورد ردًا على المشركين فيما أنكروه مما وعده الله به على لسان  
 جبريل، من فتح بلاد الروم وفارس؛ ووعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك؛  
 فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال .

(٢) سورة النحل

(٤) سورة الأنعام ١٣

(١) سورة النحل ٨١

(٣) م: «و لم ينقله» .

(٥) سورة آل عمران ٢٦

وقوله : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ <sup>(١)</sup> أى والشهادة ؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر الغيب لأنه أبعد <sup>(٢)</sup> ، ولأنه يستلزم <sup>(٣)</sup> الإيمان بالشهادة من غير عكس .  
ومثله : ﴿أَمْ يَحْسَبُ لَهُ رَئِىُّ أَمْدًا . عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى وَالشَّهَادَةِ ، بدليل  
التفصيح به فى موضع <sup>(٥)</sup> آخر .

وقوله : ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات  
والرعد والبرق ، وطوى الباقي .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْعُرْثُ فِي الْبَحْرِ﴾ <sup>(٧)</sup> أى والبر ، وإنما أثر ذكر  
البحر لأن ضرره أشد .

وقوله : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ السَّمَاءِ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى وللغارب .

وقوله : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ <sup>(٩)</sup> ، أى ولا غير إلحاف .

وقوله : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، أى وأخرى غير قائمة .

وقوله : ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ <sup>(١١)</sup> ، أى وللؤمنين .

وقوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، أى والكافرين . قاله ابن الأنباري ، ويؤيده

قوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ <sup>(١٣)</sup> .

(١) سورة البقرة ٣ (٢) كفائى ت ، وفى م : « أمدح » .

(٣) ت : « مستلزم » .

(٤) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦

(٥) ذكر الغيب مع الشهادة فى القرآن فى أكثر من موضع ؛ منها قوله تعالى فى الأنعام ٧٣ :

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ، وفى التوبة ٩٤ : ﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ؛ و ١٠٠ : ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وغير هذا كثير .

(٦) سورة البقرة ٢٠

(٨) سورة الصافات ٥

(٩) سورة الإسراء ٦٧

(١٠) آل عمران ١١٣

(١١) سورة البقرة ٢٢٣

(١٢) سورة البقرة ٢

(١٣) سورة الأنعام ٥٥

(١٤) سورة البقرة ١٨٥



وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل . للنفى وآخر كافر به ، فحذف  
المطوف لدلالة قوة الكلام ، من جهة أن أول الكفر وآخره سواء ، وخصت الأولوية  
بالذكر لقبها بالابتداء .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى  
ويستطعن ، قاله الفارسي .

وحكى في « التذكرة »<sup>(٣)</sup> عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا  
لِتُجْزَى ﴾<sup>(٤)</sup> أن للنفى : « أكاد أظهرها أخفيها لتجزى » ، فحذف « أظهرها » لدلالة  
« أخفيها » عليه .

قال : وعندى أن للنفى : « أزيل خفاءها » ، فلا حذف .

وقوله : ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى بين أحد وأحد<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى ومن أنفق  
بمده وقاتل ، لأن الاستواء يطلب اثنين ؛ وحذف المطوف لدلالة الكلام عليه ؛ ألا  
تراه قال بمده : ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَسْتَنْسِكَفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(٩)</sup> ،  
أى ومن لا يستنكف ولا يستكبر ؛ بدليل التقسيم بمده بقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(١٠)</sup>  
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْسَكَفُوا ﴾<sup>(١١)</sup> .

(١) سورة البقرة ٤١

(٢) سورة الملك ١٩

(٣) كتاب التذكرة للعروفي جذكرة أبي علي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في  
مجلدات محضه أبو الفتح عثمان بن جني النحوي » .

(٤) سورة طه ١٥

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(٦) ت : « واحد وواحد » .

(٧) سورة الحديد ١٠

(٨) سورة النساء ١٧٢

(٩) سورة النساء ١٧٣

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَدِينَهُم مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فاكثفى هنا بذكر الجهات الأربع عن الجهاتين .  
وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، الاكتفاء بجهتين عن سائرهما .

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِّنْهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٣)</sup>، أى ولم تميدنى .  
وقوله: ﴿إِنْ أَمْرُوهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾<sup>(٤)</sup>، أى ولا والد؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف؛ وإنما يكون ذلك مع صد الأب؛ فإن الأب يُسقطها .

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَمَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup>  
ولم يذكر القسم الآخر الذى تقتضيه «أما»؛ إذ وضعا لتفصيل كلام مجمل؛ وأقل أقسامها قسمان، ولا ينفك عنهما فى جميع القرآن إلا فى موضعين هذا أحدهما؛ والتقدير: وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحا فلا يكون من المفلحين . والثانى فى آل عمران: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْنٌ﴾<sup>(٦)</sup> إلى قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٧)</sup> هذا أحد القسمين، والقسم الثانى ما بعده، وتقديره: وأما الراستخون فى العلم فيقولون .

وقوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، أى وفصلا غير الذى أمروا به؛ لأنهم أمروا بشيئين: بأن يدخلوا الباب سجدا، وبأن يقولوا حطة، فبدلوا القول فى «حطة» «حطة» وبدلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم؛ ولم يدخلوا ساجدين؛ والمضى: لإرادتنا حطة، أى حط عنا ذنوبنا .

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُمُ

(٢) سورة فصلت ١٤

(٤) سورة النساء ١٧٦

(٦) سورة آل عمران ٧

(١) سورة الأعراف ١٧

(٣) سورة الشعراء ٢٢

(٥) سورة القصص ٦٧

(٧) سورة البقرة ٥٩

وَلَا تَحْرُورُ<sup>(١)</sup> ، قال ابن عطية : دخول « لا » على نية التكرار كأنه قال : ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، واستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ؛ ودلّ بمذكور الكلام على متروكه .

وقوله : ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْغَلِيظَ الْأَبْيَضُ مِنَ الْغَلِيظِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾<sup>(٢)</sup>  
فإن قيل : ليس للفجر خيط أسود ، إنما الأسود من الليل .

فأجيب : إن ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ متصل بقوله : ﴿ الْغَلِيظَ الْأَبْيَضُ ﴾ وللمنى : حتى يبين لكم الغليظ الأبيض من الفجر من الغليظ الأسود من الليل ؛ لكن حذف « من الليل » لدلالة الكلام ثم عليه ولوقوع الفجر في موضعه ؛ لأنه لا يصح أن يكون ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ متعلقاً بالغليظ الأسود ؛ ولو وقع ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ في موضعه متصلاً بالغليظ الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف ؛ وهو « من الليل » حذف « من الليل » للاختصار ، وآخر « من الفجر » للدلالة عليه .

\*\*\*

الثالث : من هذا قسم يسمى الضمير والتمثيل ؛ وأعنى بالضمير أن يضم من القول المجاور لبيان أحد جزأيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مسكر فهو حرام ، فإنه أضمر « وكل مسكر حرام » .

ويكون في القياس الاستثنائي ، كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انفضوا من حوله ؛ وهى للضمرة ؛ واتفق عنه صلى الله عليه وسلم أنه فظ غليظ القلب .

(٢) سورة البقرة ١٨٧

(٤) سورة آل عمران ١٠٩

(١) سورة طاهر ١٩ - ٢١

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛  
المعنى لو أنهم سمعوا لما أبدى فيهم التعظيم ؛ فكيف وقد سلبوا القوة القاهرة ! فليعلم بذلك  
أنهم مع انتفاء الفهم أحقُّ بقصد القبول والمهذبة .

\*\*\*

الرابع : أن يستدلَّ بالفضل لشئيين وهو في الحقيقة لأحدهما ؛ فيضمر للآخر فضل  
يناسبه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾<sup>(٢)</sup> أى واعتقدوا الإيمان .  
وقوله تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا نَفَيْتُكَ وَزَفِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> ، أى وشموا لها زفيراً .  
وقوله تعالى : ﴿لَهَذَمْتُ صَوَائِغُ وَيَسَّعُ صَلَوَاتُ﴾<sup>(٤)</sup> ، والصلوات لا تهزم ؛  
فالتقدير : ولزكت صلوات .

وقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فالفاكهة ولحم الطير والخور المين  
لا تطوف ، وإنما يطاف بها .

وأما قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> ، فنقل ابن فارس عن  
البصريين أن الواو بمعنى «مع» أى شركاءكم ، كما يقال : لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ؛  
أى مع فصيلها .

وقال الآخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم ، اعتباراً بقوله تعالى : ﴿وَأَدْعُوا  
مَنْ أَسْتَفْتَيْتُمْ﴾<sup>(٧)</sup> .

واعلم أن تقدير فضل محذوف لثاني ليصح المطف هو قول الفارسي والفراء وجاعة  
من البصريين والكوفيين لتدثر المطف . وذهب أبو عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم  
إلى أن ذلك من عطف للتردات ، وتضمن المامل معنى ينتظم للمطوف وللمطوف عليه جميعاً ؛

(٢) سورة الحفر ٩  
(٤) سورة الحج ٤٠  
(٦) سورة يونس ٧١

(١) سورة الأحقال ٢٣  
(٣) سورة الفرقان ١٢  
(٥) سورة الواقعة ١٧  
(٧) سورة هود ١٣

فَيَقْدَرُ آتَرُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ<sup>(١)</sup>، ويبقى النظر في أنه: أيها أولى؟ ترجيح الإضمار أو التضمين؟ واختار الشيخ أبو حيان<sup>(٢)</sup> تفصيلاً حسناً وهو: «إن كان العامل الأول تصح نسبته إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإضمار؛ لأنه أكثر من التضمين؛ نحو «يجمع الله أنه وعينيه»، أي وفقاً عينيه، فنسبة الجدع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصح فيه ذلك كان العامل مضمناً معنى ما يصح نسبته إليه؛ لأنه لا يمكن الإضمار؛ كقولهم: \* عِلْمُهَا تَبَنَّا وَمَا بَارِدًا<sup>(٣)</sup> \*.

وجعل ابن مالك من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٤)</sup> قال: لأن فعل أمر المخاطب لا يعمل في الظاهر؛ فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك»، لأن شرط المطفوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل في المطفوف عليه، وهذا مقتضى هنا؛ لأنه لا يقال: «اسكن زوجك».

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَضَارَّ وَالِدَةً بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ﴾<sup>(٥)</sup> ولا يصح أن يكون «مولود» مملوفاً على «والدة» لأجل تاء المضارعة، أو للأمر؛ فالواجب في ذلك أن نُقَدِّرَ مرفوعاً بمقدر من جنس المذكور؛ أي ولا يضار مولود له.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾<sup>(٦)</sup>، قال القراء: التقدير: «وسخرنا له الطير» عطفاً على قوله: ﴿فَضَلًّا﴾ وقيل: هو مفعول معه، ومن رفعه فقيل: على الضمير في «آتى»،

(١) أي في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾.

(٢) في التفسير الكبير المسمى: «البحر المحيط» ٨ : ٢٤٧ مع تصرف في العبارة.

(٣) قى الرمة وقوله:

\* لَمَّا حَطَّطْتُ الرَّحْلَ عَنْهَا وَارِدًا \*

وانظر الخزانة ١ : ٤٩٩

(٥) سورة البقرة ٢٣٣

(٤) سورة البقرة ٣٥

(٦) من قوله تعالى في سورة سبا ١٠ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّى مَعَهُ

وَالطَّيْرَ وَآتَيْنَاهُ لُكُلَ الْحَدِيدِ﴾.

وجاز ذلك لعلول الكلام بقوله : ﴿معه﴾ ، وقيل : بإضمار فعل أى ولتؤوب معه الطير.

\*\*\*

الخامس : أن يقتضى الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما ؛ لأنه المقصود ؛ كقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ <sup>(١)</sup> ، ولم يقل : « وهارون » لأن موسى للمقصود التحميل أعباء الرسالة ، كذا قاله ابن عطية .

وغاص الزمخشري فقال : أراد أن يتم الكلام فيقول : « وهرون » ، ولكنه نسكل عن خطاب هرون توقيا لفصاحته وحدة جوابه ووقع إخطابه ؛ إذ الفصاحة تنسكل الخضم عن الخضم للجلل ، وتنبكه عن ممارضته .

\*\*\*

السادس : أن يذكر شيثان ، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال الزمخشري : تقديره : إذا رأوا تجارة انفضوا إليها ، أو لهواً انفضوا إليه ؛ لحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه .

ويبقى عليه سؤال ؛ وهو أنه : لم أثر ذكر التجارة ؟ وهلا أثر اللهو ؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة : إن التجارة لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها . ولأنه قد شمل التجارة عن العبادة ما لا يشغله اللهو .

واختلف في مواضع : منها قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة ، وأعاد الضمير

على الفضة وحدها ؛ لأنها أقرب للذكورين ؛ ولأن الفضة أكثر وجودا في أيدي الناس ؛ والحاجة إليها أمس ، فيكون كنزها أكثر ، وقيل أعاد الضمير على اللغى ؛ لأن للكنوز دنانير ودرهم وأموال .

ونظيره : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ لأن الطائفة جماعة . وقيل : من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في اللغى تكفي بإعادة الضمير على أحدهما استغناء بذكره عن الآخر اتكالا على فهم السامع ، كقول حسان .  
إِنْ شَرَحَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأُمْدَ      وَدَمًا لَمْ يَمَاصْ كَانَ جُنُودًا <sup>(٢)</sup>  
ولم يقل « يماصا » .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> وقد جعل ابن الأنباري في كتاب « الهاءات » <sup>(٤)</sup> ضمير ﴿ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ راجعا إلى الجنود .  
ونقل عن قتادة قال : هم اللاتكة . والأشبه أن يأتي هنا بما سبق .  
ومنها قوله تعالى : ﴿ وَآفَهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup>  
فقيل : « أحق » خبر عنهما ، وسهل إفراد الضمير بعدم إفراد « أحق » وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله .

وقيل : « أحق » خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذف من الأول دلالة الثاني عليه .  
وقيل : العكس ، وإنما أفرد الضمير لتلاييم بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد ، كاجاء في الحديث : « قل ومن يمس الله ورسوله » قال الزنجشري : قد يقصدون ذكر الشيء

(٢) ديوانه ١٣

(١) سورة المجرات ٩

(٣) سورة الأخرات ٩

(٤) كتاب الهاءات لأبي بكر محمد بن قاسم الأنباري النحوي ، ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١

(٥) سورة النجم ٦٧

فيذكرون قبله ما هو سبب منه ، ثم يطفون به عليه مضافاً إلى ضميره ، وليس لم قصد إلى الأول كقوله : سرّني زيد وحسن جاله ؛ والمراد حسن حاله . وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر للمعنى ، ورسول الله أحق أن يرّضوه . ويدل عليه ما تقدمه من قوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ ولهذا وحده الضمير ، ولم يثن .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ومنها قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْعِلَّةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فقيل : الضمير للصلاة لأنها أقرب المذكورين . وقيل : أعاده على المعنى ؛ وهو الاستعانة المفهومة من استعينوا . وقيل : المعنى على التثنية ؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ وهو نظير آية الجمعة كما سبق .

وفي هاتين الآيتين لطيفتان : وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدها أعاده في آية الجمعة على التجارة ، وإن كانت أبعد ، ومؤنثة أيضاً ؛ لأنها أجذب للقارب من طاعة الله من اللهو ؛ لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين باللهو ؛ لأنها أكثر نفعا من اللهو ، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً ، لأنه ضرب بالطليل لتدومه ، كاجاء في صحيح البخاري : « أقبلت غير يوم الجمعة » ، وأعاده في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾<sup>(٥)</sup> على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير ؛ فقدبر ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى بذلك القول .

\*\*\*

(٢) سورة الأنفال ٢٠

(٤) سورة النساء ١١٢

(٦) سورة يونس ٥٨

(١) سورة التوبة ٦١

(٣) سورة البقرة ٤٥

(٥) سورة النساء ١١٢



السابع الحذف للمقابلة: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ إِنِ اقْرَأْتَهُ فَقُلْ إِجْرَائِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، الأصل: فإن اقْرَأْتَهُ فَقُلْ إجراي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بَرِيءٌ مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: «إجراي»، وهو الأول إلى قوله: «وعليكم إجرامكم» - وهو الثالث - كنسبة قوله: «وأنتم برآء منه» - وهو الثاني - إلى قوله: «وعليكم إجرامكم» - وهو الثالث - كنسبة قوله: «وأنتم برآء منه» - وهو الثاني - إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو الرابع، واكتفى من كل مناسبتين بأحدهما.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، تقديره: إن أرسل فلينا بآية كما أرسل الأولون فأتونا بآية.

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْذَبُ الْفَاسِقِينَ إِِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، تقديره: كإفلالهم، «وَيُذْذَبُ الْفَاسِقِينَ إِِنْ شَاءَ» أو يتوب عليهم، أو يتوب عليهم فلا يذنبهم، عند ذلك يكون مطلق قوله: «فلا يتوب عليهم» أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا. وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِزُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup>؛ فتقديره: لا تقربوهن حتى يَطْهَرْنَ وَيَطْهَرْنَ<sup>(٥)</sup>، فإذا طهَرْنَ وَتَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء؛ نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع؛ ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه.

واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه الحذوفات؛ وبهذا التقدير يتعاضد القول بالتمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر جميعا؛ وهو مذهب الشافعي.

(٢) سورة الأنبياء ٥

(١) سورة هود ٣٥

(٤) سورة البقرة ٢٢٢

(٣) سورة الأحزاب ٧٤

(٥) يقال: طهرت المرأة، إذا انقطع عنها الدم؛ فإذا اغتسلت قيل: طهرت بتشديد الطاء.

(٩ - برهان - ثالث)

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرِجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
تقديره : « أدخل يدك تدخل ، وأخرجها تخرج » ؛ إلا أنه قد عرّض في هذه المادة تناسبه  
بالطباق ؛ فلذلك بقي القانون فيه ، الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ، ونسبة الثاني إلى الرابع  
على حالة الأكثرية ؛ فلم يتغير عن موضعه ؛ ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني ،  
وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير ، كقوله :

وَأِنِّي لَتَمُرُّونِي لِذِكْرِكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْمُصْفُورُ بِلَهِّ الْقَطَرِ <sup>(٢)</sup>

أى هزة بعد انتفاضة ، كما انتفض المصفور بله القطر ، ثم اهتز . كذا قاله جماعة .  
وأنكره ابن الصائغ ، وقال : هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خلفا ؛  
ولمّا أحوجهم إليه أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ؛ و« يخرج » مجزوم على الجواب ،  
فاحتاج أن نقدر جوابا لازما ، وشرطا ملزوما ؛ حذفنا لأنها نظير ما ثبت ؛ لكن وقع  
في تقدير ما لا يفيد ؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل ، لكنه قد يُقدّره تقديرًا بعيدًا ؛  
وهو : أدخلها تدخل كما هي ، وأخرجها تخرج بيضاء ؛ وهو بعد ذلك ضعيف ، فيقال له :  
لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضروريًا بالفعل ؛ فإذا قيل : إن جاءني  
زيد أكرمه ؛ فهذا اللازم بالوضع ؛ وليس بالضرورة ، والإكرام لازم للجيء ، بل لوضع  
التكلم فالموضوع هنا أن الإدخال سبب في خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى ؛ ألا ترى أنه  
لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزوماً ضروريًا إلا بضرورة صدق الوعد . فإن قال :  
لم أرد هذا ؛ ولما أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج . قيل : هذا من المعلوم الذي لا معنى  
للتنقيص عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجْ أَخْرُوجًا يَذُنُّونَهُمْ خَطَاؤَهُمْ حَتَّى يَصِلَ إِلَى آخِرِ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ،

(٢) البيت لأبي مضر الهذلي ؛ أمالي القالي : ١ : ١٤٩

(١) سورة النمل ١٢

(٣) سورة التوبة ١٠٢

أصل الكلام : خطوا عملاً صالحاً بسبيء ، وآخر شيئاً صالحاً ؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطاً ومخلوطاً به ؛ أى تارة أطلعوا وخطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا وتداركوا اللصية بالتوبة . وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ . . . . ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، فإن مقتضى التقسيم اللفظي : من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ؛ فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى .

قيل : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْءِ يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال سيبويه <sup>(٣)</sup> في « باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى » : لم يشبهوا بالناعق ؛ وإنما شبهوا بالمنموق به ؛ وإنما المعنى : ومثلكم <sup>(٤)</sup> ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنموق به الذي لا يسمع إلا دعاء ؛ ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز اعلم المخاطب بالمعنى . انتهى .

والذي أحوجه إلى هذا التقدير ، أنه لما شبه الذين كفروا بالذئب صلى الله عليه وسلم ، - وهذا بناء على أن الناعق بمعنى الناعي ؛ وليس بمتعين ؛ لجواز ألا يراد به الداعي ؛ بل الناعق من الحيوان - شبههم في تألفهم وتأنيهم بما ينموق من الفهم بصاحبه ؛ من أنهم يدعون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريد ، فيكون تم حذف .

وقيل : ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول والثالث ؛ لنسبة بينهما ؛ وذلك أنه اكتفى بالذي ينموق - وهو الثالث للشبه به - عن المشبه ، وهو الكتابة للضاف إليها في قوله : ومثلك ، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة ؛ وهو الذي غلط من وضعه في هذا النوع ؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء للارتباط العطفى ؛ على ما سلف .

(٢) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة طه ١٢٣

(٣) الكتاب ١ : ١٠٨

(٤) م « وملك » ؛ وما أتجه عن ت والكتاب .

وقد قال الصغار : هذا الذى صار إليه سببوه - من أنه حذف من الأول للمطوف عليه ، ومن الثانى المطوف - ضعيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة ، لأن فيه حذفاً كثيراً مع إبقاء حرف المطف ؛ وهو الواو . ألا ترى أن ما قبلها مستأنف ، والأصل مثلك ومثلهم ؛ إلا أن يدعى أن الأصل ومثلك ومثلهم ، ثم حذف « مثلك » والواو التى عطف ما بعدها ، وبقيت الواو الأولى ؛ ويزعم أن الكلام ربط مع ما قبله بالواو ؛ وليس بينهما ارتباط . وفيه ما ترى .

وقال ابن الحجاج : عندي أنه لا حذف في الآية ، والقصد تشبيه الكفار في عبادتهم الأصنام بالذى ينطق بما لا يسمع ؛ فهو تمثيل دافع بداع محقق لا حذف فيه ؛ والكفار على هذا داهون ؛ وعلى التأويل الأول مدحون .

ونظيره ما قوله تعالى : ﴿ أَفَنُيْمِشِي مُكَبِّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمِشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن فيه جلتين ؛ حذف نصف كل واحدة منها اكتفاء بنصف الأخرى . وأصل الكلام : أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى ممن يمشى سويّاً على صراط مستقيم ، أمَّن يمشى سويّاً على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى <sup>(٢)</sup> مكباً ا

وإنما قلنا : إن أصله هكذا ؛ لأن أقل التفضيل لابد في معناه من المفضل عليه . وهاهنا وقع السؤال عن في نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذلك أهدى من هذا ؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور ، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجلتين ونصف الأخرى ، والذى حذف من هذه مذكور في تلك ، والذى حذف من تلك مذكور في هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والنصاحة . ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له ؛ وهو الجواب الصحيح لمذين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى ؟ لم يذكره في الآية أصلاً ، اعتماداً على أن العقل يقول : الذى يمشى على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكباً على وجهه .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

## فائدة

قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وقد يعكس ، وقد يحتمل اللفظ الأمرين .  
فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾<sup>(٣)</sup> في قراءة من رفع  
« ملائكته » ، أى إن الله يصلى ، تحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وليس عطفًا عليه .

والثاني كقوله : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى ما يشاء .

وقوله : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى برى أيضًا .

وقوله : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿يَكْسِنُ مِنَ الْحَبِيطِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَادْتُمْ فَمِذَّبُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ  
وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى كذلك .

وجعل منه أبو الفتح قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾<sup>(٨)</sup> التقدير: وأبصر بهم؛

نسكه حذف لدلالة ما قبله عليه ؛ حيث كان بلفظ الفضلة ؛ وإن كان ممتنعًا في الفاعل .

وهذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا : إن الجازر والمجرور ؛ في « أسمع بهم وأبصر » في محل الرفع :

فإن قلنا في محل النصب فلا .

(١) سورة الزمر ٩

(٢) سورة الزمر ٢٩

(٣) سورة إبراهيم ٤٨

(٤) سورة مريم ٣٨

(١) سورة النحل ١٧

(٢) سورة الأحزاب ٥٦ ؛ وهى قراءة . . .

(٣) سورة التوبة ٣

(٤) سورة الطلاق ٤

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
 والتقدير خلقهنَّ الله ، حذف « خلقهنَّ » لقربة تعلمت في السؤال .  
 وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ولم يقل :  
 « إنا كذلك » اختياراً واستثناء عنه بقوله فيما سبق : ﴿ إنا كذلك » .  
 والثالث كتوبه : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقد قيل : إن « أحق »  
 خبر عن اسم الله تعالى ، وقيل بالكس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ  
 بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فالقائدة في إعادة الجار والجرور ؛ أعني « بها » . لأنه لو حذف من  
 الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيا وقع مقعولا ثانياً ، أو كالقول الثاني لـ « سمعتم » ،  
 ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات ؛ لجواز أن يكون متعلق  
 الأول غير متعلق الثاني ..

\*\*\*

الثامن الاختزال ، وهو الافتعال ؛ من خزله ، قطع وسطه ، ثم قل في الاصطلاح إلى  
 حذف كلمة أو أكثر . وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف .

\*\*\*

(٢) سورة الصافات ١٠٩ ، ١١٠

(٤) سورة النساء ١٤٠

(١) سورة الزمر ٣٨

(٣) سورة التوبة ٦٢

الأول موسم  
[حذف للبند]

فنه حذف للبند ، كقوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ و ﴿خَمْسَةٌ﴾ ؛ و ﴿سَبْعَةٌ﴾<sup>(١)</sup> ، أى هم ثلاثة ، وهم خمسة ، وهم سبعة .  
وقوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى إحداها ، بدليل قوله بعده : ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقوله : ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُبْلَغُ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى هذا بلاغ .  
وقوله : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى هم عباد .  
وعلى هذا قال أبو علي : قوله تعالى : ﴿يَشْرِي مِنْ ذُلِّكُمُ النَّارُ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى هي النار .

وقوله : ﴿وَحَاقَ بِالْأَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْمَذَابِ . النَّارُ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى هو النار .  
ويمكن أن يكون « النار » في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها ، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلاً من « سوء المذاب » .

(١) من قوله تعالى في سورة الكهف ٢٢ :  
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجَعْنَا بِالْقَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ .

(٢) سورة آل عمران ١٣ ، وستأتي (٣) سورة الأحقاف ٣٥

(٤) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الحج ٧٢ ؛ وتنسبها : ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

(٦) سورة المؤمن ٤٥ ، ٤٦ ، وتنسبها : ﴿يُرْمَوْنَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .

وقوله : ﴿ فَاتْلُوا سَاحِرَ كَذَّابٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى ساحر .  
 وقوله : ﴿ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
 ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى هذا الحق من ربكم ؛ وليس هذا كما يظنه  
 بعض الجهال ، أى قل القول الحق ؛ فإنه لو أريد هذا لنصب « الحق » ؛ والمراد  
 إثبات أن القرآن حق ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق ؛  
 بل هذا اللفظ مذکور فى قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يُولَخْذْ عَلَيْهِمْ  
 مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
 وقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ أى هذه سورة .  
 ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى فعمله لنفسه وإساءته عليها .  
 وقوله : ﴿ وَإِنْ مَسَّ الشَّرُّ فَيَنْوُسْ قَنُوطٌ ﴾ <sup>(٩)</sup> أى فهو ينوس .  
 ﴿ لَا يَنْزُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، أى قلوبهم متاع ،  
 أو ذاك متاع .  
 ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْوَقُودَةُ ﴾ <sup>(١١)</sup> ، أى والخطمة نار الله .  
 ﴿ إِنَّمَا تَزِمِي بِشَرِّكَ الْقَصْرِ ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، أى كل واحدة منها كالتصغر ؛ فيكون من باب  
 قوله : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ <sup>(١٣)</sup> ، أى كل واحد <sup>(١٤)</sup> منهم ، والخرج إلى ذلك  
 أنه لا يجوز أن يكون الشر كله كقصر واحد ؛ والقصر هو البيت من آدم <sup>(١٥)</sup> ، كان يضرب

- |                      |                              |
|----------------------|------------------------------|
| (١) سورة المؤمن ٢٤   | (٢) سورة القاريات ٥٢         |
| (١) سورة الفرقان ٥   | (٤) سورة الكهف ٢٩            |
| (٥) سورة الأنعام ١٥٢ | (٦) سورة الأعراف ١٩٦         |
| (٧) سورة التور ١     | (٨) سورة فصلت ٤٦             |
| (٩) سورة فصلت ٤٩     | (١٠) سورة آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧ |
| (١١) سورة المزة ٦٥   | (١٢) سورة الرسائل ٣٢         |
| (١٣) سورة التور ٤    | (١٤-١٥) سالف من ت .          |



على اللال ، ويؤيده <sup>(١)</sup> قوله : ﴿ جَاءَهُ صُفْرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أفلا تراه كيف شبهه بالجماعة ! أى كل واحدة من الشرر كالجل لجماعته ، فجاءته إذ ن مثل الجالات الصفر ، وكذلك الأول ، شررة منه كالتصير . قاله أبو الفتح بن جنى .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> ، قيل : إن « ثلاثة » خبر مبتدأ محذوف تقديره : « آلهتنا ثلاثة » .

واعترض باستزامه <sup>(٤)</sup> إثبات الإلهية لانصراف النفي الداخلى على المبتدأ أو الخبر إلى المعنى للاستفاد من الخبر لا إلى معنى المبتدأ ، وحينئذ يقتضى نفي عدة الآلهة لا نفي وجودهم .

قيل : وهو مردود ؛ لأن نفي كون آلهتهم ثلاثة يصدق بآلا يكون للآلهة الثلاثة وجود بالسكينة ؛ لأنه من السالبة المحصلة <sup>(٥)</sup> ، فعناه : ليس آلهتكم ثلاثة ، وذلك يصدق بآلا يكون لم آلهة وإنما حذف إيداناً بالهوى عن مطلق العدد المفهم للمساواة بوجه ما ؛ فما ظنك بمن صرح بالشركة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ لإفهامه مساواة ما ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، ولزم من نفي الثلاثة لامتناع المساواة للملومة عقلا ، والملدول عليها بقوله : ﴿ إِنَّا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، نفي الشركة مطلقاً ؛ فإن تخصيص النفي وقع في مقابلة الفعل ، ودليلا عليه ؛ فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه : ثلاثة .

(٢) سورة الرسائل ٣٣

(٤) ت : « استزامه » ؟؟

(٦) سورة المائدة ٧٣

(٨) سورة النسا ١٧١

(١) ت : « ويؤكد » .

(٣) سورة النساء ١٧١

(٥) ت : « للتصلة » .

(٧) سورة الأنعام ١

ونحوه في الخروج على السبب : ﴿ لَا تَأْسَؤْاَ الرَّبَّ أَضْمًا قَامُصَاعَةً ﴾<sup>(١)</sup> .  
وقال صاحب « إسفار الصباح »<sup>(٢)</sup> : الوجه تقدير كون ثلاثة ، أو « في الوجود » ، ثم  
حذف الخبر الذي هو « لنا » ، أو « في الوجود » الحذف للطرده ، وما دلّ عليه توحيد  
لا إله إلا الله .

ثم حذف للببداً حذف للوصف كالعدد ؛ إذا كان معلوماً . كقولك : عندي ثلاثة .  
أى دراهم ؛ وقد علم بقرينة قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقد عورض هذا بأن نفى وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلهين . وأجيب بأن تقديره  
« آلهتنا ثلاثة » يُوجب ثبوت الآلهة ؛ وتقدير « لنا آلهة » لا يوجب ثبوت إلهين .  
فمورض بأنه كما لا يُوجب فلا ينفيه .

فأجيب بأنه إذا لم ينفي فقد نفيه ما بعده من قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .  
فمورض بأن ما بعده إن نفى ثبوت إلهين فكيف ثبوت آلهة ؟  
فأجاب بأنه لا ينفيه ، ولكن يناقضه ، لأن تقدير آلهتنا ثلاثة ثبت وجود إلهين ؛  
لانصراف النفي في الخبر عنه ، بخلاف تقدير : « لنا آلهة ثلاثة » ، فإنه لا يثبت وجود  
إلهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة .  
وفي أجوبة هذه للقدماء نظر .

قلت : وذكر ابن جني أن الآية من حذف للضاف ؛ أى ثالث ثلاثة لقوله في موضع  
آخر : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون .

(١) سورة آل عمران ١٣٠

(٢) سورة النساء ١٧١

### حذف الخبر

نحو : ﴿ أَكُنْهَا دَائِمًا وَظَلْمًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى دائم .

وقوله فى سورة ص بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء ، قال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾<sup>(٢)</sup>  
ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال : ﴿ هَذَا وَلِئِنَّ لِلطَّائِفِينَ  
لَشَرَّ مَا يَبْتَغِيهِمْ يَكُونُوا كَيْفَ يَشَاءُ أَلِيْمًا ﴾<sup>(٣)</sup> قد أشارت الآية إلى مآل أمر  
الطائفين ، ومنه يفهم الخبر .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> أى أهذا  
خير أمَّن جبل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه ، لحذف بدليل قوله : ﴿ قَوْلٍ لِلْقَاسِيَةِ  
قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا صَبِيرَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ﴾<sup>(٨)</sup> قال سيبويه : الخبر <sup>(٩)</sup> محذوف ، أى فيما  
أُتوا السارق والسارقة ، وجاء ﴿ فَاقْطَعُوا ﴾ جملة أخرى . وكذا قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾<sup>(١٠)</sup>  
فما نقص لكم .

وقال غيره : السارق مبتدأ ، فاقطعوا خبره ؛ وجاز ذلك لأن الاسم عام ؛ فإنه لا يريد

(٢) سورة ص ٤٩ ،

(١) سورة الرعد ٣٥

(٤) سورة الزمر ٢٢

(٣) سورة ص ٥٥ - ٥٦

(٥) سورة الشعراء ٥٠ والآية بتامها : ﴿ قَالُوا لَا صَبِيرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴾ .

قال الزمخشري فى منته : « لاضح علينا فى ذلك » .

(٧) سورة المائدة ٣٨

(٦) سورة سبأ ٥١

(٩) سورة النور ٢

(٨) الكتاب ١ : ٧١

به سارقاً مخصوصاً ، فصار كأسماء الشرط ؛ تدخل الفاء في خبرها لمومها ؛ وإنما قدر سيبويه ذلك لجل الخبر أمراً ؛ وإذا ثبت الإضمار فالقاء داخله في موضعها ، تربط بين الجلتين . وما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع ؛ مع أن الأمر الاختياريه النصب . قال : وقد قرأ ناس بالنصب<sup>(١)</sup> ارتكاً للوجه القوي في العربية ؛ ولكن أبت العامة إلا الرفع . وكذا قال في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> : مثل ، هنا خبر مبتدأ محذوف ؛ أي فيما قصص عليكم مثل الجنة . وكذا قال أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ﴾ : إنه على الإضمار<sup>(٣)</sup> .

وقد رد بأنه أي ضرورة تدعو إليه هنا ؟ فإنه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقديره دخول الفاء في الخبر ، فاحتيج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط ؛ وأما هذا فقد وُصِلَ بفعل هو بمنزلة : الذي يأتيك فله درهم .

وأجاب الصغار بأن الذي حله على هذا أن الأمر دائر مع الضرورة كيف كان ؛ لأنه إذا ضمير فقد تكلف ، وإن لم يضمير كان الاسم مرفوعاً وبعده الأمر ، فهو قليل بالنظر إلى « للذين يأتيانها » فكيفما عمل لم يخل من قبح .

وإن قدر منصوباً ، وجاء القرآن بالألف على لغة من يقول « الزيدان » في جميع الأحوال وقع أيضاً في محذور آخر ؛ فلماذا قدره هذا التقدير ، لأن الإضمار مع الرفع يشككاًن .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَر لَّا جَاءَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، الخبر محذوف ، أي يذبون - ويمحزون أن يكون الخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) عبارة الكتاب : « وقد قرأ أناس ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ ، و ﴿ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي ﴾ وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة » .

(٣) سورة النساء ١٦

(٢) سورة الرعد ٣٥

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٤) سورة فصلت ٤١

وقوله : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فأنتم مبدأ والخبر محذوف ؛ أى حاضرين ؛ وهو لازم الحذف هنا .

وقوله تعالى : ﴿وَلَعَلَّامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَوَعْدُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ أى حل لكم كذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، أما على قراءة التنوين فلا حذف لأنه يجعله مبتدأ ؛ و «ابن الله» خير ؛ حكاية عن مقالة اليهود ؛ وأما على قراءة من لم ينون ؛ فقيل : إنه صفة والخبر محذوف ؛ أى عزير ابن الله إلها ، وقيل : بل للبتداء محذوف ، أى إلها عزير ، وابن صفة .

ورَدَّ بوجهين :

أحدهما : أنه لا يطابق : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> .

والثاني : أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائدا إلى البتوة ، فكذب لأن صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة . فلو قيل : زيد القائم فقيه ، فكذب انصرف التكذيب لإستلزام فقيه ؛ لا لوصفه بالقائم .

وفيه نظر ؛ لأن الصِّفة ليست إنشاء فعى خبر ؛ إلا أنها غير تامة الإفادة ، فيصح تكذيبها . والأولى تقويته ، وأن يقال الصفة والإضافة ونحوهما في السند إليه لواحظ بصورة الأفراد ؛ أى يريد أن يصوره بهيئة خاصة ؛ ويحكم عليه كذلك ؛ لكن لا سبيل إلى كذبها ، مع أنها تصورت ، فالوجه أن يقال : إن كذب الصفة بإسناد مستندا إليه

ممدوم الثبوت . ونظير هذه للسألة في الفقه ما لو قال : والله لا أشرب ماء هذا الكوز ؛ ولا ماء فيه .

وقال بعضهم : ﴿عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ﴾ خبر الجملة ، أى حَكَمِي فيه لفظهم ، أى قالوا هذه الصبارة القبيحة ؛ وحينئذ فلا يقدر خبر ولا مبتدأ .

وقيل : « ابن الله » خبر وحذف التنوين من « عزيز » للمجعة والعلمية .  
وقيل : حذف تنوينه لا لتقاء الساكنين ؛ لأن الصفة مع الموصوف كشيء واحد ، كقراءة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(١)</sup> ، على إيراد التنوين ؛ بل هنا أوضح ؛ لأنه في جملة واحدة .

وقيل : « ابن الله » نعت ولا محذوف ؛ وكان الله تعالى حَكَمِي أنهم ذكروا هذا اللفظ إنكاراً عليهم ؛ إلا أن فيه نعتاً ، لأن سبويه قال : إن قلت وضعت الرب لصحكي به ما كان كلاماً لا قولاً . وأيضاً إنه لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ، والظاهر أنه خبر . والتولان منقولان .

والصحيح في هذه القراءة أنه ليس النرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد في هذا الشيء إلى أن يذكرون هذا النسكر ، كما تقول في قوم تغالوا في تعظيم صاحبهم : أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيماً ثابتاً ، يقولون : زيد الأمير !

#### ما يجعل الأمسين

قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾<sup>(٣)</sup> يجعل حذف الخبر ، أى أجمل<sup>(٤)</sup> ، أو حذف الابتدأ ، أى فأمرى صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية - هي قيام الصبر به - دالة على

(٢) سورة التوبة ٣٠

(٤) قدره صاحب السكشاف : « أمثل » .

(١) سورة الإخلاص ٢٤١

(٣) سورة يوسف ١٨

المحذوف ، وعدم قرينة حالية أو مقالية تلل على خصوص الخبر ، وأن الكلام مسوق للإخبار بحصول الصبر له وإتصافه به ، وحذف للابتداء يحصل ذلك دون حذف الخبر ؛ لأن معناه أن الصبر الجليل ؛ أجل من <sup>(١)</sup> لأن للتكلم متلبس به .

وكذلك يقوله من لم يكن وصفا له ؛ ولأن الصبر مصدر ، وللصادر معناها الإخبار ؛ فإذا حمل على حذف للابتداء قد أجرى على أصل معناه ؛ من استعماله خبراً ، وإذا حمل على حذف الخبر قد أخرج من أصل معناه <sup>(٢)</sup> .

ومثاله قوله : ﴿ طَاعَةٌ مَرْوُفَةٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> أى أمثل ، أو أولى لكم من هذا ، أو أمركم القى يطلب منكم .

ومثله قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ إما أن يقدر : فيها أوحينا إليك سورة ، أو هذه سورة .

وقد يحذفان جملة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَلِدْنَ مِنَ الْحَيِّضِ مِنْ نِسَائِكُمْ . . . . ﴾ <sup>(٥)</sup> الآية .

#### حذف الفاعل

للسهول امتناعه إلا في ثلاثة مواضع :

أحدها : إذا بنى الفعل للمفعول .

ثانيها : في المصدر ، إذا لم يذكر معه الفاعل ؛ مظهرًا يكون محذوفًا ، ولا يكون مضمرًا ، نحو ﴿ أَوْطِئْتُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) كذا في الأصول وموضع التنط يان في ت . (٢) كذا وردت العبارة في الأصولين ؛ وفيها غموض .

(٣) سورة النور ١

(٤) سورة النور ٣

(٥) سورة الطلاق ٤ وبقيّة الآية : ﴿ قَمِيطُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ . . . ﴾

والقدير قميطهن ثلاثة أشهر ؛ قال صاحب الكشف : « حذف لدلالة المذكور عليه » .

(٦) سورة البقرة الباء ١٤

ثالثها : إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى ، كقولك للجماعة : اضرب القوم ، وللخطابة : اضرب القوم .

وجوز السكّاني حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدلّ عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّوَاصِيَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> أى بلغت الروح .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> أى الشمس .

﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> يعنى المذاب ، لقوله قبله : ﴿ أَقْبِعْ دَنَايَا سَتْمَجِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾<sup>(٥)</sup> تقديره : فلما جاء الرسول سليمان .

والحق أنه فى المذكورات مُضْمَرٌ لا محذوف ، وقد سبق الفرق بينهما .

\*\*\*

أما حذفه وإقامة المفعول مقامه ، مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب :

منها العلم به ، كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾<sup>(٧)</sup> ، ونحن نعلم أن الله خالقه .

قال ابن جنى : وضابطه أن يكون الفرض إنمّا هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول ؛ ولا غرض فى إبانة الفاعل من هو .

ومنها تعظيمه ، كقوله : ﴿ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾<sup>(٨)</sup> ، إذ كان الذى قضاء عظيم التدر .

وقوله : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾<sup>(٩)</sup> .

(٢) سورة من ٣٢

(٤) سورة الصافات ١٧٦

(٦) سورة الأنبياء ٣٧

(٨) سورة يوسف ٤١

(١) سورة القيامة ٢٦

(٣) سورة الصافات ١٧٧

(٥) سورة النمل ٣٦

(٧) سورة النساء ٢٨

(٩) سورة هود ٤٤



وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ <sup>(١)</sup> قال الزمخشري في كشافه التقديم : هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة « أُنْزِلَ » <sup>(٢)</sup> مبنياً للفاعل ، كما تقول : الملك أمر بكذا ، ورسم بكذا ؛ وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا بقدر عليه إلا الله ، كقوله : ﴿ وَفُصِّلَ الْأَمْرُ ﴾ <sup>(٣)</sup> قال : كأن على ذكر الفاعل كالواجب ؛ لأمرين : أحدهما : أنه إن تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده ، كان ذكره فضلاً وتوقراً .

والثاني : الإيذان بأنه منه ؛ غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار به والتفرد بإيجاده . وأيضاً فإني ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يسان ويرتفع به عن الاجتذال والامتهان . وعن الحسن : لولا أني مأذون لي في ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب . ومنها مناسبة الفواصل ، نحو : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ولم يقل يُجْزَى بها .

ومنها مناسبة ما تقدمه ، كقوله في سورة براءة : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ آخِلَاءِ أَبِي طَالِبٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> ؛ لأن قبلها : ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> على بناء الفعل للمفعول ؛ فجاء قوله : ﴿ وَطِيع ﴾ ليناسب بالختام المطلق ، بخلاف قوله فيما بعدها : ﴿ وَطِيعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء ، فجاءت على الأصل .

(٢) على لفظ ماسمي فاعله ؛ وهي قراءة يزيد بن طليب ، وانظر الكشاف .  
(٥) سورة التوبة ٨٧  
(٧) سورة التوبة ٩٣

(١) سورة البقرة ٤  
(٣) سورة هود ٤٤  
(٤) سورة الليل ١٩  
(٦) سورة التوبة ٨٦

### حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير ، قال ابن جني : وفي القرآن منه زهاء ألف موضع . وأما أبو الحسن ، فلا يقبس عليه ؛ ثم رده بكثرة المجاز في اللغة ، وحذف المضاف مجاز . انتهى .

وشرط للبرّد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لجوازه وجود دليل على الحذف من عقل أو قرينة ، نحو : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي أهلها ، قال <sup>(٢)</sup> : ولا يجوز على هذا أن قول : جاء زيد ، وأنت تريد غلام زيد ؛ لأن الجي ، يكون له ، ولا دليل [ في مثل هذا ] <sup>(٣)</sup> على الحذف .

وقال الزحشرى في السكشاف القديم : لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع ؛ ولا يُقدّم عليه إلا بدليل واضح وفي غير مُلبّس ؛ كقوله : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ <sup>(٤)</sup> . وضُفّ بذلك قول من قدّر في قوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أنه على حذف مضاف . فإن قلت : كما لا يجوز مجيئه <sup>(٥)</sup> لا يجوز خداعه ؛ فحين جرّك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه ، فهلا جرّك إلى مثله امتناع خداعه !

قلت : يجوز في اعتقاد النافقين تصوّر خداعه ؛ فكان للوضع ملبسا فلا يقدّر . انتهى . فنه قوله تعالى : ﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، أي رحمته ويغاف عنه .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٢

(٤) سورة النساء ١٤٢

(٦) سورة الأحزاب ٢١

(١) سورة يوسف ٨٢

(٣) تسكئة ما اتفق لفظه واختلف معناه

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾<sup>(١)</sup> أى سَدَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ .  
 ﴿ وَاشْتَمَلَ الْأَنْسُ شَيْبًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى شعر الرأس .  
 ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أى بقرأة صلاتك ، ولا تخافت  
 بقرأتها .

﴿ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى بَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ .  
 ﴿ فَلَمَّا أَنَا مَا نُوَدِّي ﴾<sup>(٥)</sup> أى ناحيتها ، والجهة التى هو فيها .  
 ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> أى هل يسمعون دعاءكم ، بلليل الآية الأخرى  
 ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> .  
 ﴿ عَلَىٰ خَوَافٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى من آل فرعون .  
 ﴿ إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِغْفَ آخِلِيَّةٍ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ ﴾<sup>(٩)</sup> ، أى ضغف عذابها .  
 ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ ﴾<sup>(١٠)</sup> ، أى وَمَثَلُ وَاغْطِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 كَمَثَلِ الْأَنْعَامِ .

﴿ وَأَرْوَاهُ أَمْهَاتُهُمْ ﴾<sup>(١١)</sup> ، أى مثل أمهاتهم .  
 ﴿ وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴾<sup>(١٢)</sup> ، أى شكر رزقكم . وقيل تجملون  
 التكذيب شكر رزقكم .

وقوله : ﴿ وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾<sup>(١٣)</sup> ، أى هل السنة رسلك .  
 وقوله : ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾<sup>(١٤)</sup> أى ذوى أماناتكم ، كالودع واليبر واللوكل

- |                        |                      |
|------------------------|----------------------|
| (١) سورة الأنبياء ٩٦   | (٢) سورة مريم ٤      |
| (٣) سورة الإسراء ١١٠   | (٤) سورة البقرة ١٧٧  |
| (٥) سورة طه ١١         | (٦) سورة الشعراء ٧٢  |
| (٧) سورة طاهر ١٤       | (٨) سورة يونس ٨٣     |
| (٩) سورة الإسراء ٧٥    | (١٠) سورة البقرة ١٧١ |
| (١١) سورة الأحزاب ٦    | (١٢) سورة الواقعة ٨٢ |
| (١٣) سورة آل عمران ١٩٤ | (١٤) سورة الأفعال ٢٧ |

والشريك ، ومن يدك في ماله أمانة لا يد ضمان ، ويجوز أن لا حذف فيه ؛ لأن « خنت » من باب « أعطيت » ؛ فيتمدّى إلى مفعولين ، ويقتصر على أحدهما .

وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى أهل مدين ؛ بدليل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ تَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَاسْتَأْذَنَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أى أهل القرية ؛ وأهل المير .

وقيل : فيه وجهان : أحدهما أن القرية يُراد بها نفس الجماعة ، والثاني أن المراد الأبنية فيها ؛ لأن الخطاب نبيّ صاحب معجزة .

﴿ أَلَمْ يَأْتِ شَهْرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويجوز أن يقدر : الحج حج أشهر معلومات .

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾<sup>(٥)</sup> أى أمر ربك .

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى حب المجل ؛ قال الراغب<sup>(٧)</sup> :

إنه على بابه ؛ فإن في ذكر المجل تنبيها على أنه لفرط محبتهم صار صورة المجل في قلوبهم لا تتجلى .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾<sup>(٨)</sup> ؛ فإرم اسم موضع وهو في موضع جر ؛ إلا أنه منع الصرف للعلمية والتأنيث ؛ أما العلمية فواضح ، وأما التأنيث فللقوله : ﴿ ذَاتِ الْمِكَادِ ﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ سَأَلْنَا قَوْمَ مِن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> أى بسؤالها ؛ فحذف للمضاف ؛ ولم يكفروا بالسؤال ؛ إنما كفروا بربهم للسؤال عنه ، فلما كان السؤال سببا للكفر فيها سألوا عنه نُسب الكفر إليه على الانساع .

(٢) سورة القصص ٤٥

(٤) سورة البقرة ١٩٧

(٦) سورة البقرة ٩٣

(٨) سورة النجر ٦ ، ٧

(١) سورة هود ٨٤

(٣) سورة يوسف ٨٧

(٥) سورة النجر ٧٢

(٧) للترداد ٢٥٨ ؛ وهو أحد أقواله .

(٩) سورة المائدة ١٠٢

وقيل : الهاء عائدة على غير ما حذمت لقوة هذا الكلام ؛ بدليل أن الفعل تمدى بنفسه والأول بغيره ؛ وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى ، وقوم عيسى من الآيات ، ثم كفروا ، فعنى السؤال الأول والثاني <sup>(١)</sup> الاستفهام ، ومعنى الثالث طلب الشيء .

وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْسِنَتُهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى تناولها ، لأن الأحكام لا تخلق بالأجرام إلا بأويل الأفعال .

وقيل : إن الية يمتد بها عن تناولها فلا حذف ؛ ولو كان تم حذف لم يؤث الفعل ؛ ولأن المركب إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية ؛ وللقوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير ؛ فيكون اللفظ موضوعاً له ، وللمشهور في الأصول أنه من محال الحذف .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كُنْزُ خَيْرٍ لَهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فهاهنا إضمار ؛ لأن قالوا قال : « من عمل صالحاً جعلته في جملة الصالحين » لم يكن فيه فائدة ؛ وإنما المعنى لندخلهم في زمرة الصالحين .

وقوله : ﴿ تَجْمَعُونَهُ قَرَأَ طَيْسَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى ذا قراطيس ، أو مكتوباً في قراطيس . ﴿ تُبْدُونَهَا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى تبدون مكتوبها .

وقوله : ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ ليس المعنى تخفونها إخفاء كثيراً ؛ ولكن التقدير : تخفون كثيراً من إنكار ذي القراطيس ؛ أى يكتمونه فلا يظهرونه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَدْمًا بَيْنًا لِلنَّاسِ فِي

(١) من قوله تعالى في أول الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ

لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ ۖ ۝ ۱۰ ﴾ .

(٣) سورة النكبات ٩

(٢) سورة الثالثة ٣

(٤) سورة الأنعام ٩١

الْكِتَابِ<sup>(١)</sup> . وبدل له قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ فَسَأَلْتُ أَوْدِيَةَ بِقَدَرِهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ أى بقدر مياها .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَرِي وَمَرَّيَا ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ أى همّ بدفعها ، أى عن نفسه فى هذا التأويل بتزويه يوسف صلى الله عليه وسلم عما لا يليق به ؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصفائر والكبائر ، وعليه فينبى الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَرِي ﴾ .

## تَنْبِيْهِ

[ فى جواز حذف المضاف مع الالفاظ إلىه ]

اعلم أن المضاف إذا علم جاز حذفه مع الالفاظ إلىه ؛ فيعامل معاملة المفوظ به ؛ من عود الضمير عليه . ومع أطراحه يصير الحكم فى عود الضمير للقائم مقامه .

فمثال استهلاك حكمة وتناسى أمره قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَنْشَأُ مَوْجٌ ﴾<sup>(٥)</sup> : فإن الضمير فى ﴿ يَنْشَأُ ﴾ عائد على المضاف الخنوف بتقدير أو كذى ظلمات .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾<sup>(٦)</sup> أى كمثل ذوى صيب ؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجوعاً فى قوله : ﴿ يَمْشُونَ أَمَا بِهِمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾<sup>(٧)</sup> ؛ ولو لم يراع لأفرده أيضاً .

(٢) سورة المائدة ١٥

(٤) سورة يوسف ٢٤

(٦) سورة البقرة ١٩

(١) سورة البقرة ١٥٩

(٣) سورة الزعد ١٧

(٥) سورة النور ٤٠

وقوله : ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، ولولا ذلك لحذف التاء ؛ لأن القوم مذكور ، ومنه قول حسان :

يَسْتَقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ  
بِرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ<sup>(٢)</sup>  
بالياء ، أى ماء بردى ، ولوراهى للذكور لأنى بالتاء .

قالوا : وقد جاء فى آية واحدة مراعاة التأنيث والحذف ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> أنث الضمير فى ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ، و ﴿ فجاءها ﴾ ، لإعادتهما على القرية للوثقة ، وهى الثابتة ، ثم قال : ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ نأتى بضمير من يعقل حملا على « أهلها » المحذوف .

وفى تأويل إعادة الضمير على التأنيث وجهان : أحدهما أنه لما قام مقام المحذوف صارت للعامة معه . والثانى أن يتدر فى الثانى حذف اللصاف ؛ كما تدر فى الأول . فإذا قلت : سألت القرية وضربتها ، فمنته : وضربت أهلها ، لحذف اللصاف كما حذف من الأول إذ وجه الجواز قائم .

وقيل : هنا مضاف محذوف ، والمعنى أهلكننا أهلها . وبيانا ، حال منهم ، أى مبنيين و ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> جملة معلقة عليها ، ومحملها النصب .

وأذكر الشاكرين مراعاة المحذوف ، وأول ما سبق على أنه من باب الحمل على المعنى ونقله عن المحققين ؛ لأن القوم جماعة ولهذا يؤنث تأنيث الجمع ، نحو هى الرجال ؛ وجمع التكسير عندهم مؤنث وأسماء الجمع تجرى مجراها ، وعلى هذا جاء التأنيث ، لا على الحذف ؛ وكذا القول فى البيت .

(١) سورة الشعراء ١٠٥

(٢) ديوانه ٣٠٩ . البريص وبردى : نهان بدمشق . ويصفق : يمزج ، ولم يقل « تصفق » والرحيق :

(٣) سورة الأعراف ٤

الحجر البيضاء . والسبل : البينة السهلة .

وفي قراءة بعضهم : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾<sup>(١)</sup> ، قدروه « عرض الآخرة » .  
والأحسن أن يقدر : « ثواب الآخرة » ؛ لأن العَرْض لا يبقى ، بخلاف الثواب .

### حذف المضاف إليه

وهو أقل استعمالاً ، كقوله : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وكذا كل ما قطع عن الإضافة ، مما وجبت إضافته معنى لا لفظاً ، كقوله تعالى :  
﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى من قبل ذلك ومن بعده .

### حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف للمضاف إلى مضاف ؛ فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث ، كقوله تعالى :  
﴿وَجَمْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> أى بدل شكر رزقكم .  
وقوله : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْثَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُوتِ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى كدوران  
عين الذى ينفث عليه من الموت .

وقيل : الرزق فى الآية الأولى الحظ والنصيب ؛ فلا حاجة إلى تقدير . وكذلك ،  
إنما قدرت فى الثانية « كالذى » حالاً من الماء والليم فى « أعينهم » ، لأن للمضاف بعض  
فلا تقدير .

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٤) سورة الروم ٤

(٦) سورة الأحزاب ١٩

(١) سورة الأحقاف ٦٧

(٣) سورة البقرة ٢٥٣

(٥) سورة الواقعة ٨٢



وقوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقدره أبو الفتح في « الختسب » على أفعال أهل النار .

وأما قوله : ﴿ مِنْ الْمَوْتِ ﴾ <sup>(٢)</sup> فالتقدير من مداناة الموت أو مقاربه ؛ ولا ينكر عُسره على الإنسان ولكن إذا دُفِع إلى أمرٍ هابه .

ومثله الآية الأخرى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَفَرَ الْمَشْيِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى من أثر حافر فرس الرسول .

وقوله : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى من أموال كفار أهل القرى .

وقوله : ﴿ فَأَتَيْنَهَا مِنْ تَحَوَّى الْقُلُوبِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، أى من أفعال ذوى تقوى القلوب .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾ <sup>(٧)</sup> الآية ، فإنَّ التقدير كمثل ذوى صيب ، حذف المضاف والمضاف إليه ، أما حذف المضاف فقرينة عطفه على : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ <sup>(٨)</sup> وأما المضاف إليه فلدلالة : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ <sup>(٩)</sup> عليه فأعاد الضمير عليه مجموعاً ، وإنما صير إلى هذا التقدير ؛ لأن التشبيه بين صفة للناقضين وصفة ذوى الصيب ، لا بين صفة للناقضين وذوى الصيب .

### حذف الجار والمجرور

كقوله : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، أى بسىء ﴿ وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ <sup>(١١)</sup> أى بصلح .

(٢) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة طه ٩٦

(٦) سورة الحج ٣٢

(٨) سورة البقرة ١٧

(١٠) سورة البقرة ١٠٢

(١) سورة البقرة ١٧٥

(٣) سورة القتال ٢٠

(٥) سورة الم نشر ٧

(٧) سورة البقرة ١٩

(٩) سورة البقرة ١٩

وكذا بعد أفضل التفضيل ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى من كل شئ .

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾<sup>(٢)</sup> أى من السر ، وكلام العنبرى فى الفصل يقتضى أنه مما قطع<sup>(٣)</sup> فيه عن متعلقه قصداً لنفى الزيادة ، نحو فلان يعلى ، ليكون كالتعليل للمتدى . إذا جعل عامراً للبالغة ؛ فلى هذا لا يكون من الحذف ، فإنه قال : أفضل التفضيل له معنيان : أحدهما أن يراد أنه زائد على المضاف إليه فى الجملة التى هو وهم فيها شركاء . والثانى أن يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ، ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه ؛ لكن بمجرد التخصيص كما يضاف مالا تفضيل فيه ؛ نحو قولك : الناقص والأشجع أعداء بني مروان كأنك قلت : عادلاً . انتهى .

### حذف الموصوف

يشترط فيه أمران :

أحدهما : كون الصفة خاصة بالموصوف ؛ حتى يصل العلم بالموصوف ؛ ففى كانت الصفة عامة امتنع حذف للموصوف . نص عليه سيبويه فى آخر باب ترجمة « هذا باب مجازى أو آخر الكلم العربية » . وكذلك نص عليه أرسطاطاليس فى كتابه الخطابة .  
الثانى : أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هى ، لتعلق غرض السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ فإن الاعتماد فى سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من اللوح أو التمس بها .

(١) سورة التكبوت ٤٥ .

(٢) سورة طه ٧ .

(٣) للفصل ص ٢٣٤ .

(٤) سورة آل عمران ١١٦ .

(٥) سورة البقرة ٩٥ .

- كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ﴾<sup>(١)</sup>، أى حور قاصرات .  
 وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup>، أى وجنة دانية .  
 وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(٣)</sup>، أى العبد الشكور .  
 وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، أى القوم للتقين .  
 وقوله: ﴿وَحَنَانُهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسْرِ﴾<sup>(٥)</sup>، أى سفينة ذات ألواح .  
 وقوله: ﴿ذَٰلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٦)</sup>، أى الأمة القيّمة .  
 وقوله: ﴿أَنِ اتَّخَذَ سَابِقَاتٍ﴾<sup>(٧)</sup>، أى دروعاً سابقات .  
 وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾<sup>(٨)</sup>، أى يا أيها الرجل الساحر .  
 وقوله: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٩)</sup>، أى القوم للمؤمنين .  
 وقوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾<sup>(١٠)</sup>، أى عملاً صالحاً .

#### حذف الصفة

- وأكثر ما يرد للتعظيم والتعظيم في النكرات، وكأن التذكير حينئذٍ عليه، كقوله تعالى:  
 ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾<sup>(١١)</sup>، أى وزناً نافعاً .  
 وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>(١٢)</sup>، أى من جوع شديد  
 وخوف عظيم .

وقوله: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾<sup>(١٣)</sup>، أى شيء نافع .

|                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| (٢) سورة الإنان ١٤ | (١) سورة الصافات ٤٨  |
| (٤) سورة البقرة ٢  | (٣) سورة سبأ ١٣      |
| (٦) سورة البينة ٥  | (٥) سورة القمر ١٣    |
| (٨) سورة الزخرف ٤٩ | (٧) سورة سبأ ١١      |
| (١٠) سورة القصص ٦٧ | (٩) سورة النور ٣١    |
| (١٢) سورة قريش ٤   | (١١) سورة الكهف ١٠٥  |
|                    | (١٣) سورة المائدة ٦٨ |

- وقوله : ﴿ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى سلطت عليه .
- وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى جامعاً لأكل كل صفات الرسل .
- وقوله : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى صالحة . وقيل : إنها قراءة ابن عباس . وفيه بحث وهو أن لا نسلم الإجماع ، بل هو عام مخصوص .
- وقوله : ﴿ يَفْأَكِهَنِ كَثِيرَةً وَنَسْرَابٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى كثير ، بدليل ما قبله .
- ويجىء في العرف ، كتوله تعالى : ﴿ الْآنَ حِجَّتْ بِالْحَقِّ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى اللين .
- وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، أى الناس الذين ينادونكم
- وقوله : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ أى الناجين .
- وقوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِرُؤُوسِهِمْ ﴾ <sup>(٨)</sup> ؛ أى قومك للماندون .
- ومنه : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ <sup>(٩)</sup> ،
- أى من أولى الضرر ، ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ ؛ أى من غير أولى الضرر .
- قال ابن مالك وغيره ، وبهذا التقدير يزول إشكال التكرار من الآية .
- وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِيكُمْ غُرًّا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ <sup>(١٠)</sup> أى لم أتل عليكم فيه شيئاً ،
- محذفت الصفة أو الحال ، قيل والعمر هنا أربعون سنة .

### حذف المصطوف

- قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَوْفُوا بِنُفُوسِكُمْ ﴾ <sup>(١١)</sup> ، ﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، ﴿ أُنْثِمَ إِذَا مَا وَفَّقَ ﴾ <sup>(١٣)</sup>
- التقدير : أعموا أملكوا أكرهتم

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة القاريات ٤٢ | (٢) سورة النساء ٧٩    |
| (٣) سورة الكهف ٧٩    | (٤) سورة ص ٥١         |
| (٥) سورة البقرة ٧١   | (٦) سورة آل عمران ١٧٣ |
| (٧) سورة هود ٤٦      | (٨) سورة الأنعام ٦٦   |
| (٩) سورة يوسف ١٠٩    | (١٠) سورة الأعراف ١٨٥ |
|                      | (١١) سورة يوسف ١٠٩    |
|                      | (١٢) سورة يوسف ١٠٩    |

وقوله : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى ما شهدنا مهلك أهلهم ومهلكه ، بدليل قوله : ﴿ لَنَبَيِّنَنَّ أَهْلَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ وما روى أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله ؛ وعلى هذا قولهم : ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> كذب فى الإخبار ، وأوهموا قومهم أنهم قتلوه وأهله سرّاً ولم يشعر بهم أحد ؛ وقالوا تلك للفتاة يوهمون أنهم صادقون ، وهم كاذبون .  
ويحتمل أن يكون من حذف للمطوف عليه ؛ أى ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله .  
وقال بعض المتأخرين : أصله ما شهدنا مهلك أهلك بالخطاب ؛ ثم عدل عنه إلى النفية ، فلا حذف .

وقد يحذف للمطوف مع حرف العطف ، مثل : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ قَبْلِ النَّصْرِ وَقَاتَلَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ أى أمرنا مترفيها ، ففعلوا الأمر ، ففسقوا . وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية ؛ وأنه ليس الفسق مأموراً به . ويحتمل أن يكون : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ صفة للقريه لا جواباً لقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، التقدير : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ؛ ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استثناءً بالسياق ، كما فى قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾<sup>(٦)</sup> .

### حذف المطوف عليه

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهِبًا وَلَوْ أَقْدَىٰ بِهِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى لو ملكه ولو أقْدَى به .

(٢) سورة الحديد ١٠

(٤) سورة الزمر ٧٣

(١) سورة النمل ٤٩

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٥) سورة آل عمران ٩١

ويجوز حذفه مع حرف المطف ، كقوله : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾<sup>(١)</sup> ، أى فأفطر ضمة .

وقوله : ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِمِصْرَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقَ﴾<sup>(٢)</sup> التقدير : فضرب فانفلق ، فعطف للمطوف عليه ، وهو « ضرب » ، وحرف المطف وهو الفاء للتصلة ؛ « انفلق » فصار : ﴿فانفلق﴾ فالفاء الساخنة ، على « انفلق » هى الفاء التى كانت متصلة : ﴿ضرب﴾ وأما للتصلة ؛ « انفلق » فعذوفة .

كذا زعم ابن عصفور والأبدي قالوا : والذى دل على ذلك أن حرف المطف إنما نوى به مشاركة الأول للثانى ؛ فإذا حذف أحد اللفظين - أعنى لفظا للمطوف أو للمطوف عليه - ينهى ألا يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله .

وقال ابن الضائع : ليس هذا من الحذف بل من إقامة للمطوف مقام للمطوف عليه ؛ لأنه سببه ، ويقام السبب كثيرا مقام مسببه ؛ وليس ما بعدها مطوفاً على الجواب ؛ بل صار هو الجواب ؛ بدليل ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ هو جواب الأمر .

#### حذف المبدل منه

اختلفوا فيه ، وخرج عليه قوله : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ . هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾<sup>(٣)</sup>

#### حذف الموصول

قوله : ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى والذى أنزل إليكم ؛ لأن «الذى أنزل إلينا» ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ؛ ولذلك أعيدت «ما» بد «ما»

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٢) سورة البقرة ١٨٤

(٣) سورة النحل ١١٧ وقوله : ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدل من الكذب .

(٤) سورة النكيت ٤٦

في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup>. وهو نظير قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْأَمَلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾<sup>(٤)</sup> أى من له. وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواب الحذف كونه مطوقاً على موصول آخر؛ ويؤيده هذه الآية. قال: ولا يحذف موصول حرفي إلا «أن»، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾<sup>(٥)</sup>.

### حذف المخصوص في باب نعم

إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٦)</sup> التقدير: نعم العبد أيوب، أو نعم العبد هو، لأن القصة في ذكر أيوب؛ فإن قدرت: نعم العبد هو؛ لم يكن «هو» عائداً على العبد بل على أيوب:

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعِمَّ الْعَبْدُ﴾<sup>(٧)</sup>، سليمان هو المخصوص للمدح، وإنما لم يكرر لأنه تقدم منصوباً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا نِعِمَّ الْقَادِرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، أى نحن. وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٩)</sup>، أى الجنة، أو دارهم. ﴿نِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(١٠)</sup>، أى عاقبهم.

(٢) سورة النساء ١٣٦

(٤) سورة الصافات ٦٤

(٦) سورة ص ٣٠

(٨) سورة المرسلات ٢٣

(١٠) سورة الرعد ٢٤

(١) سورة البقرة ١٣٦

(٣) سورة الرعد ١٠

(٥) سورة الروم ٢٤

(٧) سورة ص ٣٠

(٩) سورة النحل ٣٠

﴿وَرِنَّمُ أَجْرُ الْمَآمِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أى أجرم .  
 وقال: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْمَشِيرُ﴾<sup>(٢)</sup> أى من ضربه أقرب من نفسه .  
 وقال تعالى: ﴿قُلْ بَشَرًا مِّمَّنْ كُنْتُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أى إيمانكم بما أنزل عليكم ،  
 وكفركم بما وراه .

وقد يحذف الفاعل والمخصوص ، كقوله تعالى : ﴿بَشَرًا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾<sup>(٤)</sup> ، أى  
 بئس البديل لإبليس وذريته ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « قَبِهَا وَرِنَمَتْ » ، أى  
 رِنمت الرخصة .

### حذف الضمير المنصوب المتصل

يقع فى أربعة أبواب :

أحدهما : الصلة ، كقوله تعالى : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾<sup>(٥)</sup> .  
 الثانى : الصفة ، كقوله تعالى : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾<sup>(٦)</sup> ، أى  
 فيه ، بدليل قوله : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup> ولذلك يقدر فى الجمل  
 للمطوف على الأولى ؛ لأن حكمهن حكمها ، فالتقدير : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ  
 مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٨)</sup> فيه .

ثم اختلفوا ، فقال الأخفش : حذفت على التدرج ؛ أى حذف المطف فأتصل الضمير ،  
 فحذف . وقال سيبويه : حذفاً مائلاً لأول وهلة .

(١) سورة آل عمران ١٣٦

(٢) سورة الحج ١٣ ، وقبلها : ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ . . .﴾ .

(٣) سورة البقرة ٩٣ (٤) سورة الكهف ٥٠

(٥) سورة الفرقان ١٩ ، والتقدير : « بئس » . (٦) سورة البقرة ٤٨



وقيل : عُدِّيَ الفعل إلى الضمير أولاً اتساعاً ، وهو قول القارسي .  
 وجعل الواحدى من هذا قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> ،  
 أى منه . وقوله : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى ما للظالمين منه .  
 وفيه نظر ؛ أما الأولى فلأن ﴿يُغْنِي﴾ جملة قد أُضيف إليها اسم الزمان ، وليست صفة .  
 وقد نصوا على أن عَوْدَ ضمير إلى المضاف من الجملة التى أُضيف إليها الظرف غير  
 جائز ؛ حتى قال ابن السراج : فإن قلت : أعجبت يوم قت فيه امتنعت الإضافة ؛ لأن الجملة  
 حينئذ صفة ، ولا يضاف موصوف إلى صفته . قال ابن مالك : وهذا مما خفي على أكثر  
 النحويين . وأما الثانية ؛ فكأنه يريد أن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ﴾ صفة ليوم ، للمضاف  
 إليها الأزمنة ؛ وذلك متعذر ؛ لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، والظاهر أن الجملة حال منه ،  
 ثم حذف العائد الجورور ؛ « في » ، كما يحذف من الصفة .  
 الثالث : الخبر ، كقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهِ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup> في قراءة ابن عامر .  
 الرابع : الحال .

## تَنْجِيهِ

[ عن ابن الشجري في تفاوت أنواع العذف ]

قال ابن الشجري : أقوى هذه الأمور في العذف الصلة ، لطول الكلام فيها ؛  
 لأنه أربع كلمات ؛ نحو : جاء الذى ضربت ؛ وهو : للوصول ، والفعل ، والفاعل ، والفعول .  
 ثم الصفة ؛ لأن الموصوف قائم بنفسه ، وإنما أتى بالصفة للتوضيح . ثم الخبر ؛ لا انفصاله عن  
 المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه .

(٢) سورة المؤمن ١٨

(١) سورة الفتنان ٣١

(٣) سورة النساء ٩٥

ووجه التفاوت أن الصفة رتبة متوسطة بين الصلة والخبر ؛ لأن الموصول وصلته كالكلمة الواحدة ، ولهذا لا يفصل بينهما ؛ والصفة دونها في ذلك ؛ ولهذا يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، والخبر دون ذلك ، فكان الحذف أكد في الصلة من الصفة ، لأن هناك شيئين يدلان على الحذف ؛ الصفة تستدعي موصوفاً ، والعامل يستدعيه أيضاً .

ويستحسن ابن مالك هذا الكلام ، ولم يتكلم على الحال لرجوعه إلى الصفة .

\*\*\*

### حذف المفعول

وهو ضربان :

أحدهما : أن يكون مقصوداً مع الحذف فينوى الدليل ؛ ويقدر في كل موضع ما يليق به ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَسَالٍ لِّأَيِّ يَرِيدُ ﴾ <sup>(١)</sup> أي يريده .

﴿ فَفَشَاهَا مَا غَشَّى ﴾ <sup>(٢)</sup> أي غشاها إياه .

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى ﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿ أَيْنَ دُرُّ كَاتِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْمُونُ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وكلّ هذا على حذف ضمير للمفعول ، وهو مراد ، حذف تحقيقاً لطول الكلام بالصفة ؛ ولولا إرادة للمفعول — وهو الضمير — نلغى الصلة من ضمير يعود على الموصول ؛ وذلك لا يجوز ؛

(٢) سورة التجم ٥٤

(٤) سورة هود ٤٣

(٦) سورة القصص ٦٢

(١) سورة البروج ١٦

(٣) سورة الرعد ٢٦

(٥) سورة النمل ٥٩

وكان في حكم اللطوق به ؛ فالدلالة عليه من وجهين : اقتضاء الفعل له ، واقتضاء الصلة إذا كان المائد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> في قراءة حزة والكسائي بنير هاء ، أى ماعلته ، بدليل قراءة الباقيين ، فـ « ما » في موضع خفض للعطف على ﴿ تَمَرِهِ ﴾ .

ويجوز أن تكون « ما » نافية ، وللفى : لياكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم ؛ فيكون أبلغ في الامتنان . ويقوى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ وعلى هذا فلا تكون الماء مرادة ، لأنها غير موصولة .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهو فاسد ، لأن « شرب » يتعدى بنفسه .

والنرض حيثنذر بالخلف أمور :

منها : قصد الاختصار عند قيام القرائن ؛ والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، لظهور أن المراد : أرى ذاتك . ويعمل أن يكون هاب للمواجهة بذلك ، ثم براه الشوق . ويجوز أن يكون آخر لآتى به مع الأصرح ؛ لتلا يتكرر هذا المطلوب العظيم على المواجهة إجلالا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ الظاهر أنه متمم حذف مفعوله ؛ أى تأجرنى نفسك .

وجعل منه السكاكى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْعُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْفِي حَتَّى يَبْصُرَ

(١) سورة يس ٣٥ ؛ وقوله : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ .

(٢) سورة المؤمنون ٣٣

(٣) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤

(٤) سورة القصص ٢٧

(٥) سورة الأعراف ١٤٣

الرَّحْمَاءِ ﴿١٧٠﴾ فَمَنْ قَرَأَ بِكُسرِ هَـالِكٍ مِنْ ﴿يُضْذِرُ﴾ فَإِنَّهُ حَذَفَ الْقَمُولَ فِي خُصَّةِ مَوَاضِعَ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي كَأَسْبَقِيَّتِهِ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وقوله : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ <sup>(١٧١)</sup> ، أَيْ أَنْفَكُمْ .

وقوله : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا ﴾ <sup>(١٧٢)</sup> ، أَيْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ .

وقوله : ﴿ إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ <sup>(١٧٣)</sup> ، أَيْ نَاسًا أَوْ فَرِيقًا .

وقوله : ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا ﴾ <sup>(١٧٤)</sup> ، أَيْ شَيْئًا .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ <sup>(١٧٥)</sup> ، أَيْ غَيْرَ السَّمَوَاتِ .

وقوله : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ <sup>(١٧٦)</sup> ؛ عَلَى أَنَّ الدَّعَاءَ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ ؛

الَّتِي تَعْدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ ؛ أَيْ سَمَّوْهُ اللَّهَ ، أَوْ سَمَّوْهُ الرَّحْمَنَ ؛ أَيًّا مَا سَمَّوْهُ ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى ؛ لِإِذْ لَوْ كَانَ الرَّدَادُ بِمَعْنَى الدَّعَاءِ لِلتَّعْدِي لِوَاحِدٍ لَزِمَ الشَّرْكُ إِنْ كَانَ مَسْمًى اللَّهُ غَيْرَ

مَسْمًى الرَّحْمَنَ ؛ وَعُطِفَ الشَّيْءُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ كَانَ مَعِينَهُ .

ومنها قصد الاحتقار كتوله : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ <sup>(١٧٧)</sup> ؛ أَيْ الْكَفَّارَ .

ومنها قصد التعميم ؛ وَلَا سِوَا إِذَا كَانَ فِي حَيْزِ النِّفْيِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تَنْفِي

الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(١٧٨)</sup> . وَكَذَا ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(١٧٩)</sup> وَكَثِيرًا

مَا يَمْتَرَى الْحَذَفُ فِي رَعْوَسِ الْآيِ نَحْوُ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١٨٠)</sup> .

و ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ <sup>(١٨١)</sup> .

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| (٢) سورة البقرة ١٩٨  | (١) سورة القصص ١٢٣   |
| (٤) سورة إبراهيم ٣٧  | (٣) سورة الجعدة ١٤   |
| (٦) سورة إبراهيم ٤٨  | (٥) سورة البقرة ٦١   |
| (٨) سورة المجادلة ٢١ | (٧) سورة الإسراء ١١٠ |
| (١٠) سورة الأعراف ٧٢ | (٩) سورة يونس ١٠١    |
| (١٢) سورة الأعراف ٥٨ | (١١) سورة البقرة ١٠٢ |

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَمِرُّونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وكذا كل موضع كان الترضي إثبات للمنفى الذى دلّ عليه الفعل لتفاعل غير متعلق بغيره .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى كل واحد ، لأن الدعوة علمية والمهداية خاصة .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْصَرُوا﴾<sup>(٧)</sup> ، فشكل ووزن يتعدان إلى مفعولين : أحدهما باللام ، والتقدير : كالوا لهم ووزنوا لهم ، وحذف للمفعول الثانى قصد التعميم .

وما ذكرناه من كون « هم » منصوباً فى اللوض بعد اللام هو الظاهر ، وقوره ابن السجرى فى أماليه ، قال : وأخطأ بعض المتأولين حيث زعم أن « هم » ضمير مرفوع أكتبت به الواو كالضمير فى قولك : « خرجوا هم » ، فـ « هم » على هذا التأويل عائد على المطففين .

ويدل على بطلان هذا القول أمران :

(٢) سورة القصص ٧٢

(٤) سورة البقرة ١٤

(٦) سورة يونس ٢٥

(١) سورة القصص ٧١

(٣) سورة البقرة ٧٧

(٥) سورة البقرة ٢٢

(٧) سورة المطففين ٣

أحدهما : عدم ثبوت الألف في « كالوم » و « وزنوم » ؛ ولو كان كقالت لأبنتوها في خط المصحف ؛ كما أبنتوها في قوله تعالى : ﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ قَالُوا لَنَجِيَّ لَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ونحوه .

والثاني أن تقدم ذكر « الناس » بدل على أن الضمير راجع إليهم ؛ فالعنى : ﴿ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وإذا كالوا الناس أو وزنوا الناس يحسرون .

وجعل الزمخشري من حذف للفعول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ أى في الصر . وعند أبي علي أن الشهر ظرف ، والتقدير فمن شهد منكم للصر في الشهر .

ومنها تقدم مثله في اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَمْخُؤُاْ لَهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى ويثبت ما يشاء .

فلما كان للفعول الثاني بلفظ الأول في صومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه ، دلالة ما ذكر عليه ، كقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ <sup>(٧)</sup> أى غير السموات .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقِبَلِ الْقَتَحِ وَقَاتِلَ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى ومن أفاق من يده وقاتل ؛ بدليل ما بعده .

وقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَتَسَوِّفَ يَبْصُرُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> أى أبصرهم ، بدليل قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

وسبق عن ابن ظفر السر في ذكر للفعول في الأول وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة

(٢) سورة البقرة ٢٤٦

(٤) سورة البقرة ١٨٥

(٦) سورة المؤمنون ٩٦

(٨) سورة الحديد ١٠

(١٠) سورة الصافات ١٧٥

(١) سورة البقرة ٢٤٣

(٣) سورة المطففين ٢

(٥) سورة الرعد ٣٩

(٧) سورة إبراهيم ٤٨

(٩) سورة الصافات ١٧٩

أن الأولى اقتضت نزول المذاب بهم يوم بدر ، فلما تضمنت التشقي قيل : ﴿ أَبْصِرْ ﴾ .  
وأما الثاني فالمراد بها يوم الفتح ؛ واقرن بها مع الظهور عليهم تأميرهم والدعاء إلى إيمانهم ؛  
فلم يكن وقتاً للتشقي بل للبروز ؛ فقيل له : ﴿ أَبْصِرْ ﴾ ، وللمنى : فسيبصرون منك عليهم .  
وقوله : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى وعدكم ربكم ؛ غذف لدلالة قوله  
قبله : ﴿ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قاله الزمخشري .

وقد يقال : أطلق ذلك ليقناول كل ما وعد الله من الحساب والبعث والثواب  
والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا يكذبون بذلك أجمع ، ولأن للوعود كله  
مما ساءهم ؛ وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ، فأطلق لذلك ليكون من الضرب الآتى .  
وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ  
لِلْقَاسِيَةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ  
وَمَا قَلَىٰ ﴾ <sup>(٤)</sup> أى ما قلاك ، غذف للقول ، لأن فواصل الآى على الألف .  
ويحتمل أنه للاختصار لظهور المحذوف قبله ؛ أى أفن شرح الله صدره للإسلام  
كن أفسى قلبه ؛ فحذف لدلالة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ومنها البيان بمد الإيهام كافى مفعول المشيئة والإرادة ، فإنهم لا يكادون يذكرونه ،  
كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(٢) سورة الزمر ٢٢

(٤) سورة البقرة ٢٠

(١) سورة الأعراف ٤٤

(٣) سورة الضحى ١ - ٣

(٥) سورة الأنعام ٣٥

- ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 ﴿قَدْ يَشَاءُ اللَّهُ بِخَيْرٍ عَلَى قَلْبِكَ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾<sup>(٥)</sup> .  
 ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾<sup>(٦)</sup> .  
 التقدير : لو شاء الله أن يضل ذلك فعل .

وشرط ابن النعمانية<sup>(٧)</sup> في حذفه دخول أداة الشرط عليه كما سبق من قوله : ﴿قَدْ يَشَاءُ اللَّهُ بِخَيْرٍ عَلَى قَلْبِكَ﴾<sup>(٨)</sup> .  
 و﴿لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾<sup>(٩)</sup> .  
 ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١٠)</sup> .

والحكمة في كثرة حذف مفعول للشيئة للستلزام لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثلية الجواب ؛ ولذلك كانت الإرادة كالشيئة في جواز أطراد حذف مفعولها ؛ صرح به الزمخشري في تفسير سورة البقرة ، وابن الزمكاني في البرهان<sup>(١١)</sup> ، والتنوخى في الألفية<sup>(١٢)</sup> ؛ كقوله : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(١٣)</sup> ، وإنما حذفه لأن في الآية قبلها ما يدل على أنهم أمره بالكذب ؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله ، فلو ذكر أيضاً لكان

- 
- |   |                     |
|---|---------------------|
| (١) سورة النحل ٩  | (٢) سورة الشورى ٢٤  |
| (٣) سورة الأنعام ٣٩   | (٤) سورة الحجرات ١٣ |
| (٥) هو بن يعقوب بن إياس الدمشقي الإمام بدر الدين المعروف بابن النعمانية ؛ اختصر للمصباح لبدر الدين بن مالك في اللغوي ، وسماه ضوء للمصباح وشرحه ؛ توفي سنة ٧١٨ . بقية الرواة ١١٧ |                     |
| (٦) سورة الشورى ٢٤  | (٧) سورة الأهل ٣١   |
| (٨) سورة الأنعام ٣٩   |                     |
| (٩) هو كمال الدين محمد بن علي بن الزمكاني ، توفي سنة ٧٢٧ ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .   |                     |
| (١٠) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخى ؛ صاحب كتاب أقصى القرب في صناعة الأدب ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .   |                     |
| (١١) سورة الصف ٨  |                     |



كالسكر؛ لحذف وفشر قوله: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ آفَهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى القريب :-

وينبغي أن يتمهل في تقدير مقول المشيئة؛ فإنه يختلف للمنى بحسب التقدير؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>؛ فلف التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني: ولو شئنا أن تؤتي كل نفس هداها لآتيناهما، لا يصح إلا على ذلك؛ لأنه إن لم يقدر هذا للقول أدى والياد بالله إلى أمر عظيم، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق؛ لأن من شأن «لو» أن يكون الإتيان بعدها نفيًا، ألا ترى أنك إذا قلت: لو جئني أعطيتك، كان للمنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾<sup>(٣)</sup>؛ فقدّره النحويون: فلم نشأ فلم نرفعه.

وقال ابن الخباز: الصواب أن يكون التقدير «فلم نرفعه فلم نشأ»، لأن نفي اللزوم يوجب نفي اللزوم، فوجود اللزوم يوجب وجود اللزوم؛ فيلزم من وجود المشيئة وجود الرفع، ومن نفي الرفع نفي للمشيئة؛ وأما نفي اللزوم فلا يوجب نفي اللزوم، ولا وجود اللزوم وجود للزوم. انتهى

ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٤)</sup>، فإن المقصود انتفاء وجود الآلهة لا انتفاء لازمها وهو الفساد.

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطًا للثاني، لأنهم عدّوا «لو» من حروف الشرط، وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط. وقد يكون الشرط مساويًا للمشروط؛ بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط، ومن عدمه عدمه. والمقصود في الآية تعليل عدم الرفع بعدم المشيئة لا العكس.

(٢) سورة السجدة ١٣

(٤) سورة الأنبياء ٢٢

(١) سورة الصف ٨

(٣) سورة الأعراف ١٧٦

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، جعل انتفاء الملزوم سبباً لانتفاء اللزوم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى؛ فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم. والفاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ للسببية، وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكفرهم؛ ولعل ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد، مع أن القول ما قاله ابن الغباز. وأما ما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يقدح في القضية الكلية؛ ألا ترى أنا قول: الموجبة الكلية لا تنعكس كلية مع أنها تنعكس كلية في بعض المواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق، ولا يمد ذلك مبطلاً للقاعدة.

## تنبیهات التنبیه الأول

[ متى يذكر مفعول للشئنة والإرادة ]

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور: أحدها ما إذا كان مفعول للشئنة عطفياً أو غريباً؛ فإنه لا يحذف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ...﴾<sup>(٢)</sup> الآية، أراد رد قول الكفار: «اتخذ الله ولداً» بما يطابقه في اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد؛ لأنه لو حذفه فقال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبيين، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله.

ومثله صاحب كتاب «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب

المعزى : بقوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُغْنِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾<sup>(٢)</sup> . و ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُعْمَلْهُ عَلَىٰ مِثْرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> . وفيما ذكره نظر .

قلت : يحىء الذكر فى مفعول الإرادة أيضا ، إذ كان كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُا تَصَٰخِذًا لَّأَتَّخِذْنَاهُ﴾<sup>(٤)</sup> .

الثانى : إذا احتيج لمود الضمير عليه ، فإنه يُذكر ، كقوله : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُا تَصَٰخِذًا لَّأَتَّخِذْنَاهُ﴾<sup>(٥)</sup> ، فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه .  
وقد يقال : الضمير لم يرجع عليه وإنما عاد على معمول معموله .  
الثالث : أن يكون السامع منكرا لذلك ، أو كالنكر ، فيقصد إلى إثباته عنده ، فإن لم يكن منكرا ، فالخلف .

والحاصل أن حذف مفعول « أراد » و « شاء » لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة .

### التنبيه الثانى

[ فى إنكار أبى حيان للقاعدة السابقة ]

أنكر الشيخ أبو حيان فى باب عوامل الجزم من شرح « التسهيل » هذه القاعدة وقال : غلط البيانون فى دعواهم لزوم حذف مفعول للشيئة ؛ إلا فيما إذا كان مستغنيا ؛ وفى القرآن : ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَّخِزْ﴾<sup>(٧)</sup> . ولم أن يقولوا : إن للمفعول هاهنا عظيم ؛ فهذا صريح به فلا غلط

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة الأنبياء ١٧

(٦) سورة اللذثر ٣٧

(١) سورة الأقال ٣١

(٣) سورة الأنعام ٣٩

(٥) سورة التكوير ٢٨

على القوم ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فإذا جمعت « ما ذا » بمعنى « الذى » ؛ ففعل « أَرَادَ » متقدم عليه ، وإن جمعت « ذا » وحدها بمعنى « الذى » فيكون مفعول « أَرَادَ » محذوفاً ؛ وهو ضمير « ذا » ولا يجوز أن يكون « مثلاً » مفعول « أَرَادَ » لأنه أحد مسموليه ولكنه حال .

## فصل

وقد كثرت حذف مفعول أشياء غير ماضية ؛ منها الصبر ، نحو : ﴿ فَاصْبِرُوا وَأَنْصِرُوا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد يذكر ، نحو : ﴿ وَاصْبِرْ فَسَكَتَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> قال الزمخشري<sup>(٥)</sup> في تفسير سورة الحجرات : قولهم : صبر عن كذا<sup>(٦)</sup> ، محذوف منه للمفعول ؛ وهو النفس . ومنها مفعول « رأى » ، كقوله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْا يَرَى ﴾<sup>(٧)</sup> .

قال الفارسي : الوجه أن « يرى » هنا للتمدية لمفعولين ؛ لأن رؤية الغائب لا تكون إلا علماً ، وللمضى عليه قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾<sup>(٨)</sup> وذكره العلم ، قال : وللمفعولان محذوفان ؛ فكأنه قال : فهو يرى الغائب حاضراً ، أو حذف ؛ كما حذف في قوله : ﴿ أَيْنَ شَرَّ كَاوُكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَزْعُمُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، أى تزعمونهم إياهم .

- |   |                   |
|---|-------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٦  | (٢) سورة الطور ١٦ |
| (٣) سورة آل عمران ٢٠٠                                       | (٤) سورة الكهف ٢٨ |
| (٥) الكشف ٤ : ٢٨٥   |                   |
| (٦) في الأصلين : « هنا » والأجود ما أتت به عن الكشف ٤ : ٢٨٥ |                   |
| (٧) سورة النجم ٣٥   | (٨) سورة الجن ٢٦  |
| (٩) سورة الأنعام ٢٢   |                   |

وقال ابن خروف : هو من باب الخذف لهليل ، لأن المعنى دالّ على المفعولين ؛ أى فهو يعلم ما يفعله ويستقده حقاً وصواباً ، ولا فائدة فى الآية مع الاختصار ، لأنه لا يُعلم منه المراد . وقد ذهب إليه بعض المحققين وعدل عن الصواب .

ومنها وعدّ يتعدى إلى مفعولين ؛ ويجوز الاختصار على أحدهما كأعطيت ، قال تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ <sup>(١)</sup> ، فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه . والتقدير : واعدناكم إنيانه أو مكثاً فيه .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> فإحدى الطائفتين فى موضع نصب ؛ بأنه المفعول الثانى ؛ وأنها لكم ، بدل منه ، والتقدير : وإذ يبعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها .

وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فلم يبعّد الفعل فيها إلا إلى واحد ، « وليستخلفنهم » تفسير للوعد ومبين له ، كقوله تعالى : ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فالجمله الثانية تبين الوصية ، لا مفعول ثان .

وأما قوله : ﴿أَنْتُمْ يَبْعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ <sup>(٦)</sup> ، « إن الله وعدكم » وعد الخلق <sup>(٧)</sup> فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين : انتصاب الوعد بالمصدر ، وبأنه المفعول الثانى على تسمية الموعود به وعدا .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ <sup>(٨)</sup> فما تعدى فيه « وعد »

(١) سورة المائدة ٩

(٢) سورة النور ٥٥

(٣) سورة طه ٨٦

(٤) سورة البقرة ٥١

(٥) سورة طه ٨٠

(٦) سورة الأفعال ٧

(٧) سورة النساء ١١

(٨) سورة إبراهيم ٢٢

إلى اثنين ، لأن « الأربعين » لو كان ظرفاً لكان الوعد في جميعه ؛ يعنى من حيث إنه معلود ، فيلزم وقوع المظروف في كل فرد من أفرادہ ، وليس الوعد واقعاً في « الأربعين » بل ولا في بعضها .

ثم قدر الواحدى وغيره محذوفاً مضافاً إلى « الأربعين » ، وجملوه للفعول الثانى ، فقالوا : التقدير : وإذ واعدنا موسى اعضاء أربعين ، أو تمام أربعين ، ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه .

قال بعضهم : ولم يظهر لى وجهُ عدولهم عن كون « أربعين » هو نفس المفعول إلى تقدير هذا المحذوف ؛ إلا أن يقال : نفس الأربعين ليلة لا توعده ؛ لأنها واجبة الوقوع ، وإنما للمعنى على تعليق الوعد بابتدائها وتامها ، ليقرب على الانتهاء شىء .

قلت : وقال أبو البقاء <sup>(١)</sup> : ليس أربعين ظرفاً ؛ إذ ليس للمعنى وعده في أربعين . وقال غيره : لا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه ، ولا في بعضه .

ومنها « اتخذ » تعدى لواحد أو لاثنتين ، فن الأول قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوْاً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا يُتْلَقُ بَنَاتٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ <sup>(٥)</sup> . ومن الثانى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيّاً ﴾ <sup>(٨)</sup> والثانى من المفعولين هو الأول في المعنى .

(٢) سورة الأنبياء ١٧

(١) إملاء مامن به الرحمن ٢١

(٤) سورة الزخرف ١٦

(٣) سورة الفرقان ٣

(٦) سورة المنافقون ٢

(٥) سورة الفرقان ٢٧

(٨) سورة المؤمنون ١١٠

(٧) سورة الممتحنة ١

قال الواحدى فأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اخْتَدْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله :  
﴿ يَا خُتَايَاكُمْ السَّيْلَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ اخْتَدُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَدُوا  
الْعِجْلَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالتقدير فى هذا كله : اخْتَدَوْهُ إِلَهَا ، لحذف للمفعول الثانى .

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره ؛ لكان من صاغ مجلاً أو نحوه ، أو عمله  
بضرب من الأعمال ، استحق التنبؤ من الله ، لقوله : ﴿ سَيُنَافِلُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وفى ما قاله نظر ؛ لأن الواقع أن أولئك عبده ، فالتقدير على هذا فى التمدى لوحد أن  
الذين اخْتَدُوا العجل وعبده ، ولهذا جوز الشيخ أنير الدين فى هذه الآيات كلها أن تكون  
« اخْتَدَ » فيها متمدية إلى واحد ، قال : ويكون تم جملة محذوفة ؛ تدل على المنى ، وتقديره :  
« وعبدهم إِلَهَا » ورجعه على القول الآخر بأنها لو كانت متمدية فى هذه القصة لاثنتين  
لصرح بالثانى ولو فى موضع واحد .

\*\*\*

### الضرب الثانى :

ألا يكون المفعول مقصوداً أصلاً ؛ وينزل الفعل للتمدى منزلة القاصر ؛ وذلك عند  
إرادة وقوع نفس الفعل قطع ؛ وجعل المحذوف نسياً منسياً ، كما ينسب الفاعل عند بناء  
الفعل ، فلا يذكر المفعول ، ولا يُقدَّر ؛ غير أنه لازم الثبوت عملاً لموضوع كل فعل  
متمد ؛ لأن الفعل لا يبرى تميئنه .

وبهذا يعلم أنه ليس كل ما هو لازم من موضوع الكلام مقدراً فيه ، كقوله تعالى :  
﴿ فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا وَلَنْ تَقْعَلُوا ﴾<sup>(٦)</sup> .

(٢) سورة البقرة ٥٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٢

(٦) سورة البقرة ٢٤

(١) سورة البقرة ٥١

(٣) سورة الأعراف ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ١٥٢

وقوله : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾<sup>(١)</sup> ، لأنه لم يرد الأكل من معين ، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين .

وقوله : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْشُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ويسمى للفعل حينئذٍ مائتا .

ولما كان التحقيق أنه لا يمد هذا من الحذف ، فإنه لا حذف فيه بالكسبة ؛ ولكن تبين في العبارة ؛ نحو فلان يعطى ؛ قاصداً أنه يفعل الإعطاء . وتوجد هذه الحقيقة إيهاما للبيانة بخلاف ما يقصد فيه تعميم الفعل ؛ نحو : هو يعطى ويمنع ؛ فإنه أعم تناولاً ؛ من قولك : يعطى درهم ويمتنع ؛ والغالب أن هذا يستعمل في النفي ، كقوله : ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، والآخر في الإثبات ، كقوله : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا بَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْمِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup> الخ الآية ؛ حذف منها

للفعل خمس مرات ؛ لأنه غير مراد ؛ وهو قوله ﴿يسقون﴾ ، وقوله ﴿تذودان﴾ ،

وقوله : ﴿لَأَنْتَقِي حَتَّى يَصْدِرَ الرَّعَاءُ﴾<sup>(٨)</sup> مواشيهم ، ﴿فَسَقَى لَهَا﴾ غنمها .

وقوله : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾<sup>(٩)</sup> قيل : لو ذكر للفعل فيها نقص للمقابلة وللإيراد

(٢) سورة الزمر ٩  
(٤) سورة الروم ٢٤  
(٦) سورة مريم ٤٢  
(٨) سورة الأعراف ٨٨

(١) سورة البقرة ٦٠  
(٣) سورة البقرة ١٧  
(٥) سورة البقرة ٢٥٨  
(٧) سورة القصص ٢٣



أن الله تعالى له الإحياء والإماتة ؛ وأن إلههم ليس له سمع ولا بصر ، وأن موسى عليه السلام وجد قومًا يمانون السقي ، وأمر اثنين تمانيان الذؤد ، وأخبرناه أننا لا نستطيع السقي ؛ فوجدنا من موسى عليه السلام لها السقي ، ووجدنا من أيهما مكافأة على السقي . وهذا مما حُذِفَ لظهور الراد ؛ وأن القصد<sup>(١)</sup> الإعلام بأنه كان من الناس في تلك الحالة سقي ، ومن الرأتين ذؤد ، وأنهما قالتا : لا يكون منا سقي حتى يُصدِر الرعاء ، وأن موسى سقى بعد ذلك ؛ فأما أن السقي غنم أو إبل أو غيره فخرج عن المقصود ؛ لأنه لو قيل : يدوان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يتوجه من موسى على الذؤد من حيث هو ذؤد ؛ بل من حيث هو ذؤد غنم ؛ حتى لو كان ذؤد إبل لم ينكره .

واعلم أننا جعلنا هذا من الضرب الثاني موازنة للزحشرى ؛ فإنه قال : تُركَ للقول لأن النرض هو الفعل لا للقول ، ألا ترى أنه إنما رحمها لأنهما كانتا على الزيادة ولم على السقي ، ولم يرحمها لأن مذودها غنم ومسفيهم إبل ، وكذلك قولها : ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ ، للمقصود منه<sup>(٢)</sup> السقي لا للسقي .

وجعله السكاكي من الضرب الأول ؛ أغنى مما حُذِفَ فيه للاختصار مع الإرادة . والأقرب قول الزحشرى ، ورجع الجزرى قول السكاكي أنه للاختصار ، فإن الغنم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأعمال ؛ فن فيها ضمنا عن المزاحمة ، والرأتان فيها ضعف ، فإذا انضم إلى ضعف المسقى ضعف الساقى ، كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة .  
وكفوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) الكشف : « فيه » .

(٤) سورة النجم ٤٨

(١) ث : « المقصود » .

(٣) سورة الليل

وقوله : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى﴾<sup>(١)</sup> .  
وإنما ذكر للفعول في قوله : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ لأن الراد جنس الزوجين  
فكأنه قال : يخلق كل ذكر وكل أنثى ، وكان ذكره هنا أبلغ ليدل على عموم ثبوت  
الخلق له بالتصريح .

وليس منه قوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(٣)</sup> ، لوجود الموضع من المفعول به  
لقطا ، أو هو للفعول به وهو قوله : ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾ ، ومنى الدعاء به قصر الإصلاح له  
على القرية ؛ إشعاراً بمنابته بهم .

وقوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى عاقبة أمركم ؛  
لأن سياق القول في التهديد والوعيد .

واعلم أن النرض حينئذ بالحذف في هذا الضرب أشياء :  
منها البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة على ما سبق ؛ نحو : أمرته فقام ؛ أى  
بالقيام . وعليه قوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾<sup>(٥)</sup> أى أمرناهم بالفسق ؛ وهو  
مجاز عن تمكينهم وإقدارهم .

ومنها : المبالغة بترك التقييد ؛ نحو : ﴿هُوَ يَحْيَى وَيُمِيتُ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله : ﴿فَهُمْ  
لَا يُبْعِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ونفى الفعل غير متعلق بأبلغ من نفيه متعلقا به ؛ لأن المنفى في الأول  
نفس الفعل ، وفي الثاني متعلقه .

(٢) سورة النجم ٤٥  
(٤) سورة التكاثر ٣ ، ٤  
(٦) سورة يونس ٦

(١) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤  
(٣) سورة الأحقاف ١٥  
(٥) سورة الإسراء ١٦  
(٧) سورة يس ٩

## تَنْبِيْهِ

قد يلحظ الأمان ؛ فيجوز الاعتباران ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(١)</sup> أجاز الزمخشري<sup>(٢)</sup> في حذف للفعل منه الوجهين .

وكذلك في قوله في آخر سورة الحج : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

### حذف الحال

كقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى قائلين سلام عليكم .

قال ابن أبي الربيع : اعلم أن العرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل دلالة مصدر الفعل عليه ؛ فقتول ؛ قتلته صبراً ، وأنته ركضاً ، قال تعالى : ﴿ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِينِينَ دَأْبًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، فدأبا يقدر بالفعل ؛ تقديره : « تدأبون » في موضع الحال .

قال أبو علي : لا خلاف بين سيبويه وأبي العباس في الحال المحذوف الذي المصدر منصوب به ، وإنما اختلف بينهما في القياس ، فسيبويه يذهب إلى السماع ولا يقيس ، والأخفش والبرد يقيسان .

#### (١) سورة الحجرات ١

(٧) الكشاف ٤: ٢٧٧ ، وعبارته : وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَقْدُمُوا ﴾ من غير ذكر مفعول وجبان : أحداً أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم . والثاني ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ؛ ويتوجه بالنفي إلى نفس التقصية ؛ كأنه قيل : لا تخدموا على التلبس بهذا الفعل ؛ ولا تعجلوه منكم بسبل ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُخَيِّرُ وَيُخَيِّتُ ﴾ .

(٢) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٣) سورة الحج ٧٨

(٤) سورة يوسف ٤٧

### حذف النادى

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ﴾<sup>(١)</sup> على قراءة السكّاني بضعيف « ألا » على أنها تنبيه و « يا » نداء ، والتقدير ألا يهؤلا اسجدوا لله . ويجوز أن يكون « يا » تنبيهاً ولا نادى هناك ، وجميع بينهما تأكيداً ؛ لأنّ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف للمأمور واستدعاء إقباله على الأمر .

وأما على قراءة الأكثر بالتشديد ؛ فلي أن أن الناصبة للفعل دخلت عليها لا النافية ، والفعل المضارع بعدها منصوب ؛ وحذفت النون علامة النصب ، فالفعل هنا معرب ، وفي تلك القراءة مبنى ، فاعرفه .

### فائدة

[ في حذف الياء من النداء المضاف إلى ياء المتكلم ]

كثُر في القرآن حذفُ الياء من النداء المضاف إلى ياء المتكلم ؛ نحو ياربُّ ، يا قوم ؛ وهلّ ذلك بأن النداء باب حذف ؛ ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم ؛ وجاء فيه إثباتها ساكنة ، كقراءة مَنْ قرأ : ﴿ يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وعركة بالفتح ؛ كقراءة مَنْ قرأ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ومنقلبة عن الياء في قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى ﴾<sup>(٤)</sup> .

### حذف الشرط

﴿ قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ أى إن قلت لم : أقموا بقيموا .

(٢) سورة الزمر ١٦

(٤) سورة الزمر ٥٦

(١) سورة البقر ٢٥

(٣) سورة الزمر ٥٣

(٥) سورة إبراهيم ٣١

وجعل منه الزمخشري: ﴿قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وجعل أبو حيان منه قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي إن كنتم آمنتم بما أزل إليكم فلم تقتلوه؟ وجواب «إن كنتم» محذوف دل عليه ما تقدم، أي فلم فعلتم؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد، إلا أنه حذف الشرط من الأول وبقي جوابه، وحذف الجواب من الثاني وبقي شرطه انتهى.  
 وهو حسن، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري؛ وأنكر قوله بحذف الشرط في: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وفي: ﴿فَأَنْجَرْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: إن الشرط لا يحذف في غير الأجوبة، والآن قد رجع إلى موافقته.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلِيمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنْ كُمْ كُنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، تقديره: إن كنتم منكرين فهذا يوم البعث؛ أي قد تبين بطلان إنكاركم.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، بمعنى إن افتخروا بقتلهم فلم تقتلهم، فعدل عن الافتخار بقتلهم، لحذف لدلالة الفاعلية.  
 وقوله: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾<sup>(٧)</sup>؛ تقديره: إن أرادوا أولياء فالله هو الولي بالحق، لا ولي سواه.

### حذف جواب الشرط

قوله: ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) سورة البقرة ٩١

(٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الأنفال ١٧

(١) سورة البقرة ٨٠

(٢) سورة البقرة ٥٤

(٣) سورة الروم ٦٥

(٤) سورة الشورى ٩

عَلَىٰ مِثْلِهِ . فَأَمَّنَ وَاسْتَكَبَرُكُمْ ﴿٣١﴾ ؛ أى أغلستم ظالمين ؟ بدليل قوله عقبه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ وقدره البهوى : مَنْ الحقُّ مِنَّا وَمَنْ للباطل ؟ وقوله عن أكثر المفسرين .

ومن حذف جواب الفعل : ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاَهُمْ﴾ ﴿٣٣﴾ ، تقديره : « فذهب إليهم فكذبوا بما فدمرناهم » ، والقاء الساطقة على الجواب المحذوف هي للسبب عندئذ بالقاء الفصيحة .

وقال صاحب اللفتح : وانظر إلى القاء الفصيحة في قوله تعالى : ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذُلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿٣٤﴾ ، كيف أفادت : « قُتِلْتُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ » !

وقوله : ﴿أَضْرِبُوهُ بِعَصَايَا﴾ ﴿٣٥﴾ ؛ تقديره : فضرِبوه غِيِي (كذلك يُخَيِّئُ اللَّهُ التَّوْبَةَ) .

وقال صاحب الكشف ﴿٥﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَلْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٦﴾ تقديره : فضلا به وعلماء ، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿وَقَالَ الْخَلْدُ لِلَّهِ﴾ .

وقال السكاكي : هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه ، حتى كأنه قيل : نحن فضلنا إيتاء العلم ؟ وما فضلا الحمد ، تعريضا لاستشارة الحمد على إيتاء العلم إلى فهم السامع ، مثله « قم يدعوك » بدل « قم فإنه يدعوك » .

(٢) سورة الفرقان ٣٦

(٤) سورة البقرة ٧٣

(٦) سورة النمل ١٥

(١) سورة الأحقاف ١٠

(٣) سورة البقرة ٥٤

(٥) الكشف ٣ : ٢٧٨

## حذف الأجوبة

ويكثر ذلك في جواب لو، ولولا، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَفَّوْا عَلَىٰ الْأَنْبَاءِ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَفَّوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَارَ كُورٍ مُّهِيمٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾<sup>(٦)</sup>، تقديره في هذه اللواضع

«رايت مجباً» أو «أمرأ عظيماً»، «ولأيت سوء منقلبهم»، أو «لأيت سوء حالهم».

والسر في حذفه في هذه اللواضع أنها لا تربط إحدى الجملتين بالأخرى حتى صار

جملة واحدة، أوجب ذلك لما فضلا وطولا؛ تخفف بالحذف؛ خصوصاً مع الدلالة

على ذلك.

قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التضخيم والتعظيم، ويميز حذفه لعل مخاطب به،

وإنما يحذف لتقصيد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل منذهب،

ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند اللصرح به فلا يكون لذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن

تقدير الجواب خصوصاً إلا بعد العلم بالسياق، كما قدّر بعض النحويين في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾<sup>(٧)</sup> الآية، قال: تقديره: لكان هذا القرآن

(١) سورة الأنعام ٢٧

(٢) سورة الأنعام ٢٨

(٣) سورة الأنعام ٢٩

(٤) سورة الأنعام ٣٠

(٥) سورة الأنعام ٣١

(٦) سورة الأنعام ٣٢

(٧) سورة الأنعام ٣٣

(١) سورة الأنعام ٢٧

(٢) سورة الأنعام ٢٨

(٣) سورة الأنعام ٢٩

(٤) سورة الأنعام ٣٠

(٥) سورة الأنعام ٣١

(٦) سورة الأنعام ٣٢

(٧) سورة الأنعام ٣٣

وحكاه أبو عمرو الزاهد في « الياقوتة » عن ثعلب والبرّد ، وهو مردود ، لأن الآية ما سيقّت لتفضيل القرآن ، بل سيقّت في معرض ذم الكفار ، بدليل قوله قبلها : ﴿ وَمُ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وبعلها : ﴿ أَقْلَمْ يَبْيُثْسِرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ <sup>(٢)</sup> فلو قدر الخبر « لما آمنوا به » لكان أشدّ .

وقل الشيخ محي الدين النووي في كتاب « ردوس اللسان » كون الجواب « كان هذا القرآن » ، عن الأكثرين . وفيه ما ذكرت .

وقيل تقديره : لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ورأوا ذلك ، لما آمنوا :

وقيل : جواب « لو » مقدّم ، معناه : يكفرون بالرحمن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال ، وهذا قول القراء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ يَمِينِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، محذوف ، والتقدير : لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله . ويحتمل أن يكون « ما نفدت » هو الجواب مبالة في نفي النفاذ ؛ لأنه إذا كان نفي النفاذ لازما على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاما والبحر مداها لكان لزومها على تقدير علمها أولى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة النساء ١١٣

(١) سورة الرعد ٣٠

(٣) سورة لقمان ٢٧



فإنه قد قيل : ظاهره نفي وجود الممّ منهم بإضلاله ، وهو خلاف الواقع ؛ فإنهم همّوا وردّوا القول .

وقيل : قوله : ﴿ لَهْمَتْ ﴾ ليس جواب « لو » بل هو كلامٌ تقدم على « لو » ، وجوابها مقول على طريق التسم ، وجواب « لو » محذوف تقديره ﴿ لَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾<sup>(١)</sup> ، لولا فضل الله عليك لأضلوك .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَمَنْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى همت بمخالطته ، وجواب « لولا » محذوف ؛ أى لولا أن رأى برهان ربه غلطها<sup>(٣)</sup> .

وقيل : لولا أن رأى برهان ربه لمّ بها ؛ والوقف على هذا ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ ﴾ ، وللعنى أنه لمّ بهمّ بها<sup>(٤)</sup> .

ذكره أبو البقاء . والأوّل للزحشرى .

ولا يجوز تقديم جواب « لو » عليها لأنه في حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام . وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> جواب الشرط محذوف ؛ يدلّ عليه قوله : ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أى إن شاء الله اهتدينا . وقد توسط الشرط هنا بين جزأى الجملة بالجزاء ؛ لأنّ التقديم على الشرط ، فيكون دليل الجواب متقدما على الشرط ؛ والذى حسن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، تقديره : لما استعجلوا قاتلوا متى هذا الوعد .

(٢) سورة يوسف ٢٤

(١) سورة النساء ١١٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣٥٥

(٤) إملاء مامن به الرحمن لأبى البقاء المكي ٢٨

(٦) سورة الأنبياء ٣٩

(٥) سورة البقرة ٧٠

وقال الزجاج : تقديره « لعلوا صدق الوعد » لأنهم قالوا : متى هذا الوعد ، وجعل الله الساعة موعدهم قال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَشْتَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقيل : تقديره : « لا تأملوا على كفرهم ولندموا أو تابوا » .

وقوله في سورة التكاثر : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ <sup>(٢)</sup> تقديره لا : ﴿ أَلْبَا كُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ .

وقيل : تقديره : لفضلكم ذلك عما أنتم فيه .

وقيل : لرجعتكم عن كفركم أو لتعظم مصداق ما تحذرونه .

وقوله : ﴿ قَالُوا بَلْ نَنْبِتُ مَا أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَمُوتُونَ شَيْئًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى لا يقيمونهم .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> تقديره : « لأنتم » أو « لما كفرتم » أو « لهدتم في الدنيا » أو « لتأهبت للقائنا » .

وبحore : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة ، أو لما اتبعوهم .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، قال محمد بن إسحاق : معناه لو أن لي قوة خلعت بينكم وبين المعصية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أى رأيت ما يمتد به عبرة عظيمة .

(٢) سورة التكاثر ١ ، ٤

(٤) سورة المؤمنون ١١٤

(٦) سورة هود ٨٠

(١) سورة الأنبياء ٤٠

(٣) سورة البقرة ١٧٠

(٥) سورة القصص ٦٤

(٧) سورة سبأ ٥١

وقوله عقب آية اللعان: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، قال الواحدي: قال القراء: جواب «لو» مخوف لأنه معلوم المني، وكل ما علم فإن العرب تكثف بترك جوابه؛ ألا ترى أن الرجل يشتم الرجل، فيقول للشتم: أما والله لولا أبوك... فيعلم أنك تريد: لشتمتك.

وقال اللبرّد: تأويله والله أعلم: لملستم، أو لم يبق لكم باقية، أو لم يصلح أمركم، ونحوه من الوعيد للوجيع، خذف لأنه لا يشكّل.

وقال الزجاج: للمني لئال الكاذب منكم أمر عظيم؛ وهذا أجود مما قدره اللبرّد. وكذلك «لولا» التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَمُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، جوابها مخدوف؛ وقدره بضمهم في الأولى: لا فتضح فاعل ذلك؛ وفي الثانية: لسبّل عذاب فاعل ذلك؛ وسوغ الخذف طول الكلام بالمعطوف، والطول داع للخذف.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ قَيُّوْلُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُذِيعَ آيَاتِكَ﴾<sup>(٣)</sup> جوابها مخدوف، أي لولا احتجاجهم بترك الإرسال إليهم لما جلتهم بالعقوبة.

وقال مقاتل: تقديره لأصابتهم مصيبة.

وقال الزجاج: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج. وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾<sup>(٤)</sup>، أي لأبليت.

(٢) سورة النور ٢٠

(٤) سورة القصص ١٠

(١) سورة النور ١٠

(٣) سورة القصص ٤٧

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ <sup>(١)</sup> ، تقديره : لو تملكون ، [ تملكون ] <sup>(٢)</sup> ، فأضمر « تملك » الأولى على شريطة التفسير وأبدل من الضمير للتصل ، الذي هو « الواو » ضمير منفصل ، وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من الكلام ، فـ « أنتم » فاعل الفعل للضمير ، « و تملكون » تفسيره .

قال الزخشري <sup>(٣)</sup> : هذا ما يقتضيه <sup>(٤)</sup> الإعراب ؛ فأما ما يقتضيه علم البيان ، فهو أن [ أنتم ] <sup>(٥)</sup> تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالفتح المتتابع <sup>(٦)</sup> ؛ وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل القصر برز الكلام في صورة البعد والغير .

ومن حذف الجواب قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أى أعرضوا ؟ بدليل قوله بسنده : ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقوله في قصة إبراهيم في الحجر : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، وفي غيرها من السور : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ <sup>(١١)</sup> ، قال الكرماني : لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى ، فاكتمت بما في هذه ؛ ولو ثبت تمدد الوقائع لنزلت على واقعيتين

(٢) تسكة من الكشاف ٢ : ٤٣ •

(١) سورة الإسراء ١٠٠

(٣) الكشاف ٢ : ٤٣ •

(٤) عبارة الزخشري في الكشاف : « وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الإعراب » .

(٥) من الكشاف . (٦) في الكشاف بسند : نحو قول حاتم :

• لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي •

وقول النلس :

• وَلَوْ غَيْرُ أَخَوَالِي أَرَادُوا قِيَعَتِي •

(٨) سورة المجر ٢ •

(٩) سورة يس ٤٥ ، ٤٦ •

(١٠) سورة القاريات ٢٥ •

(١١) سورة الفرقان ٦٣ •

وكتوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾<sup>(١)</sup> ، قال الزمخشرى<sup>(٢)</sup> : حذف الجواب ، وتقديره مصرّح به في سورتي التكويد والافتطار ، وهو قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال في : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾<sup>(٤)</sup> : الجواب محذوف ، أى أنهم ملمونون ، يدلّ عليه قوله : ﴿ قَتِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وكتوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى « حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها » ، والواو واو حال ، وفي هذا ما حكى أنه اجتمع أبو عليّ الفارسي مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة ، فسلّ ابن خالويه عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُهَا ﴾<sup>(٧)</sup> ، في النار بنير واو ، وفي الجنة بالواو ! فقال ابن خالويه : هذه الواو تسمى واو التمانية لأن العرب لا تطف التمانية إلا بالواو ، قال : فنظر سيف الدولة إلى أبي عليّ وقال : أحتى هذا ! فقال أبو عليّ : لا أقول كما قال ؛ إنما تركت الواو في النار ، لأنها مغلقة ، وكان مجيئهم شرطاً في فتحها ، قوله : ﴿ فَتُحْتَفَتُ ﴾ فيه معنى الشرط ، وأما قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الجنة ، فهذه واو الحال ، كأنه قال : جاءوها وهي مفتحة الأبواب ؛ أو هذه حالها .

وهذا الذى قاله أبو عليّ هو الصواب ، ويشهد له أحران :

أحدهما : أن المادة مطّردة شاهدة في إعاةة للمذيين بالسجون ، من إغلاقتها حتى يردّوا عليها ، وإكرام النمنين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة وإهماً .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) الكشف ٤ : ٥٧٩ ، والبيان هناك : « حذف جواب إذا لينصب للتدريج كل مذهب ، أو اكتماء بما علم في مثلها من سورتي التكويد والافتطار » .

(٣) سورة التكويد ١٤ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴾ والافتطار : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخْخَرَتْ ﴾ .

(٤) سورة البروج ١ ، ٤

(٥) سورة الزمر ٧٣

(٦) سورة الزمر ٧٣

والثاني : النظر في قوله : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمْ فِيهَا أَعْنَابٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

ولنحويين في الآية ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن الواو زائدة ، والجواب قوله « فتحت » وهؤلاء قيمان منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ، ومنهم من لم يثبتها .

والثاني : أن الجواب محذوف عطوف عليه قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ كأنه قال « حَقٌّ إِذَا جَاءَهَا وَهِيَ [جاءوها]<sup>(٢)</sup> وَفُتِحَتْ » قال الزجاج وغيره : وفي هذا حذف للمطوف وإبقاء للمطوف عليه .

والثالث : أن الجواب محذوف آخر الكلام ؛ كأنه قال بعد الفراغ : استقروا ، أو خلدوا ، أو استقروا ؛ مما يقتضيه اللقاسم ؛ وليس فيه حذف مطوف . ويحتمل أن يكون التقدير : إذا جاءوها أُذِنَ لهن في دخولها وفتحت أبوابها ؛ للجنى ليس سببا مباشرا للفتح ؛ بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ حَقٌّ إِذَا ضَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ آفَةٍ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ نَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾<sup>(٣)</sup> أي رحمتهم ثم ناب عليهم ؛ وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة « ثم » .

وحذف المطوف عليه وإبقاء للمطوف سائغ ، كقوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبْنَا إِلَى الْفُؤَادِ الَّذِينَ كَذَبُوا يَٰأَيُّهَا قَدْ مَرَّ نَاهُمْ تَذْمِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، التقدير والله أعلم : فذهبنا قبلنا ، فكذبوا قدامنا ؛ لأن اللفظ يرشد إلى ذلك .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أي فامتنعتم ، أو فسلمتم ، أو فسلمت فتاب عليكم .

(٢) تكله من الكشاف ٤ : ١١٤

(٤) سورة الفرقان ٣٦

(١) سورة س ٥٠

(٣) سورة التوبة ١١٨

(٥) سورة البقرة ٥٤

وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى رُحِمَا وسُعِدَا وتله . وابن عطية يجعل التقدير : فلما أسلما أصلا ؛ وهو مشكل .

وقوله : ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا كُونُوا كُنَّا ﴾<sup>(٢)</sup> ، للمعنى : حتى إذا كان ذلك ندم الذين كفروا ولم ينفعهم إيمانهم ؛ لأنه من الآيات والأشراط .

\*\*\*

وقد يجمىء فى الكلام شرطان ؛ ويحذف جواب أحدهما اكتفاء بالآخر كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾<sup>(٣)</sup> فى الاعتراض به مجرى الظرف ؛ لأن الشرط وإن كان جملة ؛ فإنه المالم يتم بنفسه جرى مجرى الجزء الواحد ؛ ولو كان عنده جملة لما جاز الفصل به بين « أما » وجوابها ؛ لأنه لا يجوز . أما زيد فنطلق ؛ وذهب الأخفش إلى أن إلقاء جوابها . ونظيره : ﴿ وَوَلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَمَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، قوله : ﴿ لَمَذَّبْنَا ﴾<sup>(٥)</sup> جواب للولا ولو جميعا .

واختار ابن مالك قول سيبويه أن الجواب « لأما » واستغنى به عن جواب « إن » لأن الجواب الأول الشرطين للتواليين فى قوله : ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُفَوِّضَكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ونظائره .

فإذا كان أول الشرطين « أما » كانت أحق بذلك لوجهين :

أحدهما : أن جوابا إذا انفردت لا يحذف أصلا ؛ وجواب غيرها إذا انفرد يحذف كثيرا لدليل ؛ وحذف ما عهد حذفه أو لى من حذف ما لم يعهد .

(٢) سورة الأنبياء ٩٧

(٤) سورة الفتح ٢٥

(١) سورة الصافات ١٠٣

(٣) سورة الواقعة ٩٠

(٥) سورة هود ٣٤

والثاني : أن « أما » قد التزم معها حذف فعل الشرط ، وقامت هي مقامه ، فلو حذف جوابها لكان ذلك إجحافاً ، وإن ليست كذلك . انتهى .

والظاهر أنه لا حذف في الآية الكريمة ، وإنما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول ، والحذوف إنما هو أحد القادين .

وقال الفارسي في قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآية : إنه حذف منه : أَعَزَّنَا وَلَا تَذَلَّنَا .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْنَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، تقديره : « فكيف تجدونهم مسرورين » أو « محزونين » ، ذ « كيف » في موضع نصب بهذا الفعل المضمر ، وهذا الفعل المضمر قد سدّ مسدّد جواب إذا .

### حذف جواب القسم

للم سامع المراد منه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّاجِدَاتِ سَجًّا . فَالسَّاقَاتِ سَفًّا . فَالْمَذْبُوحَاتِ آمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، تقديره : كتمتّن ولتحاسبن ، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم : ﴿ أَأَنَّا لَمُرْءَدُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقيل : القسم وقع على قوله : ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَمِيعَةٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ <sup>(٥)</sup> . وكقوله تعالى : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ ﴾ <sup>(٦)</sup> وحذف دلالة الكلام السابق عليه .

(١) سورة النساء ٦٢

(٢) سورة النازعات ١٠

(٣) سورة طه ٧٢

(١) سورة آل عمران ٢٦

(٢) سورة النازعات ١ - ٦

(٣) سورة النازعات ٢٦



واختلف في جواب القسم في : ﴿مَنْ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج :  
﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> ، واستبعد الكسائي .  
وقال الفراء : قد تأخر كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا يستقيم ذلك  
في العربية .

وقيل : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾<sup>(٣)</sup> ، ومعناه : لَكَمْ أَهْلَكْنَا ، وما بينهما اعتراض ، وحذفت  
اللام لطول الكلام .

وقال الأخفش : ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ أَرْسُلَ﴾<sup>(٤)</sup> ، والمعرض بينهما قصة واحدة .  
وعن قتادة : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾<sup>(٥)</sup> ، مثل : ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .  
بَلَى عَصَبُوا﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال صاحب النظم في هذا القول : معنى « بل » توكيد الأمر بده ؛ فصار مثل أن  
الشديدة تُثبت ما بعدها ، وإن كان لها معنى آخر في نفي خبر مقدم ؛ كأنه قال : إن الذين  
كفروا في عِزَّةٍ وشِقَاقٍ .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إن النحويين قالوا : إن « بل » تقع في جواب القسم  
كما تقع « إن » لأن المراد بها توكيد الخبر ؛ وذلك في ﴿مَنْ وَالْقُرْآنِ . . .﴾ الآية . وفي  
﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ . . .﴾ الآية ؛ وهذا من طريق الاعتبار ، ويصلح أن يكون بمعنى « إن »  
لأنه سائق في كلامهم ؛ أو يكون « بل » جواباً للقسم ؛ لكن لما كانت متضمنة رفع خبر  
وإتيان خبر بده كانت أوكد من سائر التوكيدات ، فحسن وضعها موضع « إن » .

(٢) سورة ص ٦٤

(٤) سورة ص ١٤

(٦) سورة ق ١ ، ٢

(١) سورة ص ١

(٣) سورة ص ٣

(٥) سورة ص ٢

وقيل : الجواب محذوف ، أى والقرآن المجيد ، ما الأمرُ كما يقول هؤلاء . أو الحق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقال القراء في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ <sup>(١)</sup> جوابه محذوف ؛ أى فيومئذ يلاقى حسابه .

وعن قتادة أن جوابه : ﴿ وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴾ <sup>(٢)</sup> يعنى أن الواو فيها بمعنى السقوط ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْحَبِيبِينَ . وَنَادَيْنَاهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى ناديناه .

### حذف الجملة

هى أقسام : قسم هى مسببة عن المذكور ، وقسم هى سبب له ، وقسم خارج عنها ؛  
فالأول : كقوله تعالى : ﴿ لِيُحِيقَ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق . يكون سبباً عن مدخول اللام ، فلما لم يوجد لها متعلق فى الظاهر وجب تقديره ضرورة ، فيقدر : قُلَّ مَا ضَلَّ لِيُحِيقَ الْحَقُّ .

والثانى : كقوله تعالى : ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ فإن الفاء ، إنما تدخل على شئ مسبب عن شئ ، ولا مسبب إلا له سبب ، فإذا وُجد السبب - ولا سبب له - ظاهراً - أوجب أن يقدر ضرورة ، فيقدر : فضر به فانفجر .

والثالث : كقوله تعالى : ﴿ فَنِعِمَّ الْمَاهِدُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى نحن هم ، أو هم نحن .  
وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا يُوسُفَ ... ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية ،  
فإن التقدير : « فَأَرْسَلْنَا إِلَى يُوسُفَ لَاسْتَمِيرَهُ الرُّوْيَا ، فَأَرْسَلُوهُ إِلَيْهِ لَئَلَّكَ ، لِنَجَاءِ قَالِهِ :

(٢) سورة الصافات ١٠٣ ، ١٠٤

(٤) سورة البقرة ٦٠

(٦) سورة يوسف ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الانشقاق ١ ، ٢

(٣) سورة الأنفال ٨

(٥) سورة القاريات ٤٨

يا يوسف « ، وإنما قلنا : إن هذا الكل محذوف ؛ لأن قوله : ﴿ أَرْسِلُونِ ﴾ يدل لاحتالة على المرسل إليه ، فثبت أن « إلى يوسف » محذوف . ثم إنه لا طَلِبَ الإرسال إلى يوسف عند المعجز الحاصل للمعبرين عن تسيير رؤيا لذلك دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استمبارة الرؤيا التي مجزوا عن تسييرها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ . . . ﴾<sup>(١)</sup> الآية ، فأعقب بقوله حكاية عنها : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أَتَى إِلَى كِتَابُ كَرِيمٍ ﴾ ، تقديره : فأخذ الكتاب فألقاه إليهم ، فقرأته بقبس ، وقرأته ، و﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْكِتَابَ صَبِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> ، حذف بطول ، تقديره : فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى : ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ يَا هَآؤُلَؤُنَا مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَأَلَّا تَنْبَغُ أَنْ أَفْتَضِلَّ أَمْرِي ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾<sup>(٦)</sup> إلى قوله ﴿ تَكَرُّوا لَهَا عَزَشَهَا ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾<sup>(٨)</sup> أى كمن قسا قلبه ترك على ظله وكفره ؛ ودل على المحذوف قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾<sup>(٩)</sup> .

ومن حذف الجملة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾<sup>(١٠)</sup> قيل : للمنى جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا ؛ وإلا فن أين هم للملائكة أنهم يفسدون وبقى الكلام يدل على المحذوف . وقوله : ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾<sup>(١١)</sup> ، قال

(٢) سورة مريم ١٢  
(٤) سورة النمل ٤٠ ، ٤١  
(٦) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة النمل ٢٨ ، ٢٩  
(٣) سورة طه ٩١ - ٩٣  
(٥) سورة الزمر ٧٢  
(٧) سورة المجرات ١٢

الفارسي : للمنى فكما كرهتموه فاكروها النبية : ﴿ وَأَتُوا اللَّهَ ﴾ ، عطف على قوله : « فاكروها » وإن لم يذكر دلالة الكلام عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى ففضب فانفجرت . قوله : ﴿ كرهتموه ﴾ كلام مستأنف ، وإنما دخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الجواب ؛ لأن قوله : ﴿ أَيْحَبُّ أَحَدَكُمْ ﴾ كأنهم قالوا فى جوابه : لا ، قال : فكرهتموه ؛ أى فكما كرهتموه فاكروها النبية .

قال ابن السجري : وهذا التقدير بعيد ؛ لأنه قدر المحذوف موصولا ، وهو « ما » المصدرية ، وحذف للوصول ، وإبقاء صلته ضعيف ؛ وإنما التقدير : فهذا كرهتموه ، والجملة للقدرة المحذوفة ابتدائية لأمرية ، وللمنى : فهذا كرهتموه ، والغيبة مثله ؛ وإنما قدرها أمرية ليمطف عليها الجملة الأمرية فى قوله : ﴿ وَأَتُوا اللَّهَ ﴾ .

### حذف القول

قد كثر فى القرآن العظيم حتى إنه فى الإحصار بمنزلة الإظهار ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى يقولون : ما نعبدكم إلا للقرية .

ومنه : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَّ وَالْأَسْلُوبَ كُلُوا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى وقلنا كلوا ، وأقائلين . وقوله : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى قلنا . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى وقلنا : خذوا .

(٢) سورة الزمر ٣

(٤) سورة البقرة ٦٠

(١) سورة البقرة ٦٠

(٣) سورة طه ٨٠ ، ٨١

(٥) سورة البقرة ٦٣

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup> ،  
أى وقلنا : اتخذوا .

وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾<sup>(٢)</sup> ، أى  
يقولان : ربنا . وعليه قراءة عبد الله .

﴿فَلَمَّا أَلَّيْنِ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُنَّ أَكْفَرْتُمُ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ أى فيقال لهم ، لَأَن « أَمَا »  
لا بد لها فى الخبر من فاء ، فلما أضر القول أضر الفاء .

وقوله : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
يقال لهم هذا .

وقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى  
يقولون سلامٌ .

وقوله : ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى يقولون لهم ذلك .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى يقولون مانعبدهم .

وقوله : ﴿فَقَلَّمُ تَفْكِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup> . إِنَّا لَمُفْرَمُونَ . أى يقولون إِنَّا لَمُفْرَمُونَ ،  
أى مذبذبون ، وتفكهمون : تفتدُمون .

وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
وَسَمِعْنَا﴾<sup>(٩)</sup> أى يقولون ربنا .

(٢) سورة البقرة ١٢٧

(٤) سورة ص ٥٢ ، ٥٣

(٦) سورة الأنبياء ١٠٣

(٨) سورة الواقعة ٦٥ ، ٦٦

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٥) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٧) سورة الزمر ٣

(٩) سورة السجدة ١٢

وقوله : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ قَالُوا الْحَقُّ <sup>(١)</sup> ، أى قالوا : قال الحق .

### منزف الفعل

وينقسم إلى عام وخاص :

### [ الخاص ]

فالخاص نحو « أعنى » مضمرأ ، وينصب للفعل به فى اللحن ؛ نحو ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْآسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ وَالْمَوْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى أمدح .

واعلم أنه إذا كان للموت متعيناً لم يحز تقدير ناصب نفعه بأعنى ؛ نحو الحمد لله الحميد ؛ بل للتقدير فيه ، وفى نحوه أذكر أو أمدح ، فأعرف ذلك . والقلم نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْخُلُبِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فى قراءة النصب ، والأخفش ينصب فى اللحن بأمدح ، وفى القلم بأذم .

واعلم أن مراد للحن إبانة للمدح من غيره ، فلا بد من إبانة إعرابه من غيره ، ليدل اللفظ على المعنى المقصود ، ويموز فيه النصب بتقدير أمدح ، والرفع على معنى « هو » ؛ ولا يظهران ثلثا يسيرا بمنزلة الخبر .

والذى لا مدح فيه فاختزال العامل فيه واجب ، كاختزاله فى « والله لأفضلن » ؛ إذ لو قيل : « أحلف بالله » لكان عِدَّةً لا قسماً .

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٤) سورة الهب ٤

(١) سورة سبأ ٢٣

(٣) سورة النساء ١٦٢

### [ العام ]

والعام كل منصوب دل عليه الفعل لفظاً ، أو معنى ، أو تقديراً . ويحذف لأسباب :

\*\*\*

أحدهما : أن يكون مفسراً ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَإِنَّا بَارِهُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومنه : ﴿ أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّنِيعُهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ <sup>(٥)</sup> . ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ <sup>(٦)</sup> . ﴿ إِن عَلَانِيقَانِ ﴾ <sup>(٧)</sup> فإنه ارتفع بـ « اقتتل » مقدراً .

قالوا : ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة ، سوى « إن » لأنها الأصل .

وجعل ابن الزمكاني هذا مما هو دائر بين الحذف والذكر ؛ فإن الفعل للفعل كالتسلط على المذكور ؛ ولكن لا يتعين إلا بعد تقدم إبهام ولقد يزيد الإبهام إبهاماً ، إذا لم يكن المضمَر من جنس اللفوظ به ؛ نحو : ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴾ <sup>(٨)</sup> .

\*\*\*

الثاني : أن يكون هناك حرف جر ؛ نحو ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ <sup>(٩)</sup> فإنه يفيد

(٢) سورة البقرة ٤٠

(٤) سورة الرحمن ٧

(٦) سورة التوبة ٦

(٨) سورة البقرة ٣١

(١) سورة الانشقاق ١

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة التكاوير ١

(٧) سورة المجرات ٩

(٩) سورة الفاتحة ١

أن المراد : بسم الله أقرأ أو أقوم ، أو أقصد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام أو القعود ، أى فعل كان .

واعلم أن النحاة اتفقوا على أن « بسم الله » بمض جملة ، واختلفوا .

قال البصريون : الجملة اسمية ؛ أى ابتدأت بسم الله .

وقال الكوفيون : الجملة فعلية ، وتابعهم الرخشي في تقدير الجملة فعلية ؛ ولكن خالفهم في موضعين : أحدهما أنهم يُقدِّرون الفعل مقلداً ، وهو يقدره مؤخراً . والثاني : أنهم يقدرونه فعل البداية ، وهو يقدره في كل موضع يحسبه ، فإذا قال الذابح : بسم الله ، كان التقدير : بسم الله أذبح ، وإذا قال القارىء : بسم الله ، فالتقدير : بسم الله أقرأ .

وما قال أجود مما قالوا<sup>(١)</sup> ؛ لأن مراعاة للناسبة أولى من إهمالها ، ولأن اسم الله أمم من الفعل ، فكان أولى بالتقديم ؛ وما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « باسمك ربى وضعت جنى » ، قدم اسم الله على الفعل للتعليق ثم الجار ، وهو « وضعت » .



الثالث : أن يكون جواب السؤال وقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٤)</sup> أى بل شيع .

(١) كذا فى م ، ولى ت : « مما قالوه » .

(٢) سورة البقرة ٢٥

(٣) سورة النجم ٦٣

(٤) سورة البقرة ١٣٥



أو جواباً لسؤال مقدر؛ كقراءة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأُنْدُؤِ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ﴾<sup>(١)</sup>  
 ببناء الفعل للمفعول؛ فإن التقدير: يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ.

وفيه فوائد: منها الإخبار بالفعل مرتين، ومنها جعل التفضلة عمدة.

ومنها: أن الفاعل فُتِرَ بعد اليأس منه كفضالة وجدها بعد اليأس، ويصح أن  
 يكون «يُسَبِّحُ» بدل من «يُذَكِّرُ»<sup>(٢)</sup> على طريقة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾<sup>(٣)</sup>  
 و«له فيها» خبر مبتدأ هو «رجال».

مثله قراءة من قرأ: ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الشُّرَكَائِ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ  
 شُرَكَائِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، قال أبو العباس: للمعنى زَيْنَهُ شُرَكَائِهِمْ؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمر  
 دل عليه «زَيْن».

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾<sup>(٥)</sup> إن جعلنا قوله «لله شركاء» مفعولى  
 «جعلوا»، لأن «لله» في موضع الخبر للنسوخ، وشركاء نصب في موضع المبتدأ.  
 وعلى هذا فيعمل وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً بفعل محذوف دل عليه سؤال مقدر،  
 كأنه قيل: أ جعلوا لله شركاء؟ قيل: جعلوا الجن، فيفيد الكلام إنكار الشريك مطلقاً،  
 فدخل اعتقاد الشريك من غير الجن في إنكار دخول اتخاذ من الجن.

والثاني: ذكره الزحشرى أن الجن بدل من «شركاء»، فيفيد إنكار الشريك  
 مطلقاً، كما سبق، وإن جعل «لله» صلة كان «شركاء الجن» مفعولين، قدم ثانيهما  
 على أولهما؛ وعلى هذا فلا حذف.

فأما على الوجه الأول فتقول: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾<sup>(٥)</sup>، ولم يقل: «وجعلوا

(١) سورة التور ٣٦، ٣٧

(٢) من قوله تعالى قبلها في الآية: ﴿وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ...﴾.

(٣) سورة الأعلى ١

(٤) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٠٠

الجن شركاء لله « نظيماً لاسم الله تعالى ؛ لأن شأن الله أعظم في النفوس ؛ فإذا قدم « الله » والكلام فيه يستدعى طلب المحمول له ما هو ؟ قيل : شركاء وقع في غاية التشنيع ؛ لأن النفس منتظرة لهذا اللهم للملق بهذا المعظم نهاية التعظيم ؛ فإذا علم أنه علق به هذا للسبب في النهاية ، كان أعظم موقفاً من التكس ؛ لأنه إذا قيل : وجعلوا شركاء لم يطله تشوف النفوس ؛ لجواز أن يكون : جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك .  
الثالث : أن الجمل غالباً لا يتعلق بالله ويُنْخَرُّ به إلا وهو جعل مستقيم كاذب ؛ إذ لا يستعمل جمل الله رحمة ومشيئة وعلم ؛ ونحوه ، لاسيما بالاستقراء القرآني ؛ كـ ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْكِبَانِ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك .

الرابع : أن أصل الجمل وإن جاز وإسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لاهماً ، فإن بابه مهول ؛ لأن الله تعالى قد علمنا عظيم خطره ، وألا قول فيه إلا بالعلم ، كتوبه : ﴿ وَأَنْ هَوُوا عَلَىٰ آلِهَةٍ مَا لَا تَمْلِكُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، إلى غير ذلك ، مع مادل عليه الأدب عقلاً ، وكان نفس الجمل مستنكراً إن لم يقع بمحمول لائق ، فإذا اتبع بمحمول غير لائق منهم ثم فسر بخاص مستنكر ، صار قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات : الأول جساتهم في أصل الجمل ، الثاني في كون المحمول شركاء ، الثالث في أنهم شركاء جن .

الخامس : أن في تقديم « الله » إعادة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث ، دون جميع ما يبدون ، لأنه الإله الحق .

السادس : أنه حى بكلمة « جعلوا » لا « اعتقدوا » ولا « قالوا » لأنه أدل على إثبات للمستقد ، لأنه يستعمل في الخلق والإبداع .

(٢) سورة النحل ٦٧

(٤) سورة النجم ٢٨

(١) سورة النحل ٥٧

(٣) سورة البقرة ١٦٩

السابع : كلمة « شركاء » ولم يقل « شريكا » وفاقا لمزيد ما فصحوا من اعتقادهم .  
الثامن : لم يقل « جنّا » ، وإنما قال « الجن » ، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها  
وجعلوه من حيث هو صالح لذلك ؛ وهو أقيح من التنكير الذى وضعه للمفردات المدولة .

\*\*\*

الرابع : أن يدلّ عليه معنى الفعل انظاره ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَتَهْتُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ،  
أى واتّوا أمرا خيرا لكم ؛ فند سيبويه أن « خيرا »<sup>(٢)</sup> اعتصب بإضمار « ات » لأنه  
لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير ؛ فكأنه قال : « واتّوا خيرا » ؛ لأنّ النهى عن الشيء  
أمرٌ بضده ؛ ولأنّ النهى تكليف ، وتكليف المدم محال ؛ لأنه ليس مقدورا ، ثبت أنّ  
معلقى التكليف أمر وجودى ، ينافى للنهى عنه وهو الضدّ .

وحمله الكسائى على إضمار « كان » أى يكن الانتهاء خيرا لكم . وبمنه إضمار  
كان ، ولا تضمر فى كل موضع ، ومن جهة للمنى إذ من ترك ما نهى عنه قد سقط عنه  
القوم وعلم أن ترك النهى عنه خير من فعله ، فلا فائدة فى قوله « خيرا » .

وحمله الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى انتهوا انتهاء خيرا لكم . وقال : إن  
هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان أفضل ، نحو خير لك ، وأفضل .

ورد مذهبه ومذهب الكسائى بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا  
لَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، لو حُجِّلَ على ما قال لا يكون خيرا ، لأن من انتهى عن الثلاث وكان معقلا  
لا يكون خيرا له . وقول سيبويه : واثت خيرا يكون أمرا بالتوحيد الذى هو خير .  
فلهذا در الخليل وسيبويه ، ما أظلمهما على اللماى !

(٢) الكتاب ١ : ١٤٣

(١) سورة النساء ١٧١

(٣) سورة النساء ١٧١

وقوله : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، إن لم يحمل مفعولاً منه ، أى وادعوا شركاءكم ، ويظهر « ادعوا » قرأ أ. ، وكذلك هو مثبت فى مصحف ابن مسعود .  
 وقوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال ابن الشجرى : معناه مال عليهم بضربهم ضرباً . ويجوز نصبه على الحال ؛ نحو أُنقِضَتْ مشيكا ، أى ماشيكا .  
 ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ بِأَيْتِنَاكَ سَعِيًا ﴾<sup>(٣)</sup> أى ساعيات . وقوله : « باليمين » إما اليد أو القوة .  
 وجوز ابن الشجرى إرادة القسم والياء للتعليل ؛ أى اليمين التى حلقها ، وهى قوله تعالى :  
 ﴿ لَا كَيْدَ لَكُمْ أَصْنَاكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 وزعم النووى فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أن التقدير  
 ليكن منكم طاعة معروفة .

\*\*\*

الخامس : أن يدل على العقل كقوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ فَانْفَجَرَتْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى فضرب فانفجرت .  
 وقوله : ﴿ فَدَعَا رَبُّهُ أُنَى مَلُوبٍ فَانْتَصِرَ . . فَفَتَحْنَا ﴾<sup>(٧)</sup> ، قال النحاس : التقدير  
 فنصرناه ففتحنا أبواب السماء ؛ لأن ما ظهر من الكلام يدل على ما حذف .  
 وقوله : ﴿ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَجْمُرٍ ﴾<sup>(٨)</sup> أى يكتب بذلك كلمات الله ما غُذت ،  
 قاله أبو الفتح .  
 وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مَوْتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾<sup>(٩)</sup> .  
 قوله : « ثم أحياهم » معطوف على فعل مخوف تقديره فماتوا ثم أحياهم ، ولا يصح

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٤) سورة الأنبياء ٥٧

(٦) سورة البقرة ٦٠

(٨) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة يونس ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٦٠

(٥) سورة النور ٥٣

(٧) سورة القدر ١٠ ، ١١

(٩) سورة البقرة ٢٤٣

عطف قوله : « ثم أحيام » على قوله : موتوا » لأنه أمر ، وفعل الأمر لا يطف على الماضي .

وقوله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى فاخلقوا فبعث ، وحذف لدلالة قوله : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وهى فى قراءة عبد الله كذلك <sup>(٣)</sup> .

وقيل : تقديره كان الناس أمة واحدة كفاراً ، فبعث الله النبيين ، فاخلقوا . والأول أوجه .

وقوله : ﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فالهمزة للإنكار ، والواو للمعطف ، والمعطوف عليه محذوف تقديره : أكدتكم وعجبتكم أن جاءكم .

وقوله : ﴿ قَالَ نَمَّ وَإِنْكُمْ لَمِنَ الْمَقَرِّينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، هو معطوف على محذوف سدت مسدده حرف الإيجاب ؛ كأنه قال إيجاباً لقولهم : ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ، نعم إن لكم أجراً وإنكم لمن اللقريين .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أى فأفطر فدية ، خلافاً للظاهرية حيث أوجبوا الإفطر على المسافر أخذاً من الظاهر .

وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدِيَّةٌ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى فخلق فدية .

وقوله : ﴿ قَدْ لَنَا أَضْرَبُوهُ بَعْضُهَا ﴾ <sup>(٩)</sup> ، قال الزخشرى : التقدير فضر بوه فحى ،

(١) سورة البقرة ٢١٣

(٢) أى « كان الناس أمة واحدة فخلقوا فبعث الله » وانظر الكشف ٢ : ١٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٦٤

(٣) سورة الأعراف ٦٣

(٦) سورة البقرة ١٨٤

(٥) سورة الأعراف ١١٣

(٨) سورة البقرة ٧٣

(٧) سورة البقرة ١٩٦

خفف ذلك لدلالة قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُخَوِّسُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وزعم ابن جنى أن التذير في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>  
أن التذير فكيف يكون إذا جئنا .

\*\*\*

السادس : أن يدل عليه ذكره في موضع آخر ، كقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
قال الواحدي : هو بإضمار « اذكر » ، ولهذا لم يأت لإذ بجواب . ومثله قوله تعالى :  
﴿ وَإِلَىٰ أَعْمَادِهِمْ صَاعِقًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، وليس شيء قبله تراه ناصب لـ « صاعقا » ، بل علم  
بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار « أرسلنا » .

وقوله : ﴿ وَاسْلَيْمَانَ الرُّسُوحَ ﴾<sup>(٥)</sup> أى وسخرنا .

ومثله : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وكذا : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى واذا كرا .

قال : ويدل على « اذكر » في هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ  
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٩)</sup> ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وما قاله ظاهر ، إلا أن مفعول « اذكر » يكون محذوفا أيضا تقديره : ﴿ واذكروا  
أخالك » ونحوه إذا كان كذا ، وذلك ليكون « إذ » في موضع نصب على الظرف ،  
ولو لم يند ذلك المحذوف لزم وقوع « إذ » مفعولا به ، والأصح أنها لا تفارق الظرفية .

\*\*\*

- (٢) سورة الفصاحه ٤١  
(٤) سورة هود ٦١  
(٦) سورة الأنبياء ٧٦  
(٨) سورة الأنبياء ٧٨  
(١٠) سورة الأعراف ٨٦

- (١) سورة البقرة ٧٣  
(٣) سورة البقرة ٧٧  
(٥) سورة الأنبياء ٨١  
(٧) سورة الأنبياء ٨٧  
(٩) سورة الأتقال ٢٦

السابع : للشاكلة ، كحذف الفاعل في « بسم الله » لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله ؛ فلو ذكر الفعل وهو لا يستغنى عن فاعله كان ذلك مناقضاً للتصوّد ، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ؛ ليكون للبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة : الله أكبر ، ومعناه « من كل شيء » ، ولكن لا تقول هذا للتدّر ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود الجنان ؛ وهو أن يكون في القلب ذكر الله وحده . وأيضاً فلاّن الحذف أعم من الذكر ؛ فإنّ أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه ؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل .

الثامن : أن يكون بدلا من مصدره ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ الرَّقَابَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ فَأَيُّ مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ أي فيما أن تمنوا ، وإما أن تقادوا .

وقد اختلف في نصب « السلام » في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا ﴾<sup>(٣)</sup> وفي القاريات : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ وفي نصبها وجهان :

أحدهما : أن يكون منصوباً بالقول ، أي بذكرون قولاً « سلاما » فيكون من قلت حقا وصداقا .

الثاني : أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره : فقالوا سَلَامًا سلاما ، أي سلمنا تسليما ؛ فيكون قد حكى الجملة بعد القول ، ثم حذفها واكتفى ببعضها .

والحاصل أنه هل هو منصوب بالقول ، أو بكونه مصدرا لفعل محذوف ؟

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾<sup>(٥)</sup> ،

(٢) سورة القتال ٤

(٤) سورة القاريات ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة القتال ٤

(٣) سورة هود ٦٩

(٥) سورة التعل ٣٠

منصوب ، « بقالوا » كقولك قلت حقا ، أو منصوب بفعل مضمر أى قالوا : أنزل خيرا ، من باب حذف الجلالة المحكية وتبقية بمضيا .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فرفع ؛ لأنه لا يمكن نصبه على تقدير « قالوا أساطير الأولين » ، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك ، ولا هو أيضاً من باب : قلت حقا وصدقا ، فلم يبق إلا رفعه .

## تَسْبِيْهِ

قد يشقبه الحال في أمر المحذوف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾<sup>(٢)</sup> ، فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء ؛ فلا يقدر في الكلام حذف ، وليس كذلك ، ولأنهم لا يزم الاشتراك إن كانا متفاوتين ، أو عطف الشيء على نفسه ؛ وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتمدى لمفعولين ، أى سموه الله أو الرحمن .

وقد يشقبه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فقدره سبويه بـ « بلى نجما قادرين » ، قادرين حال وحذف الفعل لدلالة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ ﴾<sup>(٤)</sup> عليه<sup>(٥)</sup> .

وقدره الفراء « نجس » لدلالة ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ ﴾<sup>(٦)</sup> أى بلى نجسنا قادرين .

(٢) سورة الإسراء ١١٠

(٤) سورة القيامة ٣

(١) سورة النحل ٢٤

(٣) سورة القيامة ٤

(٥) الكتاب ١ : ١٧٣



وقد يرسيبويه أولى؛ لأن «يلي» ليس جواباً لـ «يحسب» إنما هو جواب لـ «أن لن يجمع»  
وقدره بعضهم: يلى قدر قادرين .  
وقيل: منصوب، لوقوعه موقع الفعل، وهو باطل؛ لأنه ليس من نواصب الاسم وقوعه  
موقع الفعل .

### تنبيه آخر

إن الحذف على ضربين: أحدهما ألا يقام سوى مقام المحذوف كما سبق. والثاني: أن  
يقام مقامه ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ  
لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَلَا مَلَامَ عَلَيَّ﴾، لأننى قد أبلغتكم .

وقوله: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَكَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> فلا تحزن واصبر.  
وقوله: ﴿وَإِنْ يَمُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أى يصيبهم ما أصاب الأولين.

### حذف الحرف

قال أبو الفتح فى «الخصب»: أخبرنا أبو حلى قال: قال أبو بكر بن السراج:  
حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بقاؤه، ألا تراك إذا قلت:  
ما قام زيد، قد نابت «ما» عن «أننى» كما نابت «إلا» عن «أستقنى»، وكما نابت الهمزة  
وهل عن «أستفهم»، وكما نابت حروف المطف عن «أعطى»، ونحو ذلك. فلو ذهب

(١) سورة هود ٥٧

(٢) سورة الأنازل ٣٨

(٣) سورة طه ٤

تحذف الحرف ؛ لكان ذلك اختصاراً ، واختصار المختصر إجحاف به ؛ إلا إذا صح التوجه إليه ، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه . انتهى .

فنه الواو ، تحذف لقصد البلاغة ؛ فإن في إثباتها ما يقتضي تباين المتعاطفين فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَيِّنَاتٍ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ تقديره : ولا يألونكم خبالاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى وجوه :

وخرج عليه الفارسي قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا . . . ﴾ <sup>(٣)</sup> الآية . وقال : تقديره : « قلت لا أجد » فهو معطوف على قوله : « أتوك » لأن جواب « إذا » قوله : ﴿ تَوَلَّوْا » .

ومنه ابن الشجري في أماليه ؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب ، لأنه معطوف على الصلة ؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب ، فكذلك ما عطف عليها .

وقال الزمخشري : هي حال من الكاف في « أتوك » ، « وقد » قبله مضربة كافي قوله : ﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصِيرَتٌ صُدُورُهُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى إذا ما أتوك قائلاً : لا أجد ، تَوَلَّوْا <sup>(٥)</sup> . وعلى هذا فله موضع من الإعراب لأنه حال .

قال السبكي في أماليه : ليس معنى الآية كما قالوا ؛ لأن رفع الحرج عن القوم ليس مشروطاً بالبكاء عند التولي ؛ وإنما شرطه عدم الجدة ، ونزلت في السبعة الذين سعى أبو إسحاق ؛ ولو كان جواب « إذا أتوك » في قوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> لكان من لم تفيض عيناه من الدمع هو الذى خرج وأنهم ؛ وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول

(٢) سورة الناعية ٨

(٤) سورة النساء ٩٠

(٦) سورة التوبة ٩٢

(١) سورة آل عمران ١١٨

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) الكشاف ٢ : ٣٣٦

لم يجد ما يحلهم عليه . وإذا عطفت « قلت لا أجد » على « أتوك » كان الحرج غير مرفوع عنهم حتى يقال : « وَأَعْيَيْهُمْ تَقِيضُ » <sup>(١)</sup> ، فجواب « إذا » في قوله « لا أجد » ، وما بعد ذلك خبر ونسباً على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية ، فضيلة البسكاه مخصوصة بهم ، ورفع الحرج بشرط عدم الجدة عام فيهم وفي غيرهم .

وقال الواحدى في قوله تعالى : « قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » <sup>(٢)</sup> : آية البقرة في مصاحف الشام بنير واو - يعنى قراءة ابن عاصر - لأن هذه الآية ملايسة لما قبلها من قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ » <sup>(٣)</sup> لأن القائلين : « اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » من جملة المتقدم ذكرهم ، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها ، كما استغنى عنها في نحو قوله : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » <sup>(٤)</sup> ، ولو كان « وم » كان حسناً ، إلا أن التباس إحدى الجلتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو .

ومثله : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ » <sup>(٥)</sup> ولم يقل : « ورأيتهم » كما قال : « وَتَأْمِيَهُمْ » <sup>(٥)</sup> . ولو حذف الواو منها كما حذف من التى قبلها واستغنى عن الواو بالملايسة التى بينهما كان حسناً . ويمكن أن يكون حذف الواو لاستثناف الجملة ، ولا يعقب على ما تقدم . انتهى .

وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ، ويكتفى بربط بينهما وبين ما قبلها بالملايسة كما ذكر . ويجوز ألا يلاحظ ذلك ؛ فتكون الجملة مستأنفة .

قال ابن عمرون : وحذف الواو فى الجمل أمهل منه فى الفرد ، وقد كثر حذفها فى الجمل

(٢) سورة البقرة ١١٦

(٤) سورة البقرة ٣٩

(١) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة البقرة ١١٤

(٥) سورة الكهف ٢٢

في السلام المحمول بعضه على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَالِكِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾<sup>(١)</sup> كله محمول بعضه على بعض، والواو مزيدة، حذفت لاستقلال الجمل بأعضائها بخلاف للقرء؛ ولأنه في للقرء ربما أوقع لبساً في نحو «رأيت زيدا ورجلا عاقلا»؛ ولو<sup>(٢)</sup> جاز حذف الواو احتمل أن يكون «رجلا» بدلا بخلاف الجملة.

وقريب منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أى: وقال.

ومنه الفاء في جواب الشرط على رأى، وخروج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا آلُوصِيَّةُ﴾<sup>(٤)</sup> أى فالوصية.

والفاء في المطف كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، تقديره «فقال أعوذ بالله»، ذكره ابن الشجري في أماليه.

وقوله تعالى: ﴿وإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾<sup>(٦)</sup> حذف حرف المطف من قوله: ﴿قال﴾ ولم يقل: «فقال» كما في قصة<sup>(٧)</sup> نوح؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ هليل: قال يا قوم اعبدوا الله واقوه.

(٢) ت: «فلو».

(١) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨

(٤) سورة البقرة ١٨٠

(٣) سورة القصص ٢٩

(٦) سورة الأعراف ٦٥

(٥) سورة البقرة ٦٧

(٧) من قوله تعالى في الأعراف ٥٩: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ...﴾.

ومنه حذف همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا  
قَالَ هَذَا رَيْنٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى أهدأ رينى ؟

وقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أى أفن نفسك <sup>(٣)</sup> ا

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ ﴾ <sup>(٤)</sup> أى أوتيتك نعمة ا

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ <sup>(٥)</sup> على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة ، على خلاف  
فى ذلك جميعه .

ومنه حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية كقوله  
تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَقَوَّلَُونَ نَبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ <sup>(٧)</sup> ، ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> ،  
و ﴿ مِمَّ خُلِقَ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

ومنه حذف الياء فى ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرُ ﴾ <sup>(١٠)</sup> للتخفيف ورعاية الفاصلة .

ومنه حذف حرف النداء ، كقوله : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ <sup>(١١)</sup> ، أى يا هؤلاء .

وقوله : ﴿ يُوسُفُ ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، أى يا يوسف .

وقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ ﴾ <sup>(١٣)</sup> ، أى يا رب .

ويكثر فى المضاف نحو : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ ﴾ <sup>(١٤)</sup> . ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾ <sup>(١٥)</sup> .

وكثر ذلك فى نداء الرب سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتعزير ؛ لأن

النداء يقترن بمعنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت : يا زيد ، فعناه أَدْعُوكَ يا زيد ، فحذف « يا »

من نداء الرب ؛ ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال .

|   |                       |
|---|-----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٧٦                                   | (٢) سورة النساء ٧٩    |
| (٣) ذكره أبو حيان فى البحر ٣ : ٣٠١ ، والقرطبي ٥ : ٢٨٥ |                       |
| (٤) سورة الشعراء ٢٢                                   | (٥) سورة يوسف ٩٠      |
| (٦) سورة البقرة ٩١                                    | (٧) سورة التازعات ٤٣  |
| (٨) سورة التبا ١                                      | (٩) سورة الطارق ٥     |
| (١٠) سورة الفجر ٤                                     | (١١) سورة آل عمران ٦٦ |
| (١٢) سورة يوسف ٢٩                                     | (١٣) سورة مريم ٤      |
| (١٤) سورة يوسف ١٠١                                    | (١٥) سورة المائدة ١١٤ |

وقال الصغار: يجوز حذف حرف النداء من النداء، إلا إذا كان النداء نكرة مقبلا عليها؛ إذ لا دليل عليه؛ وإلا إذا كان اسم إشارة.

ومنه حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَسَلَا بِمَعْشُرِهِمْ عَلَىٰ بُغْيٍ﴾<sup>(١)</sup>، تقديره: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ تَخْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِبَيْمِينِكَ إِذْنًا لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، معناه لو كان كذلك لا رتاب لبطلون.

ومنه حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أى وقد اتبعك؛ لأن الماضى لا يقع موقع الحال إلا و «قد» منه ظاهرة أو مقدره.

ومثلا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾<sup>(٤)</sup> أى وقد كنتم.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> قيل معناه «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب: «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ». وقال الأخفش: الحال محذوفة، و «حصرت صدورهم» صفتها؛ أى جاءوكم يوما حصرت؛ دعاء عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم قومهم طريقته قاتلهم الله. وردّه أبو عليّ بقوله أى قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم؛ لكن بقول: اللهم ألق بأسهم بينهم.

ومنه حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْآفَاقَ حَوْفًا وَطَمَعًا﴾<sup>(٦)</sup>، للمنى أن يريك.

(٢) سورة الشكوت ٤٨

(٤) سورة البقرة ٢٨

(٦) سورة الروم ٢٤

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الشعراء ١١١

(٥) سورة النساء ٩٠

وحذف « لا » في قوله : ﴿ تَأْتِيهِ تَفَافُتًا تَذَكُّرٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى لا تفناً ، لأنها ملازمة للتفنى ومعناها لا تبرح .

قوله : ﴿ وَأَتْلَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى لا تميد .

وقوله : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ إِلَيْكُمْ مَدِينًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أى لا نبوء .

وبهذا يزول الإشكال من الآية : ﴿ وَطَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً ﴾<sup>(٤)</sup> أى لا يطيقونه ، على قول .

## فائدة

[ في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور ]

كثر في القرآن حذف الجار ، ثم إيصال الفعل إلى المجرور به ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَخْتَارَ حُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى من قومه .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾<sup>(٦)</sup> .

﴿ لَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ الْكَافِرِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى على عقدة .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى يخوفكم بأوليائه ، ولذلك قال : ﴿ فَلَا تَحْزَنُوا لَهُمْ ﴾<sup>(٩)</sup> .

﴿ وَيَبْقَوْنَهَا عِوَجًا ﴾<sup>(١٠)</sup> ، أى يبقون لها .

- (٢) سورة النحل ١٥  
(٤) سورة البقرة ١٨٤  
(٦) سورة البقرة ٢٥٣  
(٨) سورة آل عمران ١٧٥

- (١) سورة يوسف ٨٥  
(٣) سورة المائدة ٢٩  
(٥) سورة الأعراف ١٥٥  
(٧) سورة البقرة ٢٣٥  
(٩) سورة الأعراف ٤٥

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا﴾<sup>(١)</sup> أى قدرنا له .

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾<sup>(٢)</sup> أى على سيرتها .

\*\*\*

## فصل

[ فيما حذف في آية وأثبت في أخرى ]

من الأنواع ما حذف في آية ، وأثبت في أخرى ؛ وهو قسمان :

أحدهما : أن يكون ما حذف منه محولا على المذكور ؛ كالطلق في الرقية<sup>(٣)</sup> في كفارة الظهار ، مقيدا بالمؤمنة في كفارة القتل<sup>(٤)</sup> .

وكقوله : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾<sup>(٥)</sup> ، قيدت بالتشبيه في موضع آخر<sup>(٦)</sup>

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالنَّارِ السَّاكِبَةِ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله في سورة النحل : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾<sup>(٨)</sup> ، فإن هذه تقتضى أن الأولى على حذف مضاف .

\*\*\*

(١) سورة يس ٣٩

(٣) سورة طه ٢١

(٢) وذلك قوله تعالى في سورة المجادلة ٣ : ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ .

(٤) وذلك قوله تعالى في سورة النساء ٩٢ : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٣

(٦) وذلك قوله تعالى في سورة الحديد ٢١ : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

(٧) سورة البقرة ٢١٠

(٨) النحل ٢٣



والقسم الثاني : لا يكون مرادا . فنه قوله تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وفي الزخرف : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله في البقرة : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وفي سورة الأعراف : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وحكته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة ؛ فلذلك دخل الماطف ، بخلاف الخبرين في الأعراف ؛ فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالنفلة وتشبيههم بالبهائم واحد ؛ فكانت الجملة الثالثة مقررّة ما في الأولى فهي من العطف بمزمل .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال في يس : ﴿ وَسَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنْزِلْهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> مع الماطف ، وحكته أن ما في يس وما قبله جملة معطوفة على جملة أخرى ، فاحتاجت إلى الماطف . والجملة هنا ليست معطوفة ، فهي من العطف بمزمل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> فأثبت الواو في الأعراف ، وحذفها في الكهف ، قال : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴾<sup>(٨)</sup> والفرق بينهما أن الذي في الأعراف خطاب لجمع ، وأصله « تدعونهم » ، حذف للجزم ، والتي في الكهف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو واحد ، وعلامة الجزم فيه سقوط الواو . ومنه في آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾<sup>(٩)</sup> وفي فاطر :

(٢) سورة الزخرف ٧٣

(٤) سورة الأعراف ١٧٩

(٦) سورة يس ١٠

(٨) سورة الكهف ٥٧

(١) سورة المؤمنون ١٩

(٣) سورة البقرة ٥

(٥) سورة البقرة ٦

(٧) سورة الأعراف ١٩٣

(٩) سورة آل عمران ١٨٤

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾<sup>(١)</sup> والفرق أن الأولى حذفت الباء فيها للاختصار استثناءً بالتى قبلها ، وخرجت عن الأصل للتوكيد ، وتقدير للمنى كما قول : مررت بك وبأخيكَ وبأبيك ؛ إذا اختصرت .

ومنه قوله فى قصة ثمود : ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وفى قصة شعيب : ﴿ وَمَا أَنْتَ ﴾<sup>(٣)</sup> بالواو ، والفرق أن الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النعوين ، واستئناف ﴿ مَا أَنْتَ ﴾ ، فاستغنى عن الواو لما قرّر من الابداء ، وفى الثانية جرى فى المطف ، وأن يكون قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ ﴾ معطوفاً على ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومنه قوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وفى سورة النمل : ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، لإثبات النون ، وحكته أن القصة لما طالت فى سورة النحل ناسب التضعيف بحذف النون ، بخلافه فى سورة النمل ؛ فإن الواو استئنافية ، ولا تملق لها بما قبلها .

وقوله فى البقرة : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وفى آل عمران : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> ؛ وحكته أن الخطاب فى البقرة لليهود وهم أشدّ جدالاً .

ومنه قوله فى الأعراف : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾<sup>(٩)</sup> وفى الأنعام : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(٢) سورة الشعراء ١٥٤

(١) سورة طه ٢٥

(٣) سورة الشعراء ١٨٦

(٤) فى الآية التى قبل من سورة الشعراء ١٨٥ ، ومى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ .

(٦) سورة النمل ٧٠

(٥) سورة النحل ١٢٧

(٨) سورة آل عمران ٦٠

(٧) سورة البقرة ١٤٧

(١٠) سورة الأنعام ١٣٠

(٩) سورة الأعراف ١٧٢

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، وفي سورة آل عمران : ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾<sup>(٢)</sup> . والحكمة فيه أن الجلبة في آل عمران خرجت مخرج الشرط ، وهو عام ، فناسب أن يكون النفي بصيغة التثنية ؛ حتى يكون عاما ، وفي سورة البقرة جاء عن أناس معهودين ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، فناسب أن يؤتى بالتعريف ، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنس عندكم كان معروفا ، كتوله تعالى : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالحق هنا الذي قُتِلَ به الأنس معهود معروف ، بخلاف ما في سورة آل عمران .

ومنه قوله تعالى في هود حاكيا عن شعيب : ﴿ وَيَا قَوْمِ اتَّعَمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَعْمُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ويمكن أن يقال : لما كررت مراجعته لقومه ، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد ؛ وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة ، فغلب عليهم على مكافأتهم بوعيدهم بالقاء ؛ إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم بخلاف شعيب ، فإنه طالت مدته في قومه ، فاستأنف لهم ذكر الوعيد .

ولعل قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم ، فأجابهم بهذا الجواب ، والقاء لاحتسن فيه ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك جوابا للسؤال ، ولا يحسن معه الحذف .

ومنه أنه تعالى قال في خطاب للؤمنين : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ

(٢) سورة آل عمران ٧١

(٤) سورة هود ٩٣

(١) سورة البقرة ٦١

(٣) سورة المائدة ٤٥

(٥) سورة النحل ٥٠

عَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup> ، إلى أن قال : ﴿ يَنْفِرَ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال في خطاب الكافرين : ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال الزمخشري في تفسير سورة إبراهيم<sup>(٥)</sup> : ما علمته جاء الخطاب هكذا في القرآن إلا في خطاب الكافرين ، وكان ذلك للفرقة بين الخطابين ، ولثلاثي بين الفريقين في الليماد .

واعترض الإمام نضر الدين بأن هذا التبعيض إما حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب ، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً .

وقال الشيخ أنير الدين أبو حيان في تفسيره<sup>(٦)</sup> : ويقال : ما فائدة الفرق في الخطاب وللفي مشترك ؟ إذا الكافر إذا آمن وللاؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران ، وما تحييت فيه مغفرة بعض الذنوب من<sup>(٧)</sup> الكافر إذا هو آمن<sup>(٨)</sup> ، موجود في الاؤمن إذا تاب . وسيأتي بسط الكلام على ذلك في آخر الكتاب .

### الإيجاز

وهو قسم من الحذف ، ويسمى إيجاز القصر ؛ فإن الإيجاز عندهم قسمان : وجيز بلفظ ، ووجيز بحذف .

(٢) سورة الصف ١٢  
(٥) سورة الأحقاف ٣١  
(٦) البحر المحيط ٦ : ٤٠٩  
(٨) البحر : « أتى هو آمن » .

(١) سورة الصف ١٠  
(٣) سورة إبراهيم ١٠  
(٥) الكشاف ٢ : ٤٢٣  
(٧) البحر : « ق » .

فالوجيز باللفظ أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقلّ من القدر<sup>(١)</sup> للمعهود عادة ؛ وسبب حسنه أنه يدلّ على التمكن في الفصاحة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم » .

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمناه وهو القدر ؛ أو أقل منه وهو التصور .  
أما القدر فمكثوه تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .  
وقوله : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهو كثير .  
وأما التصور ؛ فلما أن يكون نقصان لفظه عن معناه لا حبال لفظه لمان كثيرة ، وأولا .

\*\*\*

الأول كاللفظ للشتراك الذي له مجازان ، أو حقيقة ومجاز إذا أريد معانيه ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فإن الصلاة من الله مغايرة للصلاة من الملائكة ، والحق أنه من القدر للشتراك وهو الاعتناء والعظيم .  
وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾<sup>(٥)</sup> الآية ؛ فإن السجود في الكل يجمعه معنى واحد ؛ وهو الاقنياد .

\*\*\*

والثاني كقوله : ﴿ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .  
وقوله : ﴿ أَوَلَيْكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

(٢) سورة عبس ١٧

(٣) سورة الحج ١٨

(٦) سورة الأنعام ٨٢

(١) سورة النحل ٩٠

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة الأعراف ١٩٩

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(١)</sup> ، إذ معناه كبير ولقظه يسير .

وقد نُظِرَ لقول العرب: «القتل أنقى للقتل» ؛ وهو بنون ثمطاء ، و يروى جاء ثم قاف و يروى «أوقى» . وللمنى أنه إذا أقيم وتحقق حكمه خاف من يريد قتل أحد أن يقتص منه ، وقد حكاه الخوفاً في تفسيره عن علي بن أبي طالب ، وقال : قولٌ على في غاية البلاغة ؛ وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحته ؛ وأبلغ منه قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقد تكلّموا في وجه الأبلغية ، انتهى .

وقد أشار صاحب «الثلث السائر» إلى إنكار ذلك ، وقال : لانسبة بين كلام الخالق عزّ وجل وكلام المخلوق ؛ وإنما الملاءم يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك . وهو كما قال ، وكيف يقابل للعجز بنيره مفاضلة ، وهو منه في مرتبة العجز عن إدراكه :

وَمَاذَا يَقُولُ الْفَائِزُ إِذَا بَدَأَ بَجَالٍ خُطَابٍ فَاتَ فِيهِمْ انْخِلَافِي  
وجملة ما ذكرنا في ذلك وجوه :

أحدها أن قوله : ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أوجز ؛ فإن حروفه عشرة ، وحروف «القتل أنقى للقتل» أربعة عشر حرفاً ، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً ، وكذا التنوين لتمام الكلام للتقضى للوقوف .

الثاني : أن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل ، ولا تكرير في الآية .

الثالث : أن لفظ «القصاص» فيه حروف متلازمة ؛ لما فيه من الخروج من التاف إلى الصاد ، إذ التاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ؛

(١) سورة البقرة ١٧٩

(٢) انظر الجزء الثاني ص ١٢٥ من كتاب للثلث السائر .

بمخلاف الخروج من القاف إلى التاء ، التي هي حرف منخفض ، فهو غير ملائم ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعد مادون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الرابع : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والقاء .

الخامس : تكرير ذلك في <sup>(١)</sup> كلمتين متماثلتين بعد فصل طويل ، وهو قَلَّ في الحروف أو الكلمات .

السادس : الإثبات أول والنفي ثان عنه ؛ والإثبات أشرف .

السابع : أن التقصاص للبنى على المساواة أَوْزَن في المادة من مطلق القتل ، ولذلك يلزم التخصيص ، بمخلاف الآية .

الثامن : الطباع أقبَلُ للفظ « الحياة » من كلمة « القتل » ، لما فيه من الاختصار ، وعدم تكرار الكلمة ، وعدم تنافر الحروف ، وعدم تكرار الحرفين ؛ وقبول الطبع للفظ « الحياة » وصحة الإطلاق .

التاسع : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصة على ثبوتها التي هي الفرض المطلوب منه .

العاشر : أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن التقصاص هو الحياة ، وقوله : ﴿ في التقصاص حَيَاة ﴾ مفهوم لأول وهلة .

الحادي عشر : أن قولهم خطأ ؛ فإن القتل كله ليس نافياً للقتل ؛ فإنَّ القتل المدواني لا ينفي القتل ، وكذا القتل في الردة والزنا لا ينفيه ؛ وإنما ينفيه قتل خاص

---

(١) ت : « من » ، وما أتت به من م .

وهو قتل النصاص ؛ فالذى فى الآفة تنصيص على القصود ، والذى فى المثل لا يمكن حمله على ظاهره .

الثانى عشر : فيه دلالة على ربط القادير بالأسباب ، وإن كانت الأسباب أيضاً بالقادير ، وكلام العرب يتضمنه ؛ إلا أن فيه زيادة وهى الدلالة على ربط الأجل فى الحياة ؛ بالسبب ، لا من مجرد نفي القتل .

الثالث عشر : فى تنكير « حياة » نوع تعظيم ؛ يدل على أن فى القصاص حياة متطاولة ، كقوله : ﴿ وَتَجِدُهُمْ أَحْرَجَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ولا كذلك للمثل ؛ فإن اللام فيه للجنس ؛ ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع عشر : فيه بناء أفضل التفضيل من متعدد ، والآفة سالمة منه .  
الخامس عشر : أن « أفضل » فى الغالب تقتضى الاشتراك ؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ؛ ولكن القصاص أكثر نفاً ، وليس الأمر كذلك ، والآفة سالمة من هذا .

السادس عشر : أن اللفظ للنطق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق ، وظهرت فصاحته ، بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون ، والحركات تنقطع بالسكنات نظيره : إذا تحركت الدابة أدنى حركة ، تخفت ، ثم تحركت تخفت ، لا يقين انطلاقها ، ولا تمكن من حركتها على ما يختاره ؛ وهى كالقيدة ، وقولهم : « القتل أنى للقتل » ، حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآفة .

السابع عشر : الآفة اشتملت على فن بديع ؛ وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة فى اللوت مبالغة عظيمة . ذكره فى الكشف .



الثامن عشر : أن في الآلة طباقاً ؛ لأن التقصاص مُشعر بضد الحياة ، بخلاف المثل .  
 التاسع عشر : التقصاص في الأعضاء والنفوس ، وقد جُمِل في الكل حياة ؛ فيكون  
 جمعاً بين حياة النفس والأطراف ، وإن فُرض قصاص بالحياة فيه كالتنبيه ؛ فإن مصلحة  
 الحياة تنقص بنهايه ، ويصير كنوع آخر ؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها المثل .  
 المشرون : أنها أكثر<sup>(١)</sup> فائدة لتضمنه التقصاص في الأعضاء ، وأنه تنبيه على حياة  
 النفس من وجهين : من وجه به التقصاص صريحاً ، ومن وجه التقصاص في الطرف ؛ لأن  
 أحد أحوالها أن يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل .  
 وقد قيل غير ذلك .

وأما زيادة ﴿لَكُمْ﴾ ففيها لطيفة ؛ وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ،  
 وأنهم المراد بحياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .  
 والحاصل أن هذا من البيان للوجز الذي لا يفتقر به شيء .

\*\*\*

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . . .﴾<sup>(٢)</sup> الآية ،  
 فإنها نهاية التنزيه .

وقوله : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهذا  
 بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال .  
 وقوله : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 وقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهذا من أحسن الوعد والوعيد .

(٢) سورة الإخلاص ١ ، ٢

(٤) سورة الفتن ٤٠

(١) ت : و أكبر .

(٣) سورة الفتن ٢٦

(٥) سورة الفتن ٥١

وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة .

وقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها ؛ لأن في ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطمين ، والصفح عن الظالمين ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام ، وصرف اللسان عن الكذب ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن مماراة السفينة .

قوله : ﴿ مَدَاهَاتَانِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، معناه مسودتان من شدة الخسرة .

وقوله : ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمًا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرَعًا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام ، من العشب ، والشجر ، والحب ، والتمر ، والصف ، والحطب ، واللباس ، والنار ، وللح ؛ لأن النار من الميدان ، والملح من الماء .

وقوله : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، فدلّ على نفسه ولطفه ووحدانيته وقدرته ، وهدي للصحة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظهور التمرة بالماء والتربة ، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم والروائح ، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد ؛ ولكنه صنع اللطيف الخبير .

وقوله : ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، كيف تقى بهذين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله : ﴿ لَا يُنْزِفُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> عدم العقل وزهاب المال وفساد الشراب .

\* (٢) سورة الأعراف ١٩٩

(٤) سورة البقرة ٢٨٦

(٦) سورة الرعد ٤

(١) سورة المجبر ٩٤

(٣) سورة الرحمن ٦٤

(٥) سورة النازعات ١١

(٧) سورة الواقعة ١٩

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ .  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> فدل على  
فضل السمع والبصر ، حيث جعل مع الصم فقدان العقل ، ولم يجعل مع الصم إلا فقدان  
البصر وحده .

وقوله : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ  
وَأَسْفُوتَ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُدْأُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> كيف أمر ونهى ، وأخبر  
ونادى ، ونعت وصفى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، قص من الأنبياء ما لو شرح  
ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان بلغت الأقلام  
وانحسرت الأيدي .

وقوله تعالى عن النملة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> لجمع في هذه  
اللقطة أحد عشر جنسا من الكلام ، نادت ، وكنت ، ونهت وتمت ، وأمرت ، وقضت  
وحذرت ، وخصت ، وعمت ، وأشارت ، وغدرت ؛ فالنداء « يا » ، والسكناية « أي » ،  
والتنبيه « ها » ، والتسمية النمل ، والأمر « ادخلوا » ، والتخصيص « مساكنكم » ،  
والتحذير « لا يحطمنكم » ، والتخصيص سليمان ؛ والتعميم جنوده ، والإشارة « وهم » ،  
والفرد لا يشعرون . فأدّت خمس حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيتهما  
وحق جنود سليمان . فحق الله أنها استرعت على النمل فقامت بحقهم ، وحق سليمان أنها  
نهتته على النمل ، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصيحهم <sup>(٤)</sup> ، وحق الجنود  
بنصيحها لهم ليدخلوا مساكنهم ، وحق الجنود إعلاها بإمام وجميع الخلق أن من

(٢) سورة هود ٤٤

(١) سورة يونس ٤٢ ، ٤٣

(٤) ت : « نصيحهم » .

(٣) سورة النمل ١٨

استمرعه رعية فوجب<sup>(١)</sup> عليه حفظها والذب عنها ؛ وهو داخل في الخبر للشهور : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

ويقال : إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة ، وأخرى حين أشرف على وادي النمل فرآها على كبر الثعالب ، لما خراطيم وأنياب ، فقال رئيسهم : ادخلوا مساكنكم ، فخرج كبير<sup>(٢)</sup> النمل في عظم الجواميس ، فلما نظر إليه سليمان هاله ، فأراه اعظامه ، فغضه له ، ثم قال : أهذه كلها نمل ؟ فقال : إن النمل لكبير ، إنها ثلاثة أصناف : صنف في الجبال ، وصنف في القرى ، وصنف في المدن . فقال سليمان عليه السلام : اعرضها لي ، فقال له : قف . فبقي سليمان عليه السلام تسعين يوما واقفا ، يمرّ عليه النمل ؛ فقال : هل اتعلمت عساكركم ، فقال ملك النمل : لو وقفت إلى يوم القيامة ما اتعلمت . فذكر الجنيدي أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل : لم قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ؟ أخفت عليهم من ظلفنا ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن يفتنونا بما رأوا من ملكك ، فيشتغلهم ذلك عن طاعة الله .

وقوله : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهذا أشد ما يكون من الحجاج .  
وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وهذا أعظم ما يكون من التصدير .

وقوله : ﴿ الْأَخْيَارَ يَوْمَئِذٍ يَتَضَعُ لِبَعْضِ عَدُوِّهِ إِلَّا الْكَافِرِينَ ۖ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهذا أشد ما يكون من التنفير عن الغفلة إلا على التقوى .

(١) م : « كثير » .

(٤) سورة الزخرف ٢٩

(١) ت : « فواجب » .

(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩

(٥) سورة الزخرف ٦٧

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط .

وقوله: ﴿أَفَسَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا أشد ما يكون من التيميد .

وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فهذا أعظم ما يكون من التخيير<sup>(٤)</sup> .

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ أَتُونَا صَوَابِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وهذا أشد ما يكون في التوبيخ على الساذي في الباطل .

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيْمِمْ آذِنٌ﴾<sup>(٧)</sup>، وهذا أشد ما يكون من التفرغ .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾<sup>(٨)</sup>، وهذا غاية الترهيب .

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾<sup>(٩)</sup>، وهذه غاية الترغيب .

(١) سورة الزمر ٥٦

(٢) سورة فصلت ٤٠

(٣) سورة فصلت ٤٠

(٤) في حاشية إحدى النسخ: «المعروف عنه

الأصولين أن الأمر فيه للتهديد لا للإباحة والتخيير - كذا من الأصل » . وفي ث : «التحريم» .

(٥) سورة ق ٢١ ، ٢٢

(٦) سورة القافات ٥٢ : ٥٣

(٧) سورة الرحمن ٤٣ ، ٤٤

(٨) سورة آل عمران ١٨٥

(٩) سورة فصلت ٣١

وقوله: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ نَزَلَ بِكَ الْوَحْيَ خَلَقَ وَكَلَّمَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج؛ وهو الأصل الذي عليه أثبتت دلالة التمايز في علم الكلام.

وقوله: ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَبِهَ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات، وتلذذ الأعين من المراتب، ليُعلم أن هذا اللفظ القليل جداً، حوى معاني كثيرة لا تنحصر عدداً.

وقوله: ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَٰحِقَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الَّتْدُوْا ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا أشد ما يكون من الخوف.

وقوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْكَرُّ السَّيِّ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿ إِنَّا بِفَيْكُمُ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَاقَوْتَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٨)</sup>.

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾<sup>(٩)</sup>.

وقوله: ﴿ فَأَنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾<sup>(١٠)</sup>، معناه قاذبهم بما يصلونهم، وعاملهم مثل

معاملتهم لك سواء، مع ما يدل عليه « سواء » من الأمر بالعدل.

وقوله: ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾<sup>(١١)</sup>، فإنه أشار به إلى إقطاع مدة لواء النازل

(٢) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة النافقون ٤

(٦) سورة يونس ٢٣

(٨) سورة البقرة ٢

(١٠) سورة الأتال ٥٨

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الزخرف ٢١

(٥) سورة طه ٤٣

(٧) سورة سبأ ٥١

(٩) سورة غافر ١٨

(١١) سورة هود ٤٤

من السماء والتابع من الأرض . وقوله : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك من قضى هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن لفظه إلى لفظ التمثيل ، لأمرين : اختصار اللفظ ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعى أمراً ومطاعاً ، وقضاؤه يدل على قدرته .

\*\*\*

ومن أقسام الإيجاز الاختصار على السبب الظاهر للشيء ؛ اكتفاء بذلك عن جميع الأسباب ، كما يقال : فلان لا يخاف الشجمان ، والمراد لا يخاف أحداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولا شك أن من فسخت النكاح أيضاً تتربص ، لأن السبب الثالب للفراق الطلاق .

وقوله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ولم يذكر النوم وغيره ؛ لأن السبب الضروري الناقض خروج الخارج : فإن النوم الناقض ليس بضروري ، فذكر السبب الظاهر ، وعلم منه الحكم في الباقي .

ومنه قوله : ﴿ يَتْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى وهو مالم يقع في يوم الضمير من المواجه ، ولم ينظر على القلوب من مخيلات الوسوس .

ومنه : ﴿ إِنْ أَفْهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ونظائره .

وكذلك زيد وعمر قائم ، على القول بأن « قائم » خبر عن أحدهما ، واستغنى به عن خبر الآخر .

ومنها الاختصار على المبتدأ وإقامة الشيء مقام الخبر نحو : أقائم الزيدان ، فإن « قائم » مبتدأ لا خبر له .

(٢) سورة النساء ٤٣

(٤) سورة الأحزاب ٥٦

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٣) سورة طه ٧

ومنها باب « علمت أنك قائم » ، إذا جعلنا الجملة سادة مسددة للقولين ؛ فإن الجملة تحلّ لاسم واحد مسددة اسمين مفعولين من غير حذف .  
ومنه باب النائب عن الفاعل ، في « ضرب زيد » ، فـ « زيد » دلّ على الفاعل بإعطائه حكمه ، وعلى المفعول بوضعه .

ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك » ؛ ينفي عن عشرين أو ثلاثين ، و « من يقيم أكرمهم <sup>(١)</sup> » ينفي عن زيد وعمرو ، قاله ابن الأثير في « الجامع » .

ومنه الألفاظ اللازمة للمصوم ، مثل أحد ودّيار ، قاله ابن الأثير أيضاً .

ومنه لفظ الجمع ؛ فإن « الزيدين » ينفي عن زيد وزيد وزيد ، وكذا التثنية أصلها رجل ورجل ، فحذفوا المطف والمطوف ، وأقاموا حرف الجمع والتثنية مقامهما اختصاراً وصحّ ذلك لانفاق القاتنين في التسمية بلفظ واحد ، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرار بالمطف ؛ نحو مررت بزيد وبكر .

ومنه باب الضمائر على ما سيأتي بيانه ؛ في قاعدة الضمير .

ومنه لفظ « فعل » فإنه يحىء كثيراً كناية عن أفعال متعددة ؛ قال تعالى : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله .

(٢) سورة المائدة ٧٩

(٤) سورة البقرة ٢٤

(١) ساقطة من ت .

(٣) سورة الفاء ٦٦



## القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة ؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وإتقانه لم . وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق .  
وقد اختلف في عده من الجاز ؛ فمنهم من عده منه ؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير ، كالفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم ، كالفاعل ، يُقَلَّ كل واحد منهما عن رتبته وحقه .  
والصحيح أنه ليس منه ؛ فإن الجاز قَلَّ ما وضع له إلى ما لم يوضع .  
ويقع الكلام فيه في فصول :

### الفصل الأول

#### [ في أسباب التقديم والتأخير ]

الأول : في أسبابه ، وهي كثيرة :

أحدها : أن يكون أصله التقديم ، ولا مقتضى للدول عنه ، كتقديم الفاعل على للفعول ، وللبتداء على الخبر ، ومحابب الحال عليها ؛ نحو جاء زيد راكباً .

\*\*\*

والثاني : أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه لو أخر قوله : ﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ ، فلا يفهم أنه منهم .

وجعل السكاك<sup>(٢)</sup> من الأسباب كون التأخير مانعاً ، مثل الإخلال بالمقصود ،

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَوْرَثْنَاهُمْ فِي الْكِبَرَةِ الدُّنْيَا﴾ <sup>(١)</sup> ، بتقديم الحال أعنى (من قومه) على الوصف، أعنى (الَّذِينَ كَفَرُوا) ولو تأخر <sup>(٢)</sup> لتوهم أنه من صفة الدنيا ؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل ؛ من الدنو، وليست اسماً والدنو يمدى بـ « مِنْ » ، وحينئذ يشبه الأمر في الثاقلين أنهم أمم ؛ من قومه أم لا ؟ قدّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى للتصود ؛ وهو كون الثاقلين من قومه . وحين أمّن هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، بتأخير المجرور عن صفة للرفوع .

\*\*\*

الثالث : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدّم <sup>(٤)</sup> لمشكلة الكلام ولرعاية الفاصلة ، كقوله : ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> ، بتقديم « إياه » على « تعبدون » لمشكلة رموس الآي ، وكقوله : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ <sup>(٦)</sup> ، فإنه لو أخر (في نفسه) عن (موسى) ؛ فأت تناسب القواصل ؛ لأن قبله : ﴿يُخِيلُ إِلَهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَهَّا تَسْعَى﴾ <sup>(٧)</sup> ، وبسده : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ <sup>(٨)</sup> .

وكقوله : ﴿وَتَنَشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ <sup>(٩)</sup> ؛ فإن تأخير الفاعل عن الفعول لمناسبة لما بعده .

وكقوله : ﴿إِنَّ آفَةَ سَرِيعِ الْحِسَابِ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، وهو أشكل بما قبله ، لأن قبله : ﴿مُعَرِّتِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ <sup>(١١)</sup> .

(٢) ت : « إذ » .  
(٤) م : « قدّم » .  
(٦) سورة طه ٦٦ ، ٦٨  
(٨) سورة إبراهيم ٤٩

(١) سورة المؤمنون ٣٣  
(٢) سورة المؤمنون ٢٤  
(٥) سورة فصلت ٣٧  
(٧) سورة إبراهيم ٥٠ ، ٥١

وجعل منه السكاكي<sup>(١)</sup> : (أَمَّا يَرْبُ هَارُونَ وَمُوسَى) <sup>(٢)</sup> ، بتقديم (هارون) مع أن (موسى) أحقُّ بالتقديم .



الرابع : لمظهه والاهتمام به ؛ وذلك أن من عادة العرب النصحاء ، إذا أخبرت عن مخبرٍ ما - وأناطت به حكما - وقد بشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيا أخبر به عنه ؛ وقد عطلت أحدهما على الآخر بالواو للتفضية علم الترتيب - فإنهم مع ذلك إنما يبدءون بالأهم والأولى . قال سيبويه : كأنهم يقدمون الذى شأنه أهم لهم ، وهم يبيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهتمانهم ويعنيانهم . انتهى .

قال تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) <sup>(٣)</sup> ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم .

وقال سبحانه : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى : (إِنَّا نَكْتُمُكَ وَإِنَّا نَكْتُمُكَ نَسْتَعِينُ) <sup>(٥)</sup> ؛ فقدم العبادة للاهتمام بها .

ومنه تقدير المذخوف في بسم الله مؤخراً .

وأوردوا : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) <sup>(٦)</sup> ؛ وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن تقديم الفعل هناك أهم ، لأنها أولُ سورة نزلت .

والثاني أن : (باسمِ رَبِّكَ) متعلق بـ (اقرأ) <sup>(٧)</sup> الثانى ، ومعنى الأول : أوجد

القراءة ، والقصد التعميم .



الخامس : أن يكون الخطاط ملتفتاً إليه والهمة معقودة به ؛ وذلك كقوله تعالى :

(٢) سورة طه ٧٠

(٤) سورة النباين ١٢

(٦) سورة الطلق ١ ، ٣

(١) انظر مفتاح العلوم ١٢٩

(٣) سورة البقرة ٤٣

(٥) سورة فاتحة الكتاب ٥

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾<sup>(١)</sup> ، بتقديم الجرور على المفعول الأول ؛ لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل .

\*\*\*

السادس : أن يكون التقديم لإرادة التأكيد والتعجيب من حال المذكور ؛ كتقديم للمفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾<sup>(٢)</sup> ، والأصل « الجن شركاء » ؛ وقدم ، لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله .  
ومنه قوله تعالى في سورة يس : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾<sup>(٣)</sup> ، وسنذكره .

\*\*\*

السابع : الاختصاص ، وذلك بتقديم للمفعول ، والتعجب ، والظرف ، والجار والجرور ، ونحوها على الفعل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَكْتُمُ لَكُمْ غُصَّةً﴾<sup>(٤)</sup> ، أى نخفك بالمباداة فلا نعيد غيرك .  
وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِيمَانَ تَتَّبِعُونَهُ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى إن كنتم تحبونه بالمباداة .  
والتعجب كقوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِ هَارُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله : ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ مَا نَفَعْتُمْ مِنْهُمْ مِنْ آلِهِ﴾<sup>(٧)</sup> .

وأما تقديم الظرف ؛ ففيه تفصيل ، فإن كان في الإثبات دلل على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ إِلَهِنَا إِلَّا يَهُوَّ . ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾<sup>(٨)</sup> ، وكذلك : ﴿لَهُ الْكُلُّ وَلَهُ الْخَلْدُ﴾<sup>(٩)</sup> ، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى ؛ وقوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

- (٢) سورة يس ٢٠  
(٤) سورة النحل ١١٤  
(٦) سورة الحجر ٢  
(٨) سورة الضحى ١

- (١) سورة الأنعام ١٠٠  
(٣) سورة فاتحة الكتاب ٥  
(٥) سورة مريم ٤٦  
(٧) سورة النازية ٢٥ ، ٢٦  
(٩) سورة آل عمران ١٥٨

أى لا إلى غيره ، وقوله : ﴿لَتَسْكُوتُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ <sup>(١)</sup> ، أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثانى ؛ لأنَّ الفرض في الأول إثباتُ شهادتهم على الأمم ، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .  
وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى لجميع الناس من العجم والعرب ، على أن التعريف للاستغراق .

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل للنفي عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُبْزَوْنَ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغَوْل .  
وأما تأخيرها فإنها تفيد النفي قطع ، كما في قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ <sup>(٤)</sup> فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار ؛ كان معناه : نفي العيب في الدار ، وإذا قلنا لا في الدار عيب ، كان معناه : أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

### تنبيه

ما ذكرناه من أن تقديمَ للعمول يفيد الاختصاص ، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره ، والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لالازم ، بدليل قوله تعالى : ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿أَفِي أَفْئَةِ شَكٍّ﴾ <sup>(٦)</sup> ، إن جملنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد رَدَّ صاحب « الفلك » <sup>(٧)</sup> الدائر « القاعدة بالآية الأولى ، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان ، وخالقوا البيانين في ذلك ، وأنت إذا علمت أنهم

(٢) سورة النساء ٧٩

(١) سورة البقرة ١٤٣

(٤) سورة البقرة ٢

(٣) سورة الصافات ٤٧

(٦) سورة الميراث ١٠

(٥) سورة الأنعام ٨٤

(٧) هو عز الدين بن أبي الحديد، صاحب كتاب الفلك الدائر على لئل السائر؛ قد فيه كتاب ابن الأثير

ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهل الأمر . نعم له شرطان :  
 أحدهما ألا يكون للممول مقبلا بالوضع ؛ فإن ذلك لا يسى تقديما حقيقة ، كأسماء  
 الاستفهام ، وكالبتداء عند من يحمله معمولا عليه .  
 والثاني : ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب ، مثل : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>  
 على قراءة النسب .  
 وقد اجمع الاختصاص وعلمه في آية واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، التقديم في الأول قطعا ليس  
 للاختصاص ، بخلاف الثاني .

## الفصل الثاني

في أنواعه

وهي إما أن يُقدّم والمعنى عليه ، أو يُقدّم وهو في المعنى مؤخر ، أو بالعكس .

### النوع الأول

ما قدم والمعنى عليه

ومتضمنياته كثيرة ، قد يترى الله منها خسا وعشرين ، والله در ابن عبادون في قوله :  
 سَقَاكَ الْحَيَا مِنْ مَّعَانٍ سِفَاحٍ فَمَكَ لِي بِهَا مِنْ مَّعَانٍ فِصَاحٍ

## أحدها

### السبق

وهو أقسام : منها السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ <sup>(١)</sup> قال ابن عطية : المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة .

وقوله : ﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر ، وإنما قُدِّمَ للملكُ لسبقه في الوجود .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ فإن الأزواجُ أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضلُ منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

واعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشريف ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ <sup>(٦)</sup> .

﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وأما قوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ <sup>(٨)</sup> فإنما

قُدِّمَ ذكر موسى لوجهين : أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشاراً من صحف إبراهيم ، وثانيهما مراعاة ردوس الآي .

(٢) سورة الحج ٧٥

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٦) سورة الأحزاب ٧

(٨) سورة النجم ٣٦ ، ٣٧

(١) سورة آل عمران ٦٨

(٣) سورة الأحزاب ٥٩

(٥) سورة آل عمران ٣٣

(٧) سورة الأعلى ١٩

وقد ينضم إليه الصغير ، كما في قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَنْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾<sup>(١)</sup> ؛  
تخدم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى ، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة .  
وقد لا يلحظ هذا كقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مِيسَاتِينِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى . وَثَمُودَ ثَمَا أَبْنَى ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السَّنة على النوم في قوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(٤)</sup>  
لأن العادة في البشر أن تأخذ المبدأ السَّنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب  
هذه العادة .

ذكره الصهيلي وذكر معه وجه آخر ؛ وهو أنها وردت في معرض المدح والثناء  
وافتراد السَّنة أبلغ في التزويد فبدى بالأفضل ؛ لأنه إذا استعملت عليه السَّنة فأحرى أن  
يستعمل عليه النوم .

ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾<sup>(٥)</sup> فإن  
الظلمات سابقة على النور في الإحساس ، وكذلك الظلمة للمنوية سابقة على النور للمعنى ؛  
قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ  
النَّسْخَ وَالْأَنْصَارَ وَالْأَفْنَادَ ﴾<sup>(٦)</sup> فانقضاء العلم ظلمة ، وهو متقدم بالزمان على  
نور الإدراكات .

ومنه تقديم الليل على النهار : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿ سِيرُوا فِيهَا  
فَالْيَا وَالْآيَاتُ آيَاتٍ ﴾<sup>(٨)</sup> . ﴿ بَلْ مَكْرُ الْآلِيلِ وَالنَّهَارِ ﴾<sup>(٩)</sup> . ﴿ حِينَ يُنْمَوْنَ وَحِينَ

(٢) سورة النكبات ٢٨

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة النحل ٧٨

(٧) سورة سبأ ١٨

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة التجم ٥٠ ، ٥١

(٥) سورة الأنعام ١

(٧) سورة الإسراء ١٢

(٩) سورة سبأ ٢٣



تُصْبِحُونَ<sup>(١)</sup> ولذلك اخترت العرب التاريخ باليالي دون الأيام ؛ وإن كانت اليالي مؤنثة والأيام مذكرة ، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ .  
فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قلت : استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعد<sup>(٣)</sup> بالإجماع على سبق الليل على اليوم . وأجاب بأن للمنى : تدرك القمر في سلطانه ، وهو الليل ، أى لا تهب الشمس في [ أثناء ]<sup>(٤)</sup> الليل ، بقوله بعده : ﴿ وَلَا هَالِكٌ لَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى لا يأتى في بعض سلطان الشمس وهو النهار . وبين الجلتين مقابلة .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾<sup>(٦)</sup> مُشْكِلٌ عَلَى هَذَا ؛ لَأَنَ الْإِبْلَاجَ إِدْخَالَ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَهَذَا الْبَحْثُ بِنَافِيهِ .

قلت : للمشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقدراً من النهار ، ومن<sup>(٧)</sup> النهار في الصيف مقدراً من الليل ؛ وتقدير الكلام : يولج بعض مقدار الليل في النهار ، وبعض مقدار النهار في الليل . وعلى غير المشهور ، يجعل الليل في المكان الذي كان فيه النهار ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل ، والتقدير : يولج الليل في مكان النهار ويولج النهار في مكان الليل .

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

---

(١) سورة الروم ١٧  
(٢) قواعد الكبرى ، في فروع الشافعية للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ذكر صاحب كشف الظنون ، وقال : ليس لأحد مثله . وكثير منه مأخوذ من شعب الإيمان للطبري ، وله قواعد الصغرى أيضاً .  
(٣) تكملة من م .  
(٤) م : ٥ في ٦ .  
(٥) سورة الحديد ٦  
(٦) م : ١٦ - برهان - فالت

(٧) سورة يس ٤٠

وَالنُّورَ<sup>(١)</sup> ، أى الليل والنهار ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوفًا وَهُم عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وهذه مسألة مهمة قل من تعرض لها ، أغنى سبق المكان على الزمان ، وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبري في أول تاريخه ، واحتج<sup>(٣)</sup> على ذلك بحديث ابن عباس : إن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولايل ولا نهار ، إذ كانتا إحداهما أسماء لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر [ درج الفلك ]<sup>(٤)</sup> وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر ، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار . قال : وحديث أبي هريرة - يعنى في صحيح مسلم - صريح فيه : فإن فيه : « وخلق [ الله ]<sup>(٥)</sup> النور يوم الأربعاء » ، قال : ويعنى به<sup>(٦)</sup> الشمس إن شاء الله .

والحاصل أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء للذكورة في الخبر لازم .  
فإن قلت : الحديث كالصرح بخلافه ؛ فإنه قال : خلق الله التربة يوم السبت ، حين خلق البرية وهى أول المخلوقات للذكورة ، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخراً عن ذلك .

قلت : قد نبه الطبري على جواب ذلك بما حاصله : أن الله تعالى تسمى أسماء الأيام قبل خلق التربة ، وخلق الأيام كلها ، ثم قدر كل يوم مقداراً ، فخلق التربة في مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت ، وكذا الباقي .  
وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجبه ما قاله الطبري ؛ من أنه يصح تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل للاستفاد من الخبرين .

والحاصل أن الزمان قسمان : تحقيق وتقديرى ؛ ولذا كور في الحديث التقديرى .

(٢) سورة الأنبياء ٣٢ ، ٣٣

(٤) من تاريخ الطبري

(١) سورة الأنعام ١

(٣) تاريخ الطبري ١ : ١٣

(٥) الطبري : يعنى بالنور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ <sup>(١)</sup> . ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر للشرق فقط ، قال : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ إِنَّا زَيْنَا النَّسَبَ الدُّنْيَا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وإقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ <sup>(٦)</sup> . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ <sup>(٧)</sup> .  
ويمكن فيه وجوه آخر :

منها أن فيه قهراً للخلق ، وللقام بقتضيه .

ومنها أن حياة الإنسان كالحياة ، ومآله إلى الموت ، ولا حياة إلا بعد الموت .

ومنها أن الموت تقدم في الوجود ، إذ الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان ميتاً لعدم الروح . وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود ؛ بدليل : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وإن أريد به بعد الوجود ، فالناس متنازعون في الموت : هل هو أمر وجودي كالحياة أولا ؟

وقيل بالوقف ، فقالت الفلاسفة : للموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً . والجمهور على أنه أمر وجودي بضاد الحياة ، محتجين بقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ، والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه .

وأجيب عن الآية بأن الخلق بمعنى التقدير ، ولا يجب في التقدير أن يكون وجودياً ، وعن الثاني بأن ذلك على طريق التمثيل ؛ لبيان اهتطاع الموت وثبوت الخلود .

فإن قلنا : عدوى ، فالقابل بينه وبين الحياة مقابل المدم والمسكة ، وعلى الصحيح تقابل التضاد . وعلى القول بأنه وجودي يجب أن يقال : تقديم الموت لعدوى هو عدم الوجود ؛

(١) سورة الرحمن ١٧

(٢) سورة المصافات ٦٠

(٣) سورة النجم ٤٤

(٤) سورة الأعراف ١٣٧

(٥) سورة الملك ٢

(٦) سورة البقرة ٢٨

لكونه سابقاً أو ممدوم الحياة ، الذى هو مفارقة الروح البدنى يجوز أن يكون لكونه  
الغاية التى يساق إليها فى دار الدنيا ؛ فعلى الملة النائية بعدم تحقيقها ، لتصحقه<sup>(١)</sup> ، فخص الملة  
العاملة كما وقع تأكيده فى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أو ترهيداً فى  
الدار الثانية ، وترغيباً فيما بذل اللوت .

فإن قيل : فما وجه تقديم « الحياة » فى قوله : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>  
وقوله : ﴿ وَتَحْيَايَ وَتَمَاتِي قُلُوبُ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ؟

قلنا : إن كان الخطاب لآدم وحواء ، فلأن حياتهما فى الدنيا سبقت اللوت ، وإن  
كان للخلق بالخطاب لمن هو حى بمقبه اللوت ، فما التقديم بالترتيب ، وكذا الآية بعده .  
فإن قيل : فما وجه تقديم الموت على الحياة فى الحكاية عن منكر البعث : ﴿ إِنَّ  
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾<sup>(٥)</sup> ؟

قلت : لأجل مقابلة رموس الآى .

فإن قلت : فما وجه تقدم التوقى على الرفع فى قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾<sup>(٦)</sup>  
مع أن الرفع سابق ؟

قيل : فيه جوابان :

أحدهما : للراد بالتوقى النوم ، كقوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وثانيهما : أن التاء فى « مُتَوَفِّيكَ » زائدة ، أى موفيك حياك .

ومنها سبق إزال ، كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلْنَا  
الْفُرْقَانَ ﴾<sup>(٨)</sup> . وقوله : ﴿ الَّذِي يَحْدُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾<sup>(٩)</sup>

(١) الكلام غير واضح فى الأصلين .

(٢) سورة المؤمنون ٩٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٧ .

(٤) سورة آل عمران ٥٥ .

(٥) سورة آل عمران ٤ ، ٣ .

(٦) سورة الأعراف ٢٥ .

(٧) سورة المؤمنون ٣٧ .

(٨) سورة الأنعام ٦٠ .

(٩) سورة الأعراف ١٥٧ .

وأما قوله : ﴿وَلَمَّا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإنما قدم القرآن مُتَبَيَّنًا له على فضيلة النزل إليهم .  
ومنها سبق وجوب ، كقوله تعالى : ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ <sup>(٣)</sup> .

فإن قيل : قد قال : ﴿وَاسْجُدْ وَازْكُكْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .  
قيل : يحتمل أنه كان في شربتهم السجود قبل الركوع ، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية .

وقيل : للراد بـ « اركعي » اشكري .  
وقيل : أراد بـ « اسجدى » صلى وحده ، وبـ « اركعي » صلى في جماعة ، ولذلك قال : ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

ومنها سبق تنزيه ، كقوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ ، فبدأ بالرسول قبل للمؤمنين ، ثم قال : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ، فبدأ بالإيمان بالله ؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل ، والعقل سابق في الوجود على الشرع ، ثم قال : ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ مراعاة لإيمان الرسول ، فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولاً ، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل ، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول . وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه ، فترتب الذكر للنزل عليه بحسب ذلك ، فظهرت الحكمة والإيجاز ، قال : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ؛ لأن للآل هو النازل بالكتاب ، وإن كان الكتاب أقدم من الملك ، ولكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للآل كانت قبل سماعه الكتاب . وأما إيماننا نحن بالعقل ، آمنا بالله ، أي

(٢) سورة الحج ٧٧

(١) سورة آل عمران ١٩٩

(٣) سورة الفتح ٢٩

بوجوده ، ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرفنا اسمه ووجوب النظر للتؤدى إلى معرفته ، فآمننا بالرسول ثم بالكتاب للنزل عليه ، وبالله النازل به ، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدا بالرسول قبل الكتاب ؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، الذى هو إمام المؤمنين . ذكره السهلبى فى أماليه .

وقال غيره : فى هذا الترتيب سر لطيف ، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى ، والوسائط ذلك لللائكة ، والمقابل لتلك الرحمة الأنبياء والرسل ، فلا بد أولاً من أصل ، وثانياً من وسائط ، وثالثاً من حصول تلك الرحمة ، ورابعاً من وصولها إلى المقابل لها ، والأصل للتفضى للخيرات والرحمة هو الله ، ومن أعظم رحمة ربه بها عباده إنزال كتبه إليهم ، وللوصل لها م لللائكة ، وللمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء ؛ فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

## الثانى

### بالذات

كفوله تعالى : ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾<sup>(١)</sup> . ونحوه ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَاسِيَهُمْ كَذِبُهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> . وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات .  
وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ يُوْحًى أَن تَقُولُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> فوجه تقديم المثنى أن المثنى حُثُّهم على القيام بالنصيحة لله ، وترك الهوى ، مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين . ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها .

(٢) سورة المجادلة ٧

(٤) سورة سبأ ٤٦

(١) سورة النساء ٣

(٣) سورة الكهف ٢٢

### الثالث

#### بالعلم والسببية

كقديم « العزيز » على « الحكيم » ، لأنه مَزَّ فحکم ، وتقديم « العليم » على « الحكيم » ، لأن الإتيان نائبي عن العلم ، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة : ( قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ )<sup>(١)</sup>.

ويجوز أن يكون قدم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه ، وهو ( لَا عِلْمَ لَنَا ) ، وفي غيره من نفاثره ، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله .

ومنه قوله : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ )<sup>(٢)</sup> ، فلفت المبادأة لأنها سبب حصول الإعانة .

وقوله : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَوَّائِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ )<sup>(٣)</sup> ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

وكذا : ( وَيُلْوَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ )<sup>(٤)</sup> لأن الإفك سبب الإثم .

وكذا : ( وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُنْتَدٍ أَثِيمٍ )<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْفِئَهُ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا )<sup>(٦)</sup> قدم إحياء الأرض ؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام ؛ لأنه مما يحيا به الناس ، بأكل لحومها وشرب ألبانها .

(١) سورة الفاتحة ٥

(٢) سورة البقرة ٧

(٣) سورة الفرقان ٤٨ ، ٤٩

(٤) سورة البقرة ٣٢

(٥) سورة البقرة ٢٢٢

(٦) سورة الملقين ١٢

وكذا كل علقع معلولها، كقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>،  
قيل: قدّم الأموال من باب تيسير السبب ؛ فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على  
مؤنته ، فهو سبب التزويج ، والتزويج سبب للتناسل ؛ ولأنّ المال سبب للتنعيم بالولد ،  
وقد سبب لشقائه .

وكذا قدّم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ  
النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾<sup>(٢)</sup> ، وآخر ذكر الذهب  
والفضة عن النساء والبنين لأنها أقوى في الشهوة الجبليّة من المال ، فإن الطبع يمت  
على بذل المال ، فيحصل النكاح ، والنساء أقدم من الأولاد في الشهوة الجبليّة ، والبنون  
أقدم من الأموال ، والذهب أقدم من الفضة ، والفضة أقدم من الأنعام ؛ إذ هي وسيلة إلى  
تحصيل النعم ، فلما صُدّرت الآية بذكر الحب ، وكان الحبوب مختلف للراتب ، اقتضت  
حكمة الترتيب أن يقدّم ما هو الأهم فالأهم ، في رتبة الحبوب .

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا يُبْذَلُ بِكُمْ إِنَّكُمْ لَشَاكِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
قدّم<sup>(٤)</sup> الشكر على الإيمان ؛ لأنّ العاقل ينظر [ إلى ]<sup>(٥)</sup> ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه  
وتعريضه للنافع ، فيشكر شكرا مبهما ؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة النعم آمن به ،  
ثم شكر شكرا متصلا<sup>(٦)</sup> فكان الشكر متقدما على الإيمان ؛ وكأنه أصل التكليف  
ومداره . انتهى .

وجعله غيره من عطف الخاص على العام ؛ لأنّ الإيمان من الشكر ، وخبر  
بالذكر لشرفه .

(٢) سورة آل عمران ١٤

(٤) الكشاف ١ : ٤٥٦

(٦) الكشاف : « منفصلا » .

(١) سورة الأهل ٢٨

(٣) سورة النساء ١٤٧

(٥) من الكشاف .



## الرابع بالرتبة

كقديم « سميع » على « علم » فإنه يقتضى التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لعلقه بالأصوات ، وإن من تمتع حسك قد يكون أقرب إليك في المادة ممن يعلم ، وإن كان علم الله تعالى بما ظهر وما بطن .

وكقوله : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، فإن المغفرة سلامة ، والرحمة غنية ، والسلامة مطلوبة قبل النعمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالرحمة شملهم جميعا ، والمغفرة تخص بعضا ، والصوم قبل الخصوص بالرتبة .

وقوله تعالى : ﴿ هَازِلٌ مُّشَاهِدٌ بَنِيكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> فإن الهزاز هو الفتاب ؛ وذلك لا يفتر إلى شيء بخلاف النعمة .

وقوله : ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾<sup>(٥)</sup> فإن الضامر أن الدين يأتون رجالا من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد . ويحتمل أن يكون من التقدير بالشرف ؛ لأن الأجر في الشيء مضاعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالِ خُفُّهُمْ فَرِحَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾<sup>(٦)</sup> مع أن الراكب متمكن من الصلاة أكثر من اللاشي ، فغيره في باب الرخصة .

(١) سورة البقرة ١٧٣ وآيات كثيرة .

(٢) سورة سبأ ٢

(٣) سورة القلم ١١

(٤) سورة الحج ٢٧

(٥) سورة البقرة ٢٣٩

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا لَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْعَاطِقِينَ وَالْمَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴾<sup>(١)</sup> ،  
 قدّم العاطقين لقربهم من البيت ؛ ثم ثنى بالقائمين وهم الماكفون ؛ لأنهم يخلصون موضعاً  
 بالمكوف والطواف بخلافه فكان أمّ منه ، والأعمّ قبل الأخصّ ، ثم ثلث بالركوع ،  
 لأنّ الركوع لا يلزم أن يكون في البيت<sup>(٢)</sup> ولا عنده .

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة :

الأول : كيف جمع العاطقين والقائمين جمع سلامة ، والركع جمع تكسير ؟ والجواب  
 أن جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل ، فطائفون بمنزلة يطوفون ، ففي لفظه إشاراً بصفة التطهير ،  
 وهو حدوث الطواف وتجدده ، ولو قال : بالطواف لم يند ذلك ، لأن لفظ الصدر يعني  
 ذلك ؛ وكذا القول في القائمين ، وأما الراكعون فلما سبق أنه لا يلزم كونه في البيت  
 ولا عنده ؛ فلها لم يجمع جمع سلامة ؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير ،  
 كما احتيج فيما قبله .

الثاني : كيف وصف الركع بالسجود ، ولم يصف بالواو ؟

والجواب ، لأن الركع هم السجود ، والشيء لا يصف على نفسه ؛ لأن السجود  
 يكون عبارة عن الصدر ، وهو هنا عبارة عن الجمع ، فلو عطف بالواو لأوهم لإرادة  
 الصدر دون اسم الفاعل ؛ لأن الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً ، ولو عطف  
 بالواو لأوهم أنه مستقل ، كالذي قبله .

الثالث : هل قيل : السجد كما قيل الركع ، وكما جاء في آية أخرى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا  
 سُجَّدًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، والركوع قبل السجود ؛ والجواب أن السجود يطلق على وضع الجبهة  
 بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال : السجد ، لم يتناول إلا للشي الظاهر ، ومنه : ﴿ تَرَاهُمْ

(٢) ت : « بالبيت » .

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة النجم ٢٩

﴿كَمَا سُجِّلَ﴾ ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تتعلّق إلا بالظاهر ، تصدّ بذلك الرمز إلى السجود للمنوى والصورى ؛ بخلاف الركوع ، فإنّه ظاهر فى أعمال الظاهر التى يشترط فيها البيت كما فى الطواف والقيام للتقدم ، دون أعمال القلب ، فجل السجود وصفاً للركوع وتمجّداً له ؛ لأنّ الخشوع روح الصلاة وسرّها الذى شرعت له .

### الخامس

#### بالداعية

كتقدم الأمر بفضّ الأبصار على حفظ الفروج فى قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَمْشُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ، لأن البصر داعية إلى الفرج ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه » .

### السادس

#### التعظيم

كقوله : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾<sup>(٣)</sup> .  
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾<sup>(٤)</sup> .  
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٥)</sup> .

(٢) سورة النساء ٦٩

(٤) سورة آل عمران ١٨

(١) سورة النور ٣٠

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة المائدة ٥٥

## السابع الشرف وهو أنواع

منها شرف الرسالة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
فإن الرسول أفضل من النبي ؛ خلافا لابن عبد السلام .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ <sup>(٣)</sup>  
ومنها شرف الذكورة :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ أَلَكُمُ اللَّهُ كُرْهُهُ أَلَا نُنْفِئُ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ﴾ <sup>(٧)</sup> ، فليجبرهن ، إذ هن  
موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالترفيف ، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم .  
ويَحْتَمَلُ أَنْ تَقْدِمَ الْإِنَاثَ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ بَيَانُ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ بِمِثْقَلِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا عَلَى  
وَفْقِ غَرَضِ الْمَبَادِ .

ومنها شرف الحرية ، كقوله تعالى : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، ومن الغريب  
حكاية بعضهم قولين في أن الحرَّ أشرف من العبد أم لا ، حكاه القرطبي ، في تفسير سورة  
النساء فليُنظر فيه .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة النساء ١

(٨) سورة البقرة ١٧٨

(١) سورة الحج ٥٢

(٣) سورة مريم ٥٤

(٥) سورة التجم ٢١

(٧) سورة الشورى ٤٩

ومنها شرف العقل ، كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْغُلُوبِ حَافَاتٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فمن باب تقديم السبب ، وقد سبق .

ومنها شرف الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾<sup>(٤)</sup> ، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع ، والطائفة على العاصي ، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال .

ومنها شرف العلم ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ومنها شرف الحياة ، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾<sup>(٧)</sup> . وأما تقديم الموت في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، فمن تقدم سبق بالوجود ، وقد سبق .

ومنها شرف المعلوم ؛ نحو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾<sup>(٩)</sup> ، فإن علم الغيبات أشرف من المشاهدات .

ومنه : ﴿ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ ﴾<sup>(١٠)</sup> . ﴿ وَتَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُمْلِكُونَ ﴾<sup>(١١)</sup>

(٢) سورة النازعات ٣٣

(٤) سورة الأعراف ٨٧

(٦) سورة الروم ١٩

(٨) سورة المائدة ٢

(١٠) سورة الأنعام ٦

(١) سورة النور ٤١

(٣) سورة السجدة ٢٧

(٥) سورة الزمر ٩

(٧) سورة طه ٢٢

(٩) سورة المؤمنون ٩٢

(١١) سورة التباين ٤

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّهُ يَتِمُّ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى من السرّ ، فمن ابن عباس وغيره : السرّ : ما أسررت في نفسك ، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك ، مما يكون في عظم الله فيهما سواء ، ولا شك أن الآتى أبلغ ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفضل تفضيل يستدعى مفضلا عليه ، علم حتى يحقق في نفسه ، فيكون حينئذ تقديم السرّ من النوع الأول .

وثانيهما : مراعاة وعوس الآى .

ومنها شرف الإدراك ، كتقديم السمع على البصر ، والسميع على البصير ، لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى : ﴿ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى بَصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، لأن الحواس خدّمة القلب ، وموضلة إليه ، وهو للتصود ؛ وأما قوله : ﴿ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فأخر القلب فيها ؛ لأن المنايا هناك بذمّ للتصاميين عن السماع ؛ ومنهم الذين كانوا يعملون القطع في آذانهم حتى لا يسموا ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله : ﴿ وَيَلَّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُقْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومنها شرف المجازاة ، كقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ومنها شرف الصوم ؛ فإنّ العامّ أشرف من الخاص ، كتقديم الغزو على الغفور ؛ أى غفوّ عمّا لم يؤخذنا به مما نستحقّه بذنوبنا ، غفور لما وَاخَذْنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا ، قَبْلَئِنَّا وَرَجَعْنَا إِلَيْهِ ؛ فتقدم الغفو على الغفور ، لأنه أعمّ ، وأُخِّرَتِ المغفرة لأنها أخصّ .

(١) سورة طه ٧

(٢) سورة المجاثية ٢٣

(٣) سورة الأنعام ٦٠

(٤) سورة البقرة ٧

(٥) سورة المجاثية ٧ ، ٨

ومنها شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَسْمَاءُ السِّتْرِ كَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾<sup>(١)</sup> ، وإنما تقديم الحرام في قوله : ﴿فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾<sup>(٢)</sup> فلزيادة في التشنيع عليهم ، أو لأجل السياق ؛ لأن قبله : ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾<sup>(٣)</sup> . ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومنها الشرف بالفضيلة ، كقوله تعالى : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿وَمِنْكَ وَبَيْنَ نُوحٍ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾<sup>(٧)</sup> الآية .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾<sup>(٨)</sup> .

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ﴾<sup>(٩)</sup> .

وقوله : ﴿رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> في الأعراف والشعراء ، فإن موسى استأثر باصطفائه تعالى له بكلية ، وكونه من أولى المرزم .

فإن قلت : قد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون ؟

قلنا : لتناسب رموس الآية .

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾<sup>(١١)</sup> لأن جبريل صاحب الوحي والعلم ، وميكائيل

- |                     |                                     |
|---------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة النحل ١١٦  | (٢) سورة يونس ٥٩                    |
| (٣) سورة النحل ١١٤  | (٤) سورة البقرة ١٧٣                 |
| (٥) سورة النساء ٧٣  | (٦) سورة الأحزاب ٧                  |
| (٧) سورة التفتح ٦٩  | (٨) سورة الأنبياء ٤٨                |
| (٩) سورة يونس ٧٥    | (١٠) سورة الأعراف ١٢٢ ، والشعراء ٤٨ |
| (١١) سورة البقرة ٩٨ |                                     |

صاحب الأرزاق ، والخيرات التسانية أفضل من الخيرات الجمانية .  
ومنه تقديم للمهاجرين في قوله تعالى : ﴿ أَقْدَبَ تَابَ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ويدل على فضيلة  
المهجرة قوله صلى الله عليه وسلم : «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» ، وبآية احتج  
الصدّيق على تفضيلهم وتبيين الإمامة فيهم .

ومنه قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فإن الصلاة أفضل من السلام .  
وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، قدم  
القريب لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي .

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
وتقديم اليمين على الشمال في نحو : ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ﴿ مَنِ الْيَمِينِ  
وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

ومنه تقديم النفس على الأموال في قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ <sup>(٨)</sup> . وأما تقديم الأموال في سورة الأغال في قوله : ﴿ وَجَاهِدُوا  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعى تقديم إغناق  
الأموال ، فهو من باب السبق بالسبية .

ومنه : ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، فإن الحلق أفضل من التقصير .

(١) سورة التوبة ١١٧

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٣) سورة سبأ ١٥

(٤) سورة التوبة ١١١

(٥) سورة الفتح ٢٧

(٦) سورة التوبة ١١٧

(٧) سورة الأحزاب ٥٦

(٨) سورة المائدة ٦

(٩) سورة المارج ٣٧

(١٠) سورة الأغال ٧٢



ومنه تقديم السموات على الأرض، كقوله: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> وهو كثير، وكذلك كثيرا ما يقع « السموات » بلفظ الجمع، و « الأرض » لم تقع إلا مفردة .

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فلأنه لما ذكر الخطابين، وهو قوله: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وهو خطاب لأهل الأرض، وعلمهم يكون في الأرض؛ وهذا بخلاف الآية التي في سبأ؛ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب .

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿ وَالْأَرْضُ جُحِيمًا مُبْقَضَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾<sup>(٥)</sup>؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد؛ وإنما هو لأهل الأرض .  
وكذا قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومنه تقديم الإنس على الجن في قوله: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ... ﴾<sup>(٧)</sup> الآية .

وقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾<sup>(٨)</sup> :

وقوله: ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِلْإِنْسِ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾<sup>(٩)</sup> .

وقوله: ﴿ وَأَنَا عَلَّمْنَا أَنْ لَنْ نَقُولَ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(٢) سورة يونس ٦١

(٤) سورة الزمر ٦٧

(٦) سورة الإسراء ٨٨

(٨) سورة الرحمن ٥٦

(١) سورة التكميوت ٤٤

(٣) سورة آل عمران ٥٠

(٥) سورة إبراهيم ٤٨

(٧) سورة الرحمن ٣٩

(٩) سورة الجن ٥

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

وأما تقديم الجن في مواضع أخر، كقوله : ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فلأنهم أقدم في الخلق ، فيكون من النوع<sup>(٣)</sup> الأول - أعنى القديم بالزمان - ولهذا لما أخر في آية الحجر صرح بالقبلية بذكر الإنسان ، ثم قال : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويموز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعمج ؛ لأن خلقها أغرب ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

أو لأنهم أقوى أجساماً ، وأعظم أقداماً ولهذا قدموا في : ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وفي : ﴿ وَخَشِيرَ لِسُيَّانٍ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

ومنه تقديم السجدة على الراكمين في قوله : ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، وسبق فيه شيء آخر .

ومنه تقديم الخليل على البنال ، والبنال على الحجر في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَلِيلَ وَالْبَنَالَ وَالْخَبِيرَ لَتَرْكَبُوهُا ﴾<sup>(٩)</sup> .

ومنه تقديم الذهب على الفضة في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(٢) سورة الأنعام ١٣٠

(١) سورة الرحمن ١٤ ، ١٥

(٣) سبق الكلام عليه في ص ٢٣٩ من هذا الجزء . (٤) سورة الحجر ٢٧

(٥) سورة النور ٤٥

(٦) سورة الرحمن ٣٣

(٧) سورة النمل ١٧

(٨) سورة آل عمران ٤٣

(٩) سورة النحل ٨

(١٠) سورة التوبة ٣٤

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون من تقديم للذكر على المؤنث ؟

قلت : هيئات ، القمب أيضاً مؤنث ، ولهذا يصغر على ذهنية كـ « قَدَم » .

ومنه تقديم الصوف في قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من اللابس ؛ وأنشمار لللائكة في قوله : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> قيل : سيام يومئذ الصوف . وعن علي : الصوف الأبيض ؛ رواه أبو نعيم في مدح الصوف ، وقال : إنه شمار الأنبياء . وقال ابن مسعود : كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصوف ؛ وفي الصحيح في موسى عليه السلام : « عليه عبادة » .

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، ولهذا قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ والحكمة يقولون : إن نور القمر مستمد من نور الشمس ، قال الشاعر :  
يَا مُفْرَكًا بِالْمُسْنِ وَالشَّكْلِ مَن دَلَّ حَيَّتِيكَ عَلَى قَتْلِي  
البدْرُ من شمس الضحى نُورُهُ وَالشَّمْسُ من نورِكَ تَسْتَلِي

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾<sup>(٦)</sup> فيحتمل وجهين : مناسبته ، وس الآية أو أن ارتفاع أهل السموات به أكثر . قال ابن الأنباري : يقال : إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس ،

(١) سورة النحل ٨٠

(٢) سورة آل عمران ١٢٥ من قوله تعالى . ﴿ يُعَذِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِجَمْعَةِ آلَافٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .

(٣) سورة الحج ١٨ من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ... ﴾ (٤) سورة الفرقان ٦١

(٦) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٥) سورة يونس ٥

وظهره إلى الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَبَيْنَ ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

### الثامن

#### الغلبة والكثرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> ، قدم الظالم لكثرتة ، ثم للمقتصد ، ثم السابق .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ اتَّخَذُوا لِلْغَيْبِ شَيْنًا وَأَتَّخِذُوا لِلْغَيْبِ شَيْنًا وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وجعل منه الزجج شري : ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ﴾<sup>(٥)</sup> يفي بدليل قوله :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> وحديث بعث النار .

وأما قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾<sup>(٧)</sup> ، قدم ذكر المذاب

لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعبس وراموا قتله .

وجعل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾<sup>(٨)</sup> ؛ لأن السرقة

في المذكور أكثر .

وقدم في الزنى للرأى قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾<sup>(٩)</sup> لأن الزنى فبين أكثر . وأما قوله :

(٢) سورة هود ١٠٥

(٤) سورة النور ٢٦

(٨) سورة المائدة ٣٨

(١) سورة طه ٣٢

(٣) سورة آل عمران ١٥٢

(٥) سورة التباين ٢

(٦) سورة يوسف ١٠٣ ؛ وانظر الكشاف : ٤٣٧

(٧) سورة آل عمران ٥٦

(٩) سورة النور ٢



## التاسع

سبق ما يقتضى تقديمه

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُنْزَعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ لما كان إسراؤها وهى رخاص ، وإراحتها وهى بطن ، قدم الإراحة لأن الجلال بها حينئذ أغفر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِّلْمَالِيِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، لأن السياق فى ذكر مريم فى قوله : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولذلك قدم الابن على غيره هذا المكان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا آيِينَ مَرِيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ فإنه قدم الحكم مع العلم لا بد من سبقه للحكم ؛ ولكن لما كان السياق فى الحكم قدمه ، قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْلُكَا فِي الْخُرُثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَصَّةُ الْغَوَيمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ويعمل أن للراد بالحكم الحكمة ، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾<sup>(٧)</sup> ؛ وأما تقديم الحكيم على العليم فى سورة الأنعام<sup>(٨)</sup> ، فلا مقام تشريع الأحكام ، وأما فى أول سورة يوسف فقدّم العليم على الحكيم<sup>(٩)</sup> ، لقوله فى آخرها : ﴿ وَعَلَّقْنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .

(٢) سورة الأنبياء ٩١

(٤) سورة الأنبياء ٧٩

(٦) سورة يوسف ٢٢

(١) سورة النحل ٦

(٣) سورة المؤمنون ٥٠

(٥) سورة الأنبياء ٧٨

(٧) وهو قوله تعالى فى آية ٨٣ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(٨) وهو قوله تعالى فى آية ٦ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومنه تقديم الحو على الإثبات في قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإن قبله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ويمكن أن يقال : ما يقع عليه الحو أقل مما يقع عليه غيره ، ولا سيما على قراءة تشديد « يُثَبِّتُ » ؛ فإنها ناصة على الكثرة ، وللمراد به الاستمرار لا الاستثناف .

وقوله : ﴿ وَيَمْحُو اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، قدم « رسلا » هنا على « مِنْ قَبْلِكَ » وفي غير هذه <sup>(٥)</sup> بالعكس ؛ لأن السياق هنا في الرسل .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، قدم القبض لأن قبله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وكان هذا بسطا ، فلا يناسب تلاوة البسط ، فقدم القبض لهذا ، ولترغيب في الإضاق ؛ لأن للمتعم منه سببه خوف القلة ، فبين أن هذا لا ينجمه ، فإن القبض مقدر ولا بد .

## العاشر

### مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله : ﴿ لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .  
﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ <sup>(٩)</sup> .  
﴿ يُدَبِّبُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَبَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

(٢) سورة الرعد ٣٨

(١) سورة الرعد ٣٩

(٣) سورة الشورى ٢٤

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الروم ٤٧ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾ .

(٦) سورة الدھر ٣٧

(٥) سورة البقرة ٢٤٥

(٨) سورة القيامة ١٣

(٩) سورة الاضطرار ٧

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 وأما قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، قدم  
 نفي التأخير ؛ لأنه الأصل في الكلام ، وإنما ذكر التقدم مع عدم إمكان التقدم ، غياً  
 لأطراف الكلام كله .

وقوله : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿كَأَيُّ بَدَأٍ تَعْدُونَ﴾<sup>(٦)</sup> .

﴿فِيهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَدَأٍ﴾<sup>(٧)</sup> .

﴿لَهُ الْخَلْقُ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾<sup>(٩)</sup> .

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾<sup>(١٠)</sup> .

فإن قلت قد جاء : ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأَوَّلِ﴾<sup>(١١)</sup> . ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ  
 مَا تَمَعَّى﴾<sup>(١٢)</sup> . ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأَوَّلُ﴾<sup>(١٣)</sup> .

قلت : لمناسبة رهوس الآي .

(٢) سورة الواقعة ٣٩ ، ٤٠

(٤) سورة النحل ٦١

(٦) سورة الأعراف ٢٩

(٨) سورة القصص ٧٠

(١٠) سورة البقرة ٢٢٠

(١٢) سورة النجم ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة الواقعة ٤٩ ، ٥٠

(٣) سورة الحجر ٢٤

(٥) سورة البروج ١٣

(٧) سورة الروم ٤

(٩) سورة الحديد ٣

(١١) سورة النازعات ٣٥



ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَعَلْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ولأن الخطاب لهم ، فقدّموا .

## الحادى عشر

للحث عليه خيفة من التهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين ، فى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدّم الوصية ، لأنهم كانوا يتساهلون بأخيرها ، بخلاف الدين .

ونظيره : ﴿ يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، قدّم الإناء حثاً على الإحسان إليهم .

وقال السبيل فى « النتائج »<sup>(٤)</sup> : إنما قدّمت الوصية لوجهين :

أحدهما : أنها قربة إلى الله تعالى ، بخلاف الدين الذى تؤدّ الرسل منه ، فبدئ بها للفضل .

والثانى : أن الوصية للميت ، والدين لغيره ، ونفسك قبل نفس غيرك ، تقول : هذا لى وهذا لغيرى ، ولا تقول فى فصيح الكلام : هذا لغيرى وهذا لى

## الثانى عشر

لتحقق ما بعده واستغنائاه هو عنه فى قصوره

كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(٢) سورة النساء ١١

(١) سورة الرسلات ٢٨

(٤) نتائج الفكر فى علل النحو ؛ ذكر فيه أن الإعراب

(٣) سورة الشورى ٤٩

مرتبة إلى علوم الكتاب ، ورتبه على ترتيب أبواب الجمل . قاله صاحب كشف الظنون .

(٥) سورة مريم ٩٦

وقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ <sup>(١)</sup> .  
وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ وَالْآيَاتِ الْمُنَى﴾ <sup>(٢)</sup> .

### الثالث عشر

#### الاهتمام عند المخاطب

كقوله : ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أُورْثُوهَا﴾ <sup>(٣)</sup> .  
ونظيره قوله عليه السلام : « وَأَنْ تَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَهُ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْهُ » .  
وقوله : ﴿وَالَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ <sup>(٤)</sup> لفضل الصدقة على القريب .  
وكقوله : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
وقوله : ﴿وَدِيَّةٌ مِّمَّا لِي أَهْلِي﴾ <sup>(٦)</sup> ، تقدم الكفارة على الذبة ، وعكس في قتل للماهد حيث قال : ﴿وَأِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مِّمَّا لِي أَهْلِي وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ <sup>(٧)</sup> .  
قال للماوردي في « الحاوي » <sup>(٨)</sup> : ووجهه أَنَّ السِّلْمَ يَرَى تَقْدِيمَ حَقِّ اللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ وَالْكَافِرَ يَرَى تَقْدِيمَ نَفْسِهِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ ، قال : وقال ابن أبي هريرة <sup>(٩)</sup> : إِنْ خَالَفَ بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَحْمِلْهُمَا عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ ؛ ثَلَاثًا يُلْحَقُ بِهِمَا مَا بَيْنَهُمَا مِنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، فضم إليه الذبة إِنْ خَالَفَ بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، فَأَزَالَ هَذَا الْإِحْتِمَالَ بِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٣

(٤) سورة الأَنْفَال ٤١

(١) سورة فصلت ٣٣

(٣) سورة النساء ٨٦

(٥) سورة النساء ٩٢

(٦) الحاوي الكبير في الفروع للفاضل أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي الثوري سنة ٤٥٠ ، ذكره صاحب كشف الظنون . وقال : « وهو كتاب عظيم في عشرة مجلدات . ويقال : إنه ثلاثون مجلدا لم يؤلف في المنهج مثله » .

(٧) هو أبو علي الحسن بن الحسين الشافعي ، عرف بابن أبي هريرة ، شرح مختصر المزني ؛ ومات سنة ٣٤٥ . طبقات الشافعية ٢ : ٢٠٦

وقال الفقيه نجم الدين بن الرُّفْعَة<sup>(١)</sup> : يحصل أن يقال : إنه لما كان الكفر يَهْدِرُ الدماء وهو موجود ، كان الناية يبذل الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتم ، لأنه يُقْضَى حُكْمُهُ ، فلذلك قدمت الذِّبَةُ فيه ، وأُخِّرَتِ الكفارة ، لأن حكمها قد سبق . ولما كانت عصمةُ السليم ناجية ، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ ، لأنه لا إثم فيه ، خصوصا على المسلمين لرفع القلم عن الخطأ ، كانت الناية بذكر الكفارة فيه أتم ؛ لأنها التي تَنْقُضُ ، قدَّمت .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَأَنْبِئْ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾<sup>(٢)</sup> قيل : لماذا بدأ بالمغرب قبل الشرق ، وكان مسكن ذى القرنين من ناحية للشرق ؟ قيل : قصد الاهتام ، إما لتردد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت ، أو غير ذلك مما لم ينته إليتنا علمه . ومن هذا أن تأخر التصود بالملح والقم أو لى من هُدْمِهِ ؛ كقوله : نعم الرجل زيد ، أحسن من قولك : زيد نعم الرجل ، لأنهم يقدّمون الأهم ، وهم في هذا بذكر اللدح والقم أهم . فأما تقديمه في قوله تعالى : ﴿ نَمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن اللدوح هنا بـ « نعم للعبد » هو سليمان عليه السلام ، وقد تقدّم ذكره . وكذلك أيوب في الآية الأخرى والخصوص بالملح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب ، وتقديره : نعم العبد هو إنه أَوَّاب .

## الرابع عشر

للتنبية على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى : ﴿ وَبَصَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، على القول بأن « الله » في موضع للمفعول الثاني لـ « جعل » ، و « شركاء » مفعول أول ، ويكون « الجن » في كلام ثان مقدر ،

(١) هو أحد بنى على ، المعروف بابن الرُّفْعَة إمام الشافعية في عصره . وانظر ترجمته في طبقات

الشافعية ٥ : ١٧٧ - ١٧٨

(٢) سورة الكهف ٨٥ ، ٨٦

(٣) - سورة الأنعام ١٠٠

(٣) سورة ص ٣٠ ، ٤٤

كأنه قيل : فن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن ؛ وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جلهم « **فَلَهُ شَرِكَاءُ** » على الإطلاق ، فيدخل مشركة غير الجن ولو آخر قليل : وجعلوا الجن شركاء لله ، كان الجن مفعولاً أولاً ، وشركاء ثانياً ، فتكون الشراكة مقيدة غير مطلقة ؛ لأنه جرى على الجن ، فيكون الإنكار توجه لجلل المشاركة للجن خاصة ، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت .

### الخامس عشر

للتنبية على أن السبب مرتب

كقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ** ﴾ <sup>(١)</sup> قدم الجباه ثم الجنوب ؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

### السادس عشر

التنقل

وهو أنواع : إما من الأقرب إلى الأبعد ، كقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ <sup>(٢)</sup> قدم ذكر الخاضعين على من قبلهم ، وقدم الأرض على السماء . وكذلك قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ <sup>(٣)</sup> ، قصد الترقى .

وقوله : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup> .  
 وإنما بالمعكس كقوله في أول الجاثية : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وإما من الأهل ، كقوله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 وقوله : ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 وإما من الأدنى ، كقوله : ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ فِقْقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾<sup>(٥)</sup> .  
 وقوله : ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾<sup>(٦)</sup> .  
 وقوله : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(٧)</sup> .

فإن قلت : لم لا أكتفي بنبي الأدنى ، لئلم منه نبي الأهل بطريق الأولى ؟ قلت .  
 جوابه مما سبق من التقديم بالزمان .

وكقوله : ﴿وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ . . .﴾<sup>(٨)</sup> الآية ،  
 وبهذا يتبين فساد استدلال المنزلة على تفضيل اللك على البشر بقوله : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ  
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾<sup>(٩)</sup> فإنهم زعموا أن سياقها يتعنى الترقى من الأدنى إلى  
 الأهل ، إذ لا يحسن أن يقال : لا يستنكف فلان عن خدمتك ، ولا من دونه بل ولا  
 من فوقه .

وجوابه أن هؤلاء لما عبدوا للمسيح ، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة على الخوارق

(٢) سورة الجاثية ٣ ، ٤  
 (٤) سورة هود ٤٩  
 (٦) سورة الكهف ٤٩  
 (٨) سورة المدثر ٣١

(١) سورة المؤمنون ٨٦  
 (٣) سورة آل عمران ١٨  
 (٥) سورة التوبة ١٢١  
 (٧) سورة البقرة ٢٥٥  
 (٩) سورة النساء ١٧٢

والمعجزات ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص وغيره ؛ ولكونه خُلِقَ من غير تراب . والتزهيد في الدنيا وغالب هذه الأمور هي للملائكة أتم ، وهم فيها أقوى ، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته ، فهو مع هذه الصفات لا يستنكف عن عبادة الله ، بل ولا من هو أكبر منه في هذه الصفات ، للترقى من الأدنى إلى الأعلى في التصود ، ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح .

### السابع عشر الترقى

كقوله : ﴿ اَللّٰهُمَّ اَرْجِلْ يَمْشُونَ بِهَا اَمْ لَهمْ اَيْدِي يَبْطِشُونَ بِهَا ۝۰۰۰ ﴾<sup>(١)</sup> الآية ؛ فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لمرض الترقى ؛ لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث ، فهو أشرف منه ، ومنفعة الثالث أهم من منفعة الثاني ، ومنفعة الثاني أهم من منفعة الأول ، فهو أشرف منه .

وقد قُرِنَ السمع بالقل ولم يقرَن به البصر في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ لَكَ اَفَاَنْتَ تَهْدِي السَّمْعَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُوْنَ . وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ لَكَ اَفَاَنْتَ تَهْدِي السَّمْعَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُوْنَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وما قُرِنَ بالأشرف كان أشرف ؛ وحكى ذلك عن علي بن عيسى الربى .

قال الشيخ أبو الفتح القشيري :

فإن قيل : قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأعلى ، ثم مادونه ، حتى ينتهي إلى أضعفها ؛ لأنه إذا بدا بسلب الوصف الأعلى ، ثم بسلب مادونه ، كان ذلك أبلغ في الذم ؛

لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه ، كما تقول : ليس زيد بسلطان ، ولا وزير ، ولا أمير ، ولا والٍ . والافترض من الآية للمائة في الذم .

قلت : ما ذكرته طريقة حسنة في علم الماني ، وللتصود من الآية طريقة أخرى ، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تصيد الكفار أمثال الكفار ، في أنها مقهورة مربوبة ، ثم حطها عن درجة الثلية بنفى هذه الصفات التابعة للكفار عنها . وقد علمت أن المائة بين القوات للثانية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينها ؛ إذ هي أسباب في ثبوت المائة بينها ، وتقوى المائة بقوة أسبابها ، ونضعف بضعفها ، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى القاتين عن الأخرى اتفق وجه من المائة بينهما ، ثم إذا سلب وصف من الأول اتفق وجه من المائة أقوى من الأول ، ثم لا يزال يسلب أسباب المائة ، أقواها فأقواها ؛ حتى تنقضي المائة كلها بهذا التدرج . وهذه الطريقة ألطف من سلب أسباب المائة ؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها .

### الثامن عشر

#### مراعاة الأفراد

فإن للفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ مِنْ مَّالٍ وَيَنْينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ ولهذا لما عبر عن المال بالجمع آخر من البينين في قوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة المؤمنون ٥٥

(١) سورة الكهف ٤٦

(٣) سورة آل عمران ١٤

ومنه تقديم الوصف بالفرد على الوصف بالجملة ، في قوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

## التاسع عشر

التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى : ﴿ الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾<sup>(٣)</sup> ، قرن الزنى بالشرك وقدمه .

وقوله : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، قدمهن في الذِّكْرِ لِأَنَّ الحُفْنَةَ بهن أعظم من الحُفْنَةِ بالأولاد ، وفي صحيح مسلم<sup>(٥)</sup> : « مَا تَرَكَتُ بَعْدِي [ في الناس ]<sup>(٦)</sup> فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » . ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا ، وختم به « الْحَرْثُ » و « هَاطِرَةٌ » فأن مقشاهان ، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي ، ولما ذكر بعد ذلك ما أعدّه للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي ، وختم بالرضوان . وكما في القرآن من مثل هذا الجنب إذا حضر له القهن ، وفرغ له النهم ومنه تقديم نفي الولد على نفي الوالد ، في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾<sup>(٧)</sup> ؛ فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقولم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر ، اعتناء به ، قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينزع فيه أحد من الأم .

## العشرون

التخويف منه

كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾<sup>(٨)</sup> ، ونظائره السابقة في الثامن .

- (٢) سورة الأنبياء ٥٠  
(٤) سورة آل عمران ١٤  
(٦) تكملة من صحيح مسلم  
(٨) سورة هود ١٠٥

- (١) سورة غافر ٢٨  
(٣) سورة التور ٣  
(٥) صحيح مسلم ٤ : ٢٩٨  
(٧) سورة الإخلاص ٣



## الحادى والعشرون

التعجب من شأنه

كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
قال الزمخشري : قدم<sup>(٢)</sup> الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسييحها أعجب وأدّل  
على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ؛ لأنها جماد ، والطير حيوان ناطق .  
قال ابن النحاس<sup>(٣)</sup> : وليس مراد الزمخشري بـ « ناطق » ما يراد به في حدّ الإنسان .

## الثانى والعشرون

كونه أدلّ على القدرة

كقوله تعالى : ﴿ قَبَسْنَاهُمْ مِنْ نَارِ يَمِينِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمِينِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمِينِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

## والثالث والعشرون

قصد الترتيب

كما في آية الوضوء ، فإن إدخال اللسح بين القسّين ، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة  
ذلك في لسانهم ، دليل على قصد الترتيب .

(٢) سورة الأنبياء ٧٩

(٣) الكشف ٣ : ١٠٩

(٤) لعله محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس الحلبي شيخ الديار المصرية ، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

(٤) سورة النور ٤٥

وانظر بنية الوضوء ٦

وكذلك البداءة في الصفا بالسعى . ومثله الكفارة للرتبة في الظهار والقتل .  
وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا ، وهي أن الكفارة للرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ ، والخيرة  
بدأ فيها بالأخف ، كما في كفارة اليمين ، ولهذا حملوا آية الحاربة في قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ  
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا . . . ﴾<sup>(١)</sup> ، الآية  
على الترتيب لا التخيير ؛ لأنه بدأ فيها بالأغلظ طرعا للقاعدة ، خلافا لما لك حيث جعلها  
على التخيير .

## الرابع والعشرون

### خفة اللفظ

كافي قولهم : ربيعة ومضر ؛ مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ،  
لأنهم لو قدموا مضر لتوالى حركات كثيرة ، وذلك يثقل ، فإذا قدموا ربيعة ووقفوا  
على مضر ، بسكون الراء ، قص الثقل لقلة الحركات للتوالي .  
وقد يكون تقديم الإنسان على الجن من ذلك ؛ فالإنس أخف لمكان النون  
والسين المهموسة .

## الخامس والعشرون

### رعاية الفواصل

كتأخير المنفور في قوله : ﴿ لَعَفُوْا غَفُوْرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله ﴿ وَكَانَ رَسُوْلًا نَّبِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> ،

(٢) سورة الحج ٦٠

(١) سورة المائدة ٣٣

(٣) سورة مريم ٥٤

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم تحرير، وشجاع باسل، وسبق له نظائر.

وكقوله: ﴿خُذُوهُ فَذُلُّوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ<sup>(١)</sup>، ولو قال: صَلُّوهُ الْجَحِيمَ لَأَفَادَ المعنى، ولكن يفوت الجمع.  
وقيل: فائدته الاختصاص.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قدم «إياه» على «تعبدون» لمشكلة رموس الآي.

## تنبيه

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر لتقديم، فإما أن يُعتقد إعادة الكل، أو يرجع بعضها لكونه أم في ذلك المحل. وإن كانت الأخرى أم في محل آخر. وإذا تعارضت الأسباب روعي أقواها، فإن تساوت كان للتكلم بالخير في تقديم أى الأمرين شاء.

## النوع الثاني

### مما قدم النية به التأخير

فنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم للفعول على الفاعل في نحو قوله: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُوكَ﴾<sup>(٣)</sup>، و ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَإِذْ أَبْقَى

(٢) سورة النحل ١١٤

(٤) سورة الحج ٣٧

(١) سورة الحاقة ٣٠، ٣١

(٣) سورة طه ٢٨

إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ <sup>(١)</sup> .

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك ، ولكن ذلك لقصد الحصر .  
كتقديم للقول . كقوله : ﴿ أَقْبِرْ آلَهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ قُلِ آلَهُ أَعْبُدُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله : ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ آلِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup>  
ولو قال « وظنوا أن حصونهم مانعهم » لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها لإياهم .  
وكذا : ﴿ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ولو قال : « أنت راغب عنها ؟ » ما أفادت  
زيادة الإنكار على إبراهيم .

وكذلك : ﴿ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ <sup>(٦)</sup>  
ولم يقل : « فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة » ، وكان يستغنى عن الضمير ، لأن هذا  
لا يُفيد اختصاص الذين كفروا بالخصوص .

ومنه ما يدل على اللغى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ <sup>(٧)</sup> ،  
قال البغوي : هذا أول القصة ، وإن كانت مؤخرة في التلاوة .

وقال الواحدي : كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة ، وإنما أُخِّر في الكلام  
لأنه سبحانه لما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ . . . ﴾ <sup>(٨)</sup> الآية عَلِمَ المخاطبون أن البقرة لا تُذبح  
إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقرَّ عِلْمُ هذا في نفوسهم أتبع بقوله :  
﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ على جهة التوكيد ، لا أنه عرفهم الاختلاف  
في القاتل بعد أن دلَّهم على ذبح البقرة . وقيل : إنه من للوخر الذي يراد به التقديم ،

(٢) سورة الزمر ٦٤

(٤) سورة الحصر ٢

(٦) سورة الأنبياء ٩٧

(٨) سورة البقرة ٦٧

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة الزمر ١٤

(٥) سورة مريم ٤٦

(٧) سورة البقرة ٧٢

وتأويله : وإذ قلتم فسأفاداراتم فيها فسألتم موسى فقال لكم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ .

وأما الزمخشري ففي كلامه ما يدل على أن إرادتها إنما كان يتأني على الوجه الواقع في القرآن ، لمعنى حسن لطيف استخرجه وأبداه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾<sup>(١)</sup> ، وأصل الكلام : « هوأه إليه » ، كما قول : اتخذ الصنم محبوباً ، لكن قدّم للقول الثاني على الأول للعناية ، كما قول : علت منطلقاً زيداً ، لفضل عنايتك بانطلاقه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ . . . ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، أى أنزله قَيِّماً ولم يجعل له عِوَجاً . قاله جماعة منهم الواحدى .

ورده نغز الدين في تفسيره بأن قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً ﴾<sup>(٣)</sup> ، معناه أنه كامل في ذاته ، وأن « قَيِّماً » معناه أنه مكمل لغيره ، وكونه كاملاً في ذاته ، سابق على كونه مكتملاً لغيره ؛ لأن معنى كونه « قَيِّماً » أنه قائم بمصالح الغير . قال : فثبت بالبرهان العقل أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية ، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه . انتهى .

وهذا فهم عجيب من الإمام ، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذي عِوَج متأخر عن كونه « قَيِّماً » في المعنى ، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب . وقد يكون أحد اللعينين ثابتاً قبل الآخر ويذكر بعده .

وأيضاً فإن هذا البحث إنما هو على تفسير التيم بالمستقيم ، فأما إذا فُسِّر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير .

وهاهنا أمران :

\*\*\*

أحدهما : أن الأظهر جمل هذه الجملة - أعنى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ - من جملة صلة « الذى » وتامها ، وعلى <sup>(١)</sup> هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين <sup>(٢)</sup> : أحدهما أنها فى حيز الصلة ؛ لأنها معطوفة عليها . والثانى أنها اعتراض بين الحال وعاملها . ويجوز فى الجملة للذكورة أن يكون موضعها النصب ؛ على أنها حال من « الكتاب » ، والعامل فيها « أنزل » .

قاله جماعة ، وفيه نظر .

وأما قوله : « قَيِّمًا » فيجوز فى نصب وجوه :

أحدها - وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من « الكتاب » والعامل فيه « أنزل » ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيميا ، ولم يجعل له عوجا » ، فتكون الجملة على هذا اعتراضاً .  
والثانى أن يكون منصوباً بفعل مقدّر ، وتقديره : « ولكن جملة قيا » ، فيكون مفعولاً للفعل المقدّر .

والثالث أن يكون حالاً من الضمير فى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ، وتكون حالاً مؤكدة .

واختار صاحبُ الكشف أن يكون <sup>(٣)</sup> « قَيِّمًا » مفعولاً لفعل مقدّر كاذكرناه ؛ لأن الجملة التى قبلها عنده معطوفة على الصلة ، و « قَيِّمًا » من تمام الصلة ، وإذا كان حالاً يكون فيه فصل بين بعض الصلة وتامها ، فكان الأحسن جملة معمولاً لمقدّر .

وقال جماعة منهم ابن المنير فى تفسير البحر بدله كلام الزغنى : وهيب من كونه لم يجعل الفاصل المذكور حالاً أيضاً ، ولا فصل ، بل هما حالان متواليان من شئ واحد ، والتقدير : أنزل الكتاب غير موعج .

(٢) ت : « بوجهين » .

(١) م : « وهذه » .

(٣) انظر الكشف ٢ : ٤٨٨ .

وهذا القول - وهو جمل الجملة حالا - قد ذكره جماعة قبل ابن النير . والظاهر أن الزخشرى لم يرض هذا القول ، لأنَّ جَمَلَ الجملة حالا لا يفيد ما يفيد المطف ، من نفي الموجع عن الكتاب مطلقا ، غير مقيد بالإززال وهو المقصود . فالفائدة التي هي أتم إنما تكون على تقدير استقلال الجملة ، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما ! قلله الطبري وغيره .

وقال الواحدى : هو قول جميع أهل القنة والتفسير . والزخشرى ربما لاحظ هذا للمنى ، ولم يمنع جواز غير ما قال ، لكنَّ ما قال هو الأحسن .

وقال غير ابن النير في الاعتراض على الزخشرى : إن الجملة وإن كانت مستقلة فهي في حيز الصلة للمطف ، فلم يقع فصل ، ويؤيد ما ذكره صاحب الكشف أن بعض القراء يسكت عند قوله : « عَوَجًا » وبفصل بينه وبين « قِيَا » بسكتة لطيفة ، وهي رواية حنص عن عاصم ، وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله . قال ابن النير : وتحتمل السكتة وجها آخر ، وهو أن يكون ذلك لرفع توهم أن يكون « قِيَا » نعتا للموجع ؛ لأن النكرة تستدعى النعت غالبا ، وقد كثر في كلامهم إيلاء للنكرة الجامدة نفسها ، كقوله : « صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » ، و « قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ، فإذا ولى النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه الوصف ، فربما خيف اللبس في جمل « قِيَا » نعتا لـ « عَوَج » فوقع اللبس بهذه السكتة .

وهذا أيضا فيه نظر ، لأن ذلك إنما يتوهم قِيَا يصلح أن يكون وصفا ، ولا يصلح « قِيَا » أن يكون وصفا لـ « عَوَج » فإنَّ الشيء لا يوصف بضده ؛ لأن الموجع لا يكون قِيَا ، والأولى ما ذكرناه أولا .

الثاني : نقل الإمام عن بعضهم أن « قَيْمَا » بدل من قوله : « عَوَجًا » ، وهو مُشْكِل ، لأنه لا يظهر له وجه .

\*\*\*

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَدْتُمُوهَ وَهَمَّ بِهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل : التقدير : لقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهم بها . وهذا أحسن ؛ لكن في تأويله قلق ، ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلّا على قول من قال : إن الصفائر يجوز وقوعها منهم .

وقوله : ﴿ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾<sup>(٢)</sup> قيل : أصله : فبشرناها بإسحاق فضحك . وقيل : ضحكت أي حاضت بعد الكبر عند البُشرى ، فمادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة .

وقوله : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، قدّم على ما بعده ، وهو مؤخر عنه في المعنى ؛ لأن ذلك يحصل للتوافق .

وقوله : ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾<sup>(٤)</sup> ، أي أحوى غثاء ، أي أخضر ، يميل إلى السواد ، والموجب لتأخير ﴿ أَحْوَى ﴾ رعاية القواصل .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال ابن برهان النحوي : أصله : ومن يبتغ ديناً غير الإسلام .

وقوله : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُوْدٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، قال أبو عبيد : الغريب : الشديد السواد ، ففي الكلام تقديم وتأخير . وقال صاحب<sup>(٧)</sup> « المجائب والفرائب » : قال ابن عيسى :

(٢) سورة هود ٧١

(٤) سورة الأعراف ٥٠

(٦) سورة طه ٢٢

(١) سورة يوسف ٢٤

(٣) سورة الكهف ٧٩

(٥) سورة آل عمران ٨٥

(٧) هو محمود بن حنبل الكرماني المعروف بتاج القراء ؛ قال صاحب كشف الظنون : « أورد من الوجوه في الآية ، وذكر كل غيب وغريب » .



الغريب: الذى لونه لون الغراب ، فصار كأنه غراب . قال : والغراب يكون أسود وغير أسود ، وعلى هذا فلا تقديم ولا تأخير فيه .  
وقوله : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾<sup>(١)</sup> على قول من يقول : إِنَّ الذِّكْرَ هنا القرآن .

وقوله : ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾<sup>(٤)</sup> أى فقروها ثم كذبوه فى عقرها وفى إجابتهم .

وقوله : ﴿ثُمَّ قَصَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾<sup>(٥)</sup> ، تقديره : ثم قصى أجلا وعنده

أجل مسمى ، أى وقت مؤقت .

وقوله : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾<sup>(٦)</sup> أى الأوثان من الرجس .

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى يرهبون ربهم .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُبِهِمْ حَافِظُونَ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى الذين هم حافظون لغروبهم .

﴿فَلَا تَخْسِنَنَّ اللَّهُ تَخْلُفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾<sup>(٩)</sup> أى تخلف رسله وعده .

﴿بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾<sup>(١٠)</sup> ، أى بل الإنسان بصيرٌ على نفسه فى

شهود جوارحه عليه .

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾<sup>(١١)</sup> ، خُلِقَ المجل من الإنسان .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَسَكَاثٌ لِزَمَانًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾<sup>(١٢)</sup> ، أى ولولا

(٢) سورة التور ٢٧

(٤) سورة الشمس ١٤

(٦) سورة الحج ٣٠

(٨) سورة المؤمن ٥

(١٠) سورة القيامة ١٤

(١٢) سورة طه ١٢٩

(١) سورة الأنبياء ١٠٥

(٣) سورة القمر ١

(٥) سورة الأنعام ٢

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة إبراهيم ٤٧

(١١) سورة الأنبياء ٣٧

كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الْأَطْلَالَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى كيف مده ربك .

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> أى لشديده حب الخير .

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> أى زين

للمشركين شركاؤهم قتل أولادهم ؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار .

وقوله : ﴿ لَسَلِمَةُ الَّذِينَ يَنْصَبُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى فلا ننجيك

أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بها في الآخرة .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ <sup>(٦)</sup> ،

تقديره : مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح .

وقوله : ﴿ فَلْيَنْهَمْ عَذْوَالِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أى فأنا عذو آلهم وأصنامهم ،

وكل معبود يبدونه من دون الله .

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى فزعوا وأخذوا ،

فلا فوت ، لأن الفوت يكون بعد الأخذ .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّاسِيَةِ ﴾ ، معنى القيامة . ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ <sup>(٩)</sup> ؛

(٢) سورة المائدة (٢)

(٤) سورة النساء ٨٣

(٦) سورة إبراهيم ١٨

(٨) سورة سبأ ١

(١) سورة الفرقان ٤٥

(٣) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة التوبة ٥٥

(٧) سورة الشعراء ٧٧

(٩) سورة النازية ١ ، ٢

وذلك يوم القيامة . ثم قال : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والنصب والمل يكونان في الدنيا ، فكأنه على التقديم والتأخير ، معناه : وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة ، والحليل عليه قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، تقديره : لَمَقْتُ اللَّهُ إِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ دُعِيتُمْ إِلَّا الْإِيمَانَ فَكَفَرْتُمْ ، ومقته إِيَّاكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى النَّارِ . وقوله : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْغَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْغَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، لأن الفجر ليس له سواد ، والتقدير : حتى يبين لكم الغيط الأبيض من الغيظ من الغيظ الأسود من الليل ؛ أي حتى يبين لكم بياض الصبح من بقية سواد الليل .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ كَانَ لَمْ تَكُنْ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أُنْصِمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، لأنه موضع الشامة .

وقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلْهِينِ اتِّسِينَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أي اثنين إلهين ، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز ، و « إلهين » لا يقع إلا على ما لا يجوز ، ف « إلهين » أخص ، فكان جله صفة أولى .

(١) سورة النازية ٣

(٢) سورة نافر ١٠

(٣) سورة النازية ٧٣

(٤) سورة النازية ٨

(٥) سورة البقرة ١٨٢

(٦) من قوله تعالى في سورة النساء ٧٧ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطَبِّقَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَنْصِمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ .

(٧) سورة النحل ٥١

## النوع الثالث

### ما قدم في آية وآخر في أخرى

فن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾<sup>(١)</sup>، فتقديم « الحمد » في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فمكانه قيل عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك ، نظيره : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ، ثم قال : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله في سورة يس : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾<sup>(٣)</sup> ، قدم المجرور على الرفع ، لاشتغال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل ، وإصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة ، تلك القرية ، ويبق تحيلاً في فكره : أكانت كلها كذلك ، أم كان فيها . . .<sup>(٤)</sup> على خلاف ذلك ، بخلاف ما في سورة القصص<sup>(٥)</sup> .

ومنها قوله في سورة المل : ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٦)</sup> ، وفي سورة المؤمنين : ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٧)</sup> ، فإن ما قبل الأولى ﴿أَنذَأْ كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾<sup>(٨)</sup> ، وما قبل الثانية : ﴿أَنذَأْ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾<sup>(٩)</sup> ، فالجملعة المنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً ، والجملعة للنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندم في تبعيد البعث .

(١) سورة الجاثية ٣٦

(٢) سورة غافر ١٦

(٣) سورة يس ٢٠

(٤) موضع النقط ثلاث كلمات غامضة غير واضحة

(٥) سورة القصص ٢٠ ، وهو قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ .

(٦) سورة المل ٦٨

(٧) سورة المؤمنون ٨٣

(٨) سورة المل ٦٧

(٩) سورة المؤمنون ٨٢

ومنها قوله في سورة المؤمنين : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ، قدّم  
الجزء على الوصف ؛ لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بنام ما يدخل عليه  
للووصف ، وتماه : ﴿ وَأَتَرَفَقَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ <sup>(٢)</sup> - لاحتمل أن يكون من نعيم  
الدنيا. واشتبه الأمر في القائلين : أم من قومه ، أم لا ؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها :  
﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ فإنه جاء على الأصل .  
ومنها قوله في سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
بخلاف قوله في سورة الشعراء : ﴿ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ومنها قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ،  
وقال في سورة الإسراء : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، قدم الخطابين في الأولى  
دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء ، بدليل قوله : ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ، فكان  
رزقهم عندهم أم من رزق أولادهم ، قدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب  
في الثانية للأغنياء ؛ بدليل ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان  
رزق أولادهم هو المطلوب ، دون رزقهم ، لأنه حاصل ، فكان أم ، قدّم الوعد برزق  
أولادهم على الوعد برزقهم .

ومنها ذكر الله في أواخر سورة اللاتكة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، قدّم ذكر السموات ؛ لأن معلوماتها أكثر ، فكان تقديمها أدل على  
صفة العالمية ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي  
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ <sup>(٩)</sup> فبدأ بذكر الأرض ، لأنه في

(٢) سورة المؤمنين ٢٤

(٤) سورة الشعراء ٤٨

(٦) سورة الإسراء ٣١

(٨) سورة طهر ١٠

(١) سورة المؤمنين ٢٣

(٣) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الأنعام ١٥١

(٧) سورة طهر ٣٨

سياق تعجير الشركاء عن الخلق وللشاركة ، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير ؛  
 فيبدأ بالأرض مبالغة في بيان مجزئهم ؛ لأن من مجزئ عن أيسر الأمور كان عن أعظمها مجزئاً ،  
 ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُنْصِتُ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقدم السَّمَوَاتِ  
 تنبيهاً على عظم قدرته سبحانه ؛ لأنَّ خَلْقَهَا أكبر من خَلْقِ الْأَرْضِ ، كما صرَّح به في  
 سورة الزُّمَرِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى إِمْسَاكِ الْأَعْلَمِ كَانَ عَلَى إِمْسَاكِ الْأَصْغَرِ أَقْدَرُ .

فإن قلت : فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التفتيش البين ، الذي لا يشك  
 فيه أحد ؟

قلت : أراد ذكرها مطابقة ؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين ؛ فانظر أيها الماقل  
 حكمة القرآن ، وما أودعته من البيان والتبيان ، محمد عاقبة النظر ، وتنتظر خيراً مُنْتَظَرًا !

\*\*\*

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها ؛ قصد أن يقع البداء والختم به ،  
 للاعتناء بشأنه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ  
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ... ﴾ <sup>(٤)</sup> إلى قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ  
 اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ  
 تَكْتُمُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> فإنه لولا ما أسلفناه ، قليل : ما تكتمون وتبدون ؛ لأن الوصف بلمه

(١) وهو قوله تعالى في الآية ٥٧ ﴿ لَخَلَقَ

(١) سورة فاطر ٤١

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ) .

(٤) سورة الجمعة ١١

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٥) سورة البقرة ٢٢

أمدح، كما قيل: ﴿يَسْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾<sup>(٢)</sup>  
﴿وَأَلَّهُ يَسْلَمُ مَا نُسِرُّونَ وَمَا تُنْلِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإن قلت: قد قال تعالى: ﴿يَسْلَمُ السِّرُّ وَأَخْفَى﴾<sup>(٤)</sup>.

قلت لأجل تناسب ردوس الآي.

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد، والتعصية واحدة؛  
للتفنن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله تعالى:  
﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ  
سُجَّدًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله: ﴿خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله: ﴿وَخَسَمَ عَلَى سَمْعِهِ  
وَقَلْبِهِ﴾<sup>(٨)</sup>، قال الزمخشري في كشافه التقديم: علم بذلك أن كلا الطرفين داخل تحت  
الحسن؛ وذلك لأن المعطف في المختلفين، كالتثنية في اللتقين، فلا عليك أن تقدم  
أيهما شئت، فإنه حسن مؤخر إلى الفرض. وقد قال سيبويه: ولم يحمل الرجل منزلة بتقدمك  
إياه، بكونه أولى بها من الجاني؛ كأنك قلت: مررت بهما، يعني في قولك: مررت  
برجل وجاءني، إلا أن الأحسن تقديم الأنضل، فالقلب رئيس الأعضاء، وللضمة لها  
الشان، ثم السمع طريق إدراك وحى الله، وكلامه الذي قامت به السماوات والأرض،  
وسائر العلوم التي هي الحياة كلها.

قلت: وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة.

- |                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٣ | (٢) سورة الرعد ٩     |
| (٣) سورة النحل ١٩  | (٤) سورة طه ٧        |
| (٥) سورة البقرة ٥٨ | (٦) سورة الأعراف ١٦١ |
| (٧) سورة البقرة ٧  | (٨) سورة المجادلة ٢٣ |

## القلب \*

وفي كونه من أساليب البلاغة خلاف ، فأنكره جماعة ، منهم حازم في كتاب « منهاج البلغاء » وقال : إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ؛ لأن العرب إن صدر ذلك منهم فيقصد الميث أو التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزّه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقا ، بشرط عدم اللبس كما قاله <sup>(١)</sup> للبرّد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » .

وفصل آخرون بين أن يقتضين اعتبارا لطيفا ، فبليغ وإلا فلا ؛ ولهذا قال ابن الضائع : يحوز القلب على التأويل ، ثم قد يقرب التأويل فيصحّ في فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر . وهو أنواع :

### أحدها

#### قلب الإسناد

وهو أن يشمل الإسناد إلى شيء والمراد غيره ، كقوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُتْنُوهُ بِالْمُصْبَةِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، إن لم يجعل الباء للتمدية ؛ لأن ظاهره أن لفاتحه تنوء بالعصبة ، ومعناه أن العصبة تنوء بالفاتح لقلها ، فاستند « لننوء » إلى « الفاتح » ، والمراد إسناده إلى العصبة

\* هو الأسلوب الرابع من الأساليب ، التي أوردها المؤلف ؛ والأول أسلوب التوكيد في الجزء الثاني من ٣٨٤ وما بعدها ، والثاني في هذا الجزء من ١٠٢ وما بعدها . والثالث أسلوب التقديم والتأخير في هذا الجزء من ٢٢٣ وما بعدها .

(١) من ٣٨ ، وعبارته : « ويقولون : أدخلت القلنوة في رأسي ، وأدخلت الخنق في رجلي ؛ وإنما يكون هذا لئلا يكون فيه لبس ولا إكحال » . (٢) سورة القصص ٧٦



لأن الباء للحال والمُصْبِة مستصعبة للفتح ، لا تستصحبها للفتح . وفائدته البالغة ، يجعل  
الفتح كأنها مستقيمة للمُصْبِة القوة بثقلها .  
وقيل : لا قلب فيه ، والمراد - والله أعلم - أن الفتح تنوء بالمصبة ، أى تميلها من  
ثقلها . وقد ذكر هذا الفراء وغيره .

وقال ابن عصفور : والصحيح ما ذهب إليه الفارسي أنها بالقل ولا قلب ، والفعل  
غير متمم ، فصار متممًا بالباء ، لأن « ناء » غير متمم ، يقال : ناء الفج ، أى نهض ، ويقال :  
ناء ، أى مال للسقوط . فإذا قلت الفعل بالباء قلت : نؤت به ، أى أنهضته وأملته للسقوط ،  
قوله : ﴿ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، أى تميلها المفايح للسقوط لثقلها .

قال : وإنما كان مذهب الفارسي أصح ، لأن قل الفعل غير المتعدي بالباء متيسر ،  
والقلب غير متيسر ، فحمل الآية على ما هو متيسر أولى .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى خُلِقَ العجل من الإنسان .  
قوله ثلث وابن السكيت .

قال الزجاج : ويدل على ذلك : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> .  
قال ابن جني : والأحسن أن يكون تقديره : خُلِقَ الإنسان من العجلة ، لكثرة فعله  
إياه ، واعتماده له ، وهو أقوى في المعنى من القلب ، لأنه أمر قد اطرء واتسع ، فحمل على  
القلب يبعد في الصنعة ، ويضيق المعنى .

ولسا خفي هذا على بعضهم قال : إن العجل هاهنا الطين ، قال : ولعمري إنه في اللغة  
كما ذكر ، غير أنه ليس هنا إلا نفس العجل ، ألا ترى إلى قوله عقبه : ﴿ سَارِيكُمْ آتَايَ  
فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ونظيره قوله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

(٢) سورة الإسراء ١١

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٤) سورة الإسراء ١١

(٣) سورة الأنبياء ٣٧

صَمِيحًا<sup>(١)</sup> لأن المجلة ضرب من الضعف ، لِمَا تُؤذَن به الضرورة والحاجة .  
وقيل في قوله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى إنه من المقلب ، وأنه  
﴿ وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾ ، وهكذا في قراءة أبى بكر<sup>(٣)</sup> .  
ومثله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، قال الفراء : أى لكل أمر كتبه الله  
أجل مؤجل .

وقيل في قوله : ﴿ وَإِنْ يُرْذَكَ بَخَيْرٍ ﴾<sup>(٥)</sup> : هو من المقلب ، أى يريد بك الخير ،  
ويقال : أراد به الخير وأراد به الخير .

وجعل ابن الضائع منه : ﴿ فَتَلْقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، قال : فآدم صلوات الله  
على نبينا وعليه هو التلقى للكلمات حقيقة ، ويقرب أن ينسب التلقى للكلمات ؛ لأن  
مَنْ تَلَقَّى شَيْئًا ، أُوْطِلَ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فَلَقِيَهُ كَانَ الْآخِرُ أَيْضًا قَدْ طَلَبَ ذَلِكَ ؛ لأنه قد تلقاه ، قال :  
ولقرب هذا المعنى قرئ بالقالب<sup>(٧)</sup> .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى فصميت عليها .  
وقوله : ﴿ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾<sup>(٩)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَقَدْ بَلَنْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾<sup>(١٠)</sup> ، ﴿ وَقَدْ بَلَنْتِ الْكِبَرُ ﴾<sup>(١١)</sup> ،  
أى بلغت الكبر .

وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاءً ﴾<sup>(١٢)</sup> ، وقوله : ﴿ فَأَيُّهُمْ عَدُوٌّ لِي

- 
- |   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| (١) سورة النساء ٢٨  | (٢) سورة ق ١٩                       |
| (٣) ومى أيضا قراءة ابن مسعود ؛ على إضافة الكسرة إلى الحق . وانظر الكشف ٤ : ٣٠٦                            | (٤) سورة الرعد ٣٨                   |
| (٥) سورة البقرة ٣٧  | (٦) سورة يونس ١٠٧                   |
| (٧) قراءة ابن كثير . وانظر تفسير القرطبي ١ : ٣٢٦  | (٨) أى ينصب آدم ورفعه الكلمات ؛ ومى |
| (٩) ومعنى «عَمِيَّتْ» خفيت . وقرئ : ﴿ فَعَمِيَّتْ ﴾ ، بمعنى أخفيت ، ولقراءة أبى ﴿ فَعَمَاهَا عَلَيْكُمْ ﴾ | (١٠) سورة هود ٢٨ . قال الزمخشري :   |
| (١١) سورة يونس ٢٤   | (١٢) سورة مريم ٨                    |
| (١٣) سورة آل عمران ٤٠   | (١٤) سورة الجاثية ٢٣                |

إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَعَادِي ، وَإِنَّمَا الْغَنَى : فَإِنَّ عَدُوَّ لَهُمْ ، مُشْتَقٌّ مِنْ عِدْوَتِ الشَّيْءِ ، إِذَا جَاوَزَتْهُ وَخَلَقَتْهُ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَنْ لَهُ إِرَادَةٌ ، وَأَمَّا «عَادِيهِ» فَمُفَاعَلَةٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ .

وجعل منه بعضهم : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْغَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أَيْ إِنَّ حُبَّ الْغَيْرِ لَشَدِيدٌ . وقيل : ليس منه ، لِأَنَّ الْقَصْدَ مِنْهُ أَنَّهُ لِحُبِّ اللَّامِ لِيُخِيلَ ، وَالشَّدَّةُ : الْبُخْلُ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِ لِلْمَالِ يَبْخُلُ .

وجعل الزمخشريّ منه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، كقوله : عرضت النّاقة على الحوض ، لِأَنَّ لِلْعُرُوضِ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِيَارُ لِلْعُرُوضِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ فَعَلَ وَيُرِيدُ ؛ وَهَلْ هَذَا فَلَا قَلْبَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَانَ مُتَهَوِّرُونَ فَكَأَنَّهُمْ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَالنَّارُ مُتَصَرِّفَةٌ فِيهِمْ ، وَهُوَ كَالْتَلَاعِ أَتَى يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يَرْضُ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالُوا : عرضت الجارية على البيع .

وقوله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْكُلْفِ ، فَالْمَعْنَى : وَحَرَّمْنَا عَلَى الْمُرَاعِضِ أَنْ تَرْضِعَهُ . وَوَجْهٌ تَحْرِيمِ إِرْضَاعِهِ عَلَيْهِنَ أَلَّا يَقْبَلَ إِرْضَاعَهُنَّ حَتَّى يَرُدَّ إِلَى أُمِّهِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وَقِيلَ : الْأَصْلُ وَمَا تَخْدَعُهُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، لِأَنَّ الْأَنْفُسَ هِيَ الْخَادِعَةُ وَلِلْسُؤْلَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وَرَدُّهُ بَأَنَّ الْفَاعِلَ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ لِلْفِعْلِ فِي الْمَعْنَى ، وَأَنَّ التَّنَايُفَ فِي الْإِنْفِظَةِ قَطْ ، فَهَلْ فِي هَذَا يَصِحُّ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى كُلِّ مَنِهَا ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّلَبُّسِ .

(٢) سورة المائدة ٧٧

(١) سورة الشعراء ٧٧

(٣) سورة الأحقاف ٢٠ ، وانظر الكشاف ٢٤٢ : (٤) سورة القصص ١٢

(٥) سورة البقرة ٩ ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . (٦) سورة يوسف ١٨

## الثاني

### قلب المطوف

إما بأن يجعل للمطوف عليه مطوفاً والمطوف مطوفاً عليه ، كقوله تعالى : ﴿ قَالِقَهُ لِيَوْمِهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، حقيقة : فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم ، لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأتية مع توليه عنهم . وما يفسر به التولي من أنه يتوارى في الكوة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجعة عليه . وقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى ، نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة ، لا إلى المكان .

وقيل : لا قلب ، وللمنى ؛ ثم أراد الدنو ، وفي صحيح البخارى<sup>(٣)</sup> : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، للمنى فإذا استعذت فاقرأ . وقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال صاحب الإيضاح : لا قلب فيه ؛ لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً .

وردة بتضمنه للبالغة في شدة سورة البأس ؛ بمعنى هلكت بمجرد توجه الناس إليها ، ثم جاءها .

## الثالث

### المكس

المكس ؛ وهو أمر لفظي ، كقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة النجم ٨

(٤) سورة النحل ٩٨

(٦) سورة الأنعام ٥٢

(١) سورة النحل ٢٨

(٣) كتاب التفسير ، سورة النحل ٣ : ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ٤

وقوله: ﴿مَنْ لِيَأْسُكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهْنٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿لَا مَنْ حِلَّ لَهُمْ وَلَا مُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾<sup>(٣)</sup>.

### الرابع للتوى

وهو أن الكلمة أو الكلمات تحراً من أولها إلى آخرها، ومن آخرها إلى أولها،  
 لا يختلف لفظها ولا معناها، كقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكْثُرٌ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿كُلٌّ فِي فَكِّ﴾<sup>(٥)</sup>.

### الخامس مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى، مع بقاء بعض  
 حروف الكلمة الأولى، كقوله تعالى: ﴿فَرَقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿فَ بَنِي﴾  
 مركب من حروف « بين » وهو مفرق، إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين،  
 وهو أولها.

(٢) سورة اللطحة ١٠  
 (٤) سورة طه ٩٤  
 (٦) سورة طه ٩٤

(١) سورة البقرة ١٨٨  
 (٣) سورة الميع ٦١  
 (٥) سورة الأنبياء ٣٣

## المرج

هذا النوع متميِّه بهذه التسمية ، بنظير المَدْرَج من الحديث <sup>(١)</sup> ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تهيء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير معقدة بها ، كقوله تعالى ذا كرا عن بليس : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَمَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، هو من قول الله لا من قول للرأة . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . انتهى قول للرأة <sup>(٤)</sup> ، ثم قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، معناه ليعلم لللك أني لم أخنه .

ومنه : ﴿ يَا وَثِلَتْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ثم الكلام ، فالت للانسكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَعُفُ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> فهذه صفة لأتقياء المؤمنين ، ثم قال : ﴿ وَبَعْدُ وَهُمْ فِي الْغَيْبِ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، فهذا يرجع إلى كفار مكة تعلم إخوانهم من الشياطين في الغي .

(١) للمرج من الحديث كما في كتب المصطلح : أن تراد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي ، فيجبها من بسما مرفوعة في الحديث فيروىها كذلك . وانظر الباحث المحدث ٨٠

(٢) سورة النمل ٣٤ . (٣) سورة يوسف ٥١

(٤) كذا في الأصول ، والحقيقة أن قول للرأة ينتهي عند قوله تعالى حكاية عنها : ﴿ وَمَا أُرْسِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آية ٥٣ .

(٥) سورة يوسف ٥٢ : وهو من قول للرأة . (٦) سورة يس ٥٢

(٧) سورة الأعراف ٢٠١ (٨) سورة الأعراف ٢٠٢

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُنْزِلَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسَحَابٍ﴾<sup>(١)</sup>، ثم أخبر عن فرعون مقصلاً: ﴿فَإِذَا تَأْمُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُتَقِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَاَ يَوْمَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الظاهر أن الكلام كله من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> من كلامه تعالى، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

---

(٢) سورة مراء ٥٩

(٤) سورة الشعراء ٨٩

---

(١) سورة الشعراء ٣٥

(٣) سورة الصافات ٨٤

## التسري

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ لَا يُفَكِّرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾<sup>(٢)</sup>

فإن قيل : قد ورد : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، والغالب أن يقدم فيه القليل على الكثير ؛ مع أن الظلم منع الحق من أصله ، والهضم مَنعُ له من وجهه كاللطيف ؛ فكان يناسبه<sup>(٤)</sup> تقديم الهضم .

قلت : لأجل فواصل الآي ؛ فإنه تقدم قبله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، فمدل عنه في الثاني ، كيلا يكون أبطأ ، وقد سقت أمثلة الترقى في أسباب التقديم .

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) م : « قياحه » .

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة طه ١١٢

(٥) سورة طه ١١١



## الامتنان

ذكره أبو الحسين بن فارس<sup>(١)</sup>، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى، أو في السورة نفسها، ومثله بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهذا مقتص من قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي﴾<sup>(٣)</sup>.  
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.  
وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَهُنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾<sup>(٦)</sup>.  
فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(٧)</sup>، فيقال: لأنها مقتصة من أربع آيات؛ لأنَّ الأَشْهَاد أربعة :

الملائكة عليهم السلام في قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾<sup>(٨)</sup>.  
والأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿فَكَتِفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(٩)</sup>.  
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(٢) سورة الشكوت ٢٧

(٤) سورة الصافات ٥٧

(٦) سورة مريم ٦٨

(٨) سورة ق ٢١

(١٠) سورة البقرة ١٤٣

(١) الصاحبى ٢٠١

(٣) سورة طه ٨٥

(٥) سورة الروم ١٦

(٧) سورة غافر ٥١

(٩) سورة النساء ٤١

والأعضاء قوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقرئت مخففة ومثقلة<sup>(٣)</sup>،  
فمن شدد فهو من « نَدَّ » إذا ضر ؛ وهو مقتص من قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ  
أَخِيهِ . . . ﴾<sup>(٤)</sup> الآية<sup>(٥)</sup>، ومن خفف فهو تفاعل من النداء ، مقتص من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٦)</sup>.

—————

(١) سورة النور ٢٤

(٢) سورة غافر ٣٢

(٣) الصاحي : « مشددة » .

(٤) سورة هب ٣٤

(٥) الصاحي : « إلى آخر القصة » .

(٦) سورة الأعراف ٤٤ ، وبسما في

الصاحي ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ ،

وما أحبه هنا من الآي التي فيها ذكر النداء .

## الألفاز

واللفز الطريق للتحرف ، سُئِيَ به لانحرافه عن نمط ظاهر الكلام ؛ ويسمى أيضا أجنبية ؛ لأنَّ الحِجْيَ هو العقل ؛ وهذا النوع يقوَّى العقل عند التمرن والارتماض بحمَّله والفكر فيه .

وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف للفردة وللركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في معناها .

ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم للاستل من كسر الأصنام ، وقيل له : أنت فعلته ؛ قال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، قائلهم بهذه المصارعة لينم عليهم الحجة ، ويوضح لهم الحجة .

وكذلك قول غرود : ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أتى بامتنين قتل أحدهما ، وأرسل الآخر ، فإن هذا مغالطة .

## الاستِطَار

وهو التبريض بميب إنسان بذكر عيب غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَكُمْ كَيْفَ فعلنا بِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وكقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا قُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ﴿ أَلَا بُدْأَ لِمَدْيَنَ كَمَا بَدَتْ نُوحُودُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

## التدريب

وهو أن يُلْقَى للتكلم نقطة من الكلام ثم يردّها بيمينها، ويملّتها بيمينه آخر، كقوله:  
﴿ حَقِّ نُوْتِيْ مِثْلَ مَا أُوتِيْ رُسُلُ أَفْهِ أَفْهِ أَفْهِ أَفْهِ أَفْهِ ... ﴾<sup>(١)</sup>، الآية ؛ فإنّ الأول مضاف  
إليه ، والثاني مبتدأ .

وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ لَسَجِدٌ أَتَسَّرَ عَلَىٰ أَلْتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ .  
فِيهِ رِجَالٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد يحذف أحدها ويضرب ، أولاً بإلا حظ<sup>(٤)</sup> ؛ على الخلاف في قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ  
فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الروم ٦ ، ٧

(٢) ت « لا يخط » .

(١) سورة الأنعام ١٢٤

(٣) سورة التوبة ٨٠-١٠٨

(٥) سورة البقرة ٧

## التقليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد اللغويين على الآخر ، أو إطلاق لفظة عليهما ؛ إجراء للمختلفين مجرى للتقنين .  
وهو أنواع :

### الأول

#### تقليب للذكر

كقوله تعالى : ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾<sup>(١)</sup> غلب للذكر ؛ لأن الواو جامعة ؛ لأن لفظ القمر مقتض <sup>(٢)</sup> ، ولو أردت العطف امتنع .  
وقوله : ﴿ وَكَانَتْ مِنْ أَلْفَانِ تَيْنِ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقوله : ﴿ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْغَائِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، والأصل « من القانتات والغائرات » فعدت الأتني من المذكر بحكم التقليب .

مكننا قالوا ؛ وهو عجيب ؛ فإن العرب تقول : نحن من بنى فلان ؛ لا نريد إلاموا لانهم ، والتصويب لطريقهم ؛ وفي الحديث الصحيح في الأشعرين : « هم منى وأنا منهم » قوله سبحانه : ﴿ مِنْ أَلْفَانِ تَيْنِ ﴾ ولم يقل : « من القانتات » ؛ إيدانا بأن وسمها في العبادة جدا واجتهادا ، وعلمنا وتبصرا ورفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم . ونظيره ، ولكن بالعكس قول عتبة بن أبي معيط لأمية بن خلف لما أجمع القمود

(٢) ت « يقتضى » .

(٤) سورة الأعراف ٨٣

(١) سورة القيامة ٩

(٣) سورة النجم ١٢

عن وقعة بدر ؛ لأنه كان شيخا خجاء بمجبرة ، قال : يا أبا حنبل استعجر ، فإنما أنت من النساء ؛ قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تمجّز .

ونازع بعضهم في ذلك من وجه آخر ، قال : يحمل ألا يكون « من » للبعيض بل لا ابتداء الغاية ، أي كانت ناشئة من القوم القاتنين ، لأنها من أعقاب ، هارون أخى موسى عليه السلام .

### الثاني

#### تنزيل التكلم على الخطاب والخطاب على النائب

فيقال : أنا وزيد فلنا ، وأنت وزيد تملان . ومنه قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَتَمَكَّنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، بناء الخطاب ، غلب جانب « أنتم » على جانب « قوم » ، والقياس أن يميء بالياء ؛ لأنه وصف القوم ، وقوم اسم غيبة ، ولكن حسن آخر الخطاب ، وصفا « قوم » لوقوعه خبرا عن ضمير الخطابين . قال ابن السجري .

ولو قيل : إنه حال ل ﴿ فَتَلَكَّ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، لأن في الضمير الخطاب معنى الإشارة للازمة لها ، أو لمتاعها لكان متعبها وإن لم تساعده الصناعة ، لكن يبعد أن للراد وصفهم بجهل مستمر ، لا مخصوص بحال الخطاب ، ولم يقل « جاهلون » ، إذاننا بأنهم يصعدون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم .

وقال أبو البركات بن الأنباري : ولو قيل : إنما قال : ﴿ تجهلون ﴾ بالناء . لأن « قوم » هو « أنتم » في المعنى فذلك ، قال : ﴿ تجهلون » حملا على المعنى . لكان حسنا ، ونظيره قوله :

• أنا الذي سئلتني أمي حيدرَه <sup>(٣)</sup> •

(٢) سورة النمل ٢٠

(١) سورة النمل ٥٥

(٣) من رجز لعل بن أبي طالب ؛ ألفه حين برز للقتال يوم خيبر وبقيته .

لَيْسَتْ غَابِ كَرِيهُهُ الْمَنْظَرَةُ أَوْفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلُ السَّنْدَرَةِ

بالياء حملا على « أنا » لأن « انا » هو « أنا » في اللفظ .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾<sup>(١)</sup> . غلب فيه جانب  
« أنت » على جانب « مَنْ » فاستند إليه الفعل ، وكان تقديره : فاستقيموا ، فغلب الخطاب  
على الغيبة ، لأن حرف المطفف فصل بين الاستنداء إليهم الفعل ، فصار كما ترى . قال صاحب  
الكشاف : تقديره<sup>(٢)</sup> : فاستقم كما أمرت وليسقم كذلك من تاب معك .  
وما قلنا أقل تقديرا من هذا فاختار أيهما شئت .

وقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فأعاد الضمير  
بلفظ الخطاب ، وإن كان « من تبعك » يقتضى الغيبة ، تغليباً للخطاب وجعل الغائب  
تبعا له ، كما كان تبعا له في المصيبة والعقوبة ، فحسن أن يجعل تبعا له في اللفظ ، وهو من  
محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَكُمْ تَقْوَى ﴾<sup>(٤)</sup> ، فإن الخطاب في ﴿ لَكُمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ لا بقوله :  
﴿ اعْبُدُوا ﴾ حتى يختص بالناس المخاطبين ، إذ لا معنى لقوله : « اعبدوا لَكُمْ تَقْوَى » .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِنَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، فيمن قرأ بالناء . ويمحوز  
أن يكون المراد : « ما تعملون » الخلق كلهم ، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وكل  
سامع أبدا ، فيكون تغليباً ، ولا يحوز أن يعتبر خطاب من سواه بدونه من غير اعتبار  
التغليب ، لامتنان أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو ثنية أو جمع .  
ومنه قوله تعالى<sup>(٦)</sup> . . . .

(٢) الكشاف ٢ : ٣٢٨ ؛ مع تغيير

(٣) سورة الإسراء ٦٣

(٥) سورة هود ١٢٣

(١) سورة هود ١١٢

في العبارة .

(٤) سورة البقرة ٢١

(٦) كذا في الأصول .



### الثالث

#### تقليب الماقل على غيره

بأن يتقدم لفظ **يَمَنَّ** مَنْ **يَقُلْ** وَمَنْ **لَا يَقُلْ** ، فَيُطْلَقَ اللفظ المختص بالماقل على الجميع ، كما تقول : « **خَلَقَ اللهُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَرَزَقَهُمْ** » ، فإن لفظ « **م** » مختص بالمقلد . ومنه قوله تعالى : « **وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ** »<sup>(١)</sup> ، لما تقدم لفظ المأبة ، وللراد بها عموم مَنْ **يَقُلْ** وَمَنْ **لَا يَقُلْ** غَلَبَ مَنْ **يَقُلْ** ، فقال : « **فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي** »<sup>(٢)</sup> .

فإن قيل : هذا صحيح في « **فَمِنْهُمْ** » لأنه لمن **يَقُلْ** ؛ وهو راجع إلى الجميع ، فلم قال : « **مَنْ** » وهو لا يقع على العام ، بل خاص بالماقل ؟

قلت : « **مَنْ** » هنا بعض « **هُمْ** » ، وهو ضمير من **يَقُلْ** .

فإن قلت : فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا **يَقُلْ** ؟

قلت : مَنْ هنا قال أبو عَمان : إنه تقليب من غير عموم لفظ متقدم ، فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة : زيدا وحمرا وحارا .

وقال ابن الضائع : « **هُمْ** » لا تقع إلا على مَنْ **يَقُلْ** ، فلما أعاد الضمير على كل دابة غلبَ مَنْ **يَقُلْ** ، فقال : « **هُمْ** » ، و« **مَنْ** » بعض هذا الضمير ؛ وهو للماقل ، فلزم أن يقول « **مَنْ** » فلما قال : بوقوع التقليب في الضمير ، صار ما يقع عليه حكمه حكم الماقلين ؛ فتم ذلك بأن أوقع « **مَنْ** » .

وقوله تعالى حاكيا عن السماء والأرض : « **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** »<sup>(٣)</sup> ، إنما جمعهما جمع

(٢) سورة فصلت ١١

(١) سورة التور ٤٥

السلامة ، ولم يقل « طائنين » ولا « طائعات » ، لأنه أراد : اثنيان من فيكم من الخلاق طائنين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلب من يقل من المذكور .

وقال بعض النحويين : لما أخبر عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الله كور من بني آدم . وإنما قال : « طائنين » ولم يقل : « مطيعين » ، لأنه من طاعتنا أى اقتدنا ، وليس من أطعنا ؛ يقال : طاعت الناقة تطوع طوعا ، إذا اقتادت .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل : أوقع « ما » لأنها تقع على أنواع من يعقل ؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فغلب ما لا يعقل ؛ كان الأمر بالمعكس ؛ وبناقضه : ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال الزمخشري : جاء بـ « ما » تحقيرا لشأنهم وتصغيرا ، قال : « له قانتون » تعظيم .

ورد عليه ابن الصائغ بصحة وقوعها على الله عز وجل ، قال : وهذا غاية الخطأ ؛ وقوله في دماء الأصنام : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لِيُجْلِدْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وأما قوله : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ﴾<sup>(٩)</sup> . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾<sup>(١٠)</sup>

(١) سورة البقرة ١١٦

(٢) سورة الشعراء ٧٢

(٣) سورة الشعراء ٤

(٤) سورة الأنبياء ٦٥

(٥) سورة الأنبياء ٩٩

(٦) سورة فصلت ٢١

(٧) سورة يس ٤٠

(٨) سورة يوسف ٤

(٩) سورة النمل ١٨

لما أخبر عنها بأخبار الأعميين جرى ضيرها على حدّ من يقل ، وكذا البراق .  
 فإن قيل : قد غلب غير العاقل على العاقل في قوله : ﴿ وَفِيهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> فإنه لو غلب العاقل على غير العاقل لآتى بـ « من » .  
 فالجواب أن هذا الوضع غلب فيه من يقل ، وعبر عن ذلك بـ « ما » ، لأنها واقعة  
 على أجناس من يقل خاصة ، كهذه الآية .

قوله : ﴿ فِيهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ولم يقل « ومن فيهن »  
 قيل : لأن كلمة « ما » تتناول الأجناس كلها تناولا عاما بأصل الوضع ، و « من »  
 لا تتناول غير المقلاء بأصل الوضع ، فكان استعمال « ما » هنا أولى .

وقد يجمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب ، والمقلاء على غيرهم ، كقوله :  
 ﴿ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُونَكُمْ فِيهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى خلق  
 لكم أيها الناس من جنسكم ذكورا وإناثا ، وخلق الأنعام أيضا من أنفسها ذكورا وإناثا ،  
 يذرونكم ، أى ينبعثكم ويكثركم أيها الناس والأنعام ، في هذا التدبير والجعل ، فهو خطاب  
 للجميع ؛ للناس المخاطبين وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة ، ففيه تغليب المخاطب على  
 الغائب ، وإلا لما صحّ ذكر الجميع - أعنى الناس والأنعام - بطريق الخطاب ؛ لأن الأنعام  
 غيب ، و [ فيه ] تغليب المقلاء على غيرهم ؛ وإلا لما صحّ خطاب الجميع بلفظ « كم » المختص  
 بالمقلاء ، ففي لفظ « كم » تليين ، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال : يذرونكم وإياها .  
 هكذا قرره السكاكي والزمخشري .

ونوزعا فيه ؛ بأن جعل الخطاب شاملا للأنعام تكلف لا حاجة إليه ؛ لأن النرض  
 إظهار القدرة وبيان الألفاظ في حق الناس ؛ فالخطاب مختص بهم ، والمعنى : يكثركم

أيها الناس في التدبير حيث مكنكم من التوالد والتناسل ، وهياً لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب العاش وتدبير التوالد ، وجعلها أزواجاً تبقى بقاءكم ، وعلى هذا يكون التقدير : وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ، وهذا أنسب بنظم الكلام مما قررره ، وهو جعل الأنعام أنفسها أزواجاً .

وقوله : ﴿ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴾ <sup>(١)</sup> أى في هذا التدبير ؛ كأنه محلّ لذلك ، ولم يقل « به » كما قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ لأنه مسوق لإظهار الاعتدال مع الوحداية ، فأسقط السببية ، وأثبت « في » الظرفية ، وهذا وجه من إيجاز قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ؛ لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره ، فاختيرت « في » على « الباء » ؛ لأنه مسوق لبيان الترغيب والمعنى مفهوم ، والقصاص مسوق للتجويز وحسن المشروعية ، ﴿ وَأَنْ تَقْرَبُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

#### الرابع

تغليب المتصف بالشئ على ما لم يتصف به

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، قيل : غلب غير الرتابين على الرتابين ، واعترض بقوله تعالى : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وهذا خطاب للكفار فقط قطعاً ، فهم المخاطبون أولاً بذلك ؛ ثم « إن كنتم صادقين » لا يتميز فيها التغليب ، ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص

(٢) سورة البقرة ١٧٩

(١) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة الشورى ١١

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

الجاحدين بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم ، فتليب خال من لم يدخل في الخطاب ، لا عهد به في مخاطبات العرب .

#### الخامس

#### تليب الأكثر على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر ، كقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ بِأَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> ، أدخل شعيب عليه السلام في قوله : ﴿ لَنَعُودَنَّ ﴾ بحكم التليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها . ومثله قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، واعترض بأن « عاد » بمعنى « صار » لغة معروفة ، وأنشدوا :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى قد عادت لهن ذنوبُ  
ولا حجة فيه ؛ لجواز أن يكون ضمير « الأيام » فاعل « عادت » ؛ وإنما الشاهد في قول أمية :

تلك المكارم لا قَبَّانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بَعَاءٍ فَسَادًا بَعْدُ أَبْوَالًا  
ويحتمل جواباً ثالثاً ؛ وهو أن يكون قولهم لشعيب ذلك ، من نعمتهم وبهتانهم وادّعاتهم أن شعيبا كان على ملتهم ، لا كما قال فرعون لموسى . وقوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾<sup>(٤)</sup> كناية عن أتباعه لجرّد قائمتهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه قد استغنى ، ولعلّق بالمشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديره ، والاعتراف بالقدرة والرجوع لعله سبحانه ، وأن علم المبدع عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكاً .

(٢) سورة الأعراف ٨٨

(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة البقرة ٢٥

(٣) سورة الأعراف ٨٩

ويحوز أن يراد بالآلوة في ملتهم مجرد الساكنة والاختلاط، بدليل قوله : ﴿ إِذْ تَبَجَّعْنَا  
 اللَّهُ مِنْهَا ﴾ <sup>(١)</sup> . ونظيره : ﴿ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ويكون ذلك إشارة إلى  
 الهجرة عنهم ، وترك الإجابة لهم ، لا جواباً لهم . وفيه بُعِدَ .

#### السادس

تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس

منموز فيما بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع

كقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وأنه عدّ منهم ؛  
 مع أنه كان من الجن ، تغليبا لكونه جنيا واحدا فيما بينهم ، ولأنّ حل الاستثناء على الاتصال  
 هو الأصل . ويدلّ على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه : « خُلِقَتْ  
 الملائكة من نور والجن من النار » <sup>(٤)</sup> .

وقيل : إنه كان ملكا فُسِّلَ للملكية ، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع  
 من الملائكة .

قال الزمخشري : كان مختلطا بهم ، فينفذ عمته الدعوة بالخلطة لا بالجنس ؛ فيكون  
 من تغليب الأكثر .

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلا ؛ ولم يجمل « إلا » بمعنى « لكن » .

وقال ابن جني في « القد » : قال أبو الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ

(١) الأعراف ٨٩

(٢) سورة آل عمران ٥٥

(٣) سورة ص ٧٣ ، ٧٤

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٤ : « خُلِقَتْ الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من  
 نور ، وخلق آدم مما وصف لكم » ، يستند عن طائفة .

أَيُّنَ مَرِيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمَا اتَّخَذَ  
عِيسَى دُونِ أُمِّهِ ۖ فَهُوَ مِنْ بَابِ :

• لَنَا قِرَآءُهَا وَالتَّجْوِيزُ الطَّوَالِغُ ﴿١٧﴾ •

#### السابع

تغليب للوجود على ما لم يوجد

كقوله : ﴿بِأَنزِلِ إِلَيْكَ﴾ ﴿١٨﴾ قَالَ الزَّعْزُعِيُّ : فَإِنَّ ﴿١٩﴾ لِلرَّادِ : لِلنَّزْلِ كُلِّهِ ، وَإِنَّمَا  
عَبَّرَ عَنْهُ بِلفظ اللغز ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مُتَرَقِّبًا ، تَغْلِيْبًا لِلوُجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجَدْ .

#### الثامن

تغليب الإسلام

كقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾ ﴿٢٠﴾ قَالَ الزَّعْزُعِيُّ ﴿٢١﴾ : لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ لِلْعُلُومِ  
وَالدَّرَكَاتِ لِلسَّفَلِ ، فَاسْتَعْمَلَ الدَّرَجَاتِ فِي التَّسْمِيَةِ تَغْلِيْبًا .

#### التاسع

تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه

كقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَن قَدَّمْتَ أَيْدِيكَم﴾ ﴿٢٢﴾ ، ذَكَرَ الْأَيْدَى لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ

(١) سورة المائدة ١١٦ (٢) صدقه :

• أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ •

وهو للفردق ، ديوانه ٢ : ١٩ • (٣) سورة البقرة ٤  
(٤) الكشاف ١ : ٣٣ • (٥) سورة الأحقاف ١٩  
(٦) الكشاف ٤ : ٢٤١ • وعبارته هناك :

﴿وَلِكُلِّ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورِينَ ﴿دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ : أَيْ مَنَازِلَ وَمَرَاتِبَ مِنْ جِزَاءِ مَا عَمِلُوا  
مِنْ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ : وَمِنْ أَجْلِ مَا عَمِلُوا مِنْهَا . فَإِنَّ قُلْتَ : كَيْفَ قِيلَ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ، وَقَدْ جَاءَ :  
الْجَنَّةُ دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّا نَرَى دَرَكَاتٍ ؟ قُلْتَ : يَبْهَرُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيْبِ ، لَا هَيْهَاتَ كُلِّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ .  
(٧) سورة آل عمران ١٨٢

تزاوُل بها، فحصل الجمع بالواقع بالأيدى، تنظيلاً أشار إليه الزمخشري في آخر آل همران<sup>(١)</sup>.  
ويشاكله ما أنشده الغزنوي في «العمريات» لصفيّة بنت عبد المطلب :  
فلا والماديّاتِ غداةَ جَمْعٍ بأيديها إذا سطع الفُبار<sup>(٢)</sup>

الماشر

تنقيب الأشهر

كقوله تعالى : ( يَا أَيَّتُهَا بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ )<sup>(٣)</sup> أراد المشرق والمغرب ،  
فقلب للمشرق ، لأنه أشهر الجهتين ، فله ابن الشجرى وسيأتي فيه وجه آخر .

## فَإِثْنَانُ

إحداها :

جميع باب التنقيب من الجواز ، لأن اللفظ لم يستعمل فيها وضع له ، ألا ترى أن القاتنين  
موضوع للذكور للموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما  
وضع له ، وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة .

الثانية :

الغالب من التنقيب أن يراعى الأشرف كما سبق ، ولهذا قالوا في ثنية الأب والأم :  
أبوان ، وفي ثنية المشرق والمغرب : المشرقان ، لأن المشرق دال على الوجود ، والمغرب  
دال على المدم ، والوجود لا محالة أشرف ، وكذلك القمران ، قال :

\* لنا قراها والنجوم الطوالع \*

أراد الشمس والقمر ، فقلب القمر لشرف التذكير . وأما قولهم سنة العمرين ، يريدون

(٢) تخيير البحر لأبي حيان ٨ : ٥٠٣

(١) في الكشف ١ : ٣٤٤

(٣) سورة الزخرف ٣٨



أبا بكر وعمر ، قال ابن سيده في « الحكم » : إنما فعلوا ذلك إشاراً للفتنة ، أى  
غلب الأخف على الأثقل ، لأن لفظ « عمر » مفرد ولفظ أبى بكر مركب .  
وذكر أبو عبيد في « غريب الحديث » أن ذلك للشبهة وطول للذة .  
وذكر غيرهما أن للراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وعلى هذا  
فلا تعليل .

ورَدَّ بأنهم نطقوا بالمعمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز ، فقالوا يوم الجمل  
لعلى بن أبى طالب : سُنَّةَ المعمرين .

---

## الانفتات

وفيه مباحث :

### المؤول : في حقيقة

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر نظرية واستدراكاً للسامع ، وتبديلاً للنشاطه ، وصيانة لخاطره من اللال والضعف ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه ، كاقيل :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مَصْرُفَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
قال حازم في « منهاج البلغاء » : وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم  
أو ضمير مخاطب ، فيتنقلون من الخطاب إلى التنية . وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره ،  
فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً  
وتارة يجعله هاء ، فيقيم نفسه مقام الغائب . فذلك كان الكلام للتوالى فيه ضمير  
للتكلم والمخاطب لا يستطاب ؛ وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض ، وهو قل  
ممنوى لالنفى ، وشرطه أن يكون الضمير في للتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى  
للملقت عنه ، ليخرج<sup>(١)</sup> نحو أكرم زيدا ، وأحسن إليه ، فضمير « أنت » الذي هو  
في « أكرم » غير الضمير في « إليه » ..

\*\*\*

واعلم أن للتكلم والخطاب والتنية مقامات ، وللمشهور أن الانفتات هو الانتقال من  
أحدها إلى الآخر بعد التعمير بالأول .

وقال السكاني : إما ذلك ، وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره .

### البحث الثاني : في أقسام

وهي كثيرة :

#### الأول

##### الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبشئ على الاستماع حيث أقبل للتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عنابة وتخصيص بالمواجهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، الأصل : « وإليه أرجع » ، فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، وقادته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصيح قومه ، تطلقاً وإعلاماً بأنه يريد نفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .

وأيضاً فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يبيع منه أنه لا يعبد فاطرَه ومبدعه ؛ ثم حذرهم بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

لنا جلوه من الالتفات ، وفيه نظر ، لأنه إنما يكون منه إذا كان قصد الإخبار عن نفسه في كلمتا الجليلين ، وهما هنا ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> المخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ، ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال : « أرجع » .

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين ، و « فطرنى » و « وإليه ترجعون » كلام واحد .

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله : ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ ظاهره الماصح الاستفهام الإنكارى ؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبد غير ذلك الراجع . فالعنى : كيف أعبد من إليه رجوعى ؛ وإنما ترك « وإليه أرجع » إلى ﴿ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ لأنه داخل فيهم . ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى أنه نبههم أنهم مثله فى وجوب عبادة من إليه الرجوع ؛ فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو العطف .

ومنه قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ <sup>(١)</sup> عدل عن قوله : « رَحْمَةً مِنَّا » إلى قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ؛ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضى رحمة ، وأنه رحيم بعبد ، كقوله : ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> . وهو كثير .  
وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُفْرِكَ لَكَ اللَّهُ ﴾ <sup>(٥)</sup> ولم يقل : « لنفرك لك » تمليقاً لهذه المفرة التامة باسمه المتضمن لساير أسمائه الحسنى ، ولهذا علق به النصر ، فقال : ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ <sup>(٦)</sup> .

## الثانى

### من التكلم إلى النبىء

وجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط للتكلم وقصده من السامع ، حضر أو غاب ،

(٢) سورة سبا ١٥

(٣) سورة الحج ٧٧

(٤) سورة الفتح ٣

(١) سورة الكهف ٨٢

(٢) سورة الأعراف ٥٥

(٣) سورة التبع ٤ ، ١

وأنه في كلامه ليس يمتلئ ويهوجه ، فيكون في الضمر ونحوه ذا لَوْثَيْن ، وأراد بالانتقال إلى النية الإبقاء على الخطاب ؛ من قرعه في الوجه بسهام المعجر ، فالنية أَرْوَحُ له ، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت ، كقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾<sup>(١)</sup> ، حيث لم يقل « لنا » تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية .

وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ولم يقل : « بي » .

وله فائدتان : إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالصبيّة لها ، والثاني تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات للذكورة ، من النبوة والأمية ، التي هي أكبر دليل على صِدْقِهِ ، وأنه لا يستحق الاتباع لقائه ، بل لهذه الخصائص .

### الثالث

#### من الخطاب إلى التكلم

كقوله : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ وهذا إنما يمتشى على قول من لم يشترط أن يكون للراد بالالتفات واحدا ؛ فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمتلئ به ، ويمكن أن يمتلئ بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَمْرُهُ مُكْرَمٌ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> على أنه سبحانه نَزَّلَ نَفْسَهُ منزلة الخطاب .

(٢) سورة الدخان ٤ - ٦

(٤) سورة طه ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الكوثر ١ ، ٢

(٣) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة يونس ٢١

### الرابع من الخطاب إلى النبوة

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد التفت عن ﴿ كُنْتُمْ ﴾ إلى ﴿ جَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ ، وفائدة المدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لتبهم ، لتعجبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمر على خطابهم لفانت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولاً كان مع الناس : مؤمنهم وكافرهم ؛ بدليل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْغَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فلو قال : « وجرين بكم » لَلَزِمَ الدِّمُ للجميع ، فالتفت من الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ، فعدل عن الخطاب العام إلى الدِّمِ الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم .  
وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فناداهم نداء الحاضرين . ثم إنَّ الرياح لما جرت بما تشقى النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ؛ أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه بربح طيبة فكَّروا الله بصيغة النبوة ؛ فقال : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ثم قال : ﴿ يُطَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فانتقل عن الخطاب إلى النبوة ، ولو ربط بما قبله لقال : « يطاف عليكم » ، لأنه مخاطب لا يخبر ، ثم التفت فقال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> فكرر الالتفات .  
وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْهَٰضِمُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup>

(٢) سورة الزخرف ٢٠

(٤) سورة الروم ٣٩

(١) سورة يونس ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٧١

وقوله: ﴿وَكُذِّبَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
 وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ  
 بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، والأصل «قطعتم» عطفًا على ما قبله، لكن عدل من الخطاب إلى النيبة،  
 قيل: إنه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين، ووبخهم عليه  
 قائلاً: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله لم!  
 وجعل منه ابن السجري: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(٣)</sup>، وقد سبق أنه على  
 حذف للقول، فلا التفات.

#### الخامس

#### من النيبة إلى التكلم

كقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ  
 الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ مَسْجِدٍ آمْرَهُمَا وَذَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٥)</sup>.  
 ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾<sup>(٦)</sup>.  
 وقوله: ﴿وَأَنَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقَاهُ﴾<sup>(٧)</sup> وفائدته أنه لما كان

(١) سورة الأنبياء ٩٢، ٩٣

(٢) سورة الإسراء ١

(٣) سورة مريم ٨٨، ٨٩

(١) سورة الحجرات ٧

(٢) سورة الضحى ٣

(٣) سورة فصلت ١٢

(٤) سورة طه ٩

سَوَّقُ السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالطر ، دألا على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم ؛ لأنه أدخل في الاختصاص ، وأدل عليه وأنعم .

وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية ، منها ما أخبر به سبحانه بسببه ؛ وهو سَوَّقُ السحاب ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوق الملائكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إزاله ، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه . وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال أن يخبر بها بنون التعظيم ، الدالة على أن له جندا وخلقاً قد سخرهم في ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى إذا قرأه رسولنا جبريل . وقوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن لإرسالها ، ولم يذكر له سببا ، بخلاف سوق السحاب ، وإزاله للطر فإنه قد ذكر أسبابه : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وجعل الزخشرى منه قوله : في سورة طه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾<sup>(٥)</sup> : وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التضائعا ، وجعل قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾<sup>(٥)</sup> آخر كلام موسى ، ثم ابتدأ الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمالحتها .

وأشار الزخشرى<sup>(٦)</sup> إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على

(٢) سورة طه ١٠٢

(٤) سورة النحل ٦٠

(٦) الكشاف ٣ : ٥٣

(١) سورة التيسمة ١٨

(٣) سورة طاهر ٢٧

(٥) سورة طه ٥٣



التخصيص بالقدرة ؛ وأنه لا يدخل تحت قدرة واحد، وهو معنى قول غيره: إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة . وكذا يفعلون لكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تهتم المحاطب؛ وإنما قال: ﴿ فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾<sup>(١)</sup>، لإفادة بقاء الطر زماناً بعد زمان .

ومثله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الْأَدْنَىٰ بِمِصَابِيحَ ﴾<sup>(٢)</sup>، عدل عن التنبية في « قضاهن » و « سواهن » إلى التكلم في قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾<sup>(٣)</sup>، قليل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنه جعل السكوك بزيينة السماء الدنيا، وحفظاً؛ تكذيباً لمن أنكر ذلك .

وقيل: لما كانت الأفعال للذكورة في هذه الآية نوعين :

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام للذكورة، وهو خلق الأرض في يومين، وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام؛ ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء، وأنه أتمها وأكلها سبعاً في يومين؛ فأق في هذا النوع بضمير الفاعل، عطفاً على أول الكلام في قوله: ﴿ قُلْ أَنبِئُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ . . . ﴾<sup>(٥)</sup> الآية .

والثاني: قصده الإخبار مطلقاً، من غير قصد مدة خلقه، وهو تزيين سماء الدنيا بمصابيح، وجعلها حفظاً؛ فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك؛ بخلاف ما قبله؛ فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته . وأما تزيين

(٢) سورة فصلت ١٢

(٤) سورة فصلت ١٢

(١) سورة الحج ٦٣

(٣) سورة فصلت ٩ ، ١٠

السماء الدنيا بالمصاييح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم ، فالتفت من الغيبة إلى التكلم ، فقال : ﴿ زَيْنًا ﴾ .

## فائدة

[ في تكرار الالتفات في موضع واحد ]

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ <sup>(١)</sup> في أربعة مواضع ؛ فالتفت عن الغيبة في قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ، إلى التكلم في قوله : ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ ، بالياء على قراءة الحسن ، ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله : ﴿ آيَاتِنَا ﴾ ؛ ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

وكذلك في الفاتحة ، فإن من أولها إلى قوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ <sup>(٢)</sup> أسلوب غيبة ، ثم التفت بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ <sup>(٣)</sup> إلى أسلوب خطاب في قوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ثم التفت إلى الغيبة بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ولم يقل « الذين غضبت » كما قال : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

## السادس

من الغيبة إلى الخطاب

كقوله : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِالرَّحْمَنِ وَلَكَّا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ <sup>(٧)</sup> ، ولم يقل :

(٢) سورة الفاتحة ٤ ، ٥ ، ٧

(١) سورة الإسراء ١

(٣) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

« لقد جاءوا » للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موثقاً عليه ، منكراً عليه قوله ، كأنه مخاطب به قوماً حاضرين .

وقوله : « وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ » <sup>(١)</sup> ، ثم قال : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » <sup>(٢)</sup> .

وقوله : « وَسَاءَ لَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَّابًا طَهُورًا . إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » <sup>(٣)</sup> .

وقوله : « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ » <sup>(٤)</sup> .

وقوله : « فَتَكُونُ بِهِمْ جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ » <sup>(٥)</sup> .

وقوله : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ » <sup>(٦)</sup> ، ثم قال : « ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا » <sup>(٧)</sup> .

وقوله : « إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ ... » <sup>(٨)</sup> الآية .

وقوله : « وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى » <sup>(٩)</sup> .

وقوله : « إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَفِكَ بِهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » <sup>(١٠)</sup> .

وقوله : « أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ » <sup>(١١)</sup> .

وقوله حكاية عن الخليل : « أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

- 
- |                        |                       |
|------------------------|-----------------------|
| (١) سورة مريم ٣٩       | (٢) سورة مريم ٧١      |
| (٣) سورة البقر ٢١ ، ٢٢ | (٤) سورة آل عمران ١٠٦ |
| (٥) سورة التوبة ٣٥     | (٦) سورة الفرقان ٤٥   |
| (٧) سورة البقرة ٦      | (٨) سورة البقرة ٥٧    |
| (٩) سورة الأحزاب ٥٠    | (١٠) سورة الأنعام ٦   |

تَعْمَلُونَ . إِنَّمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا <sup>(١)</sup> ، إلى قوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿إِنْ يَتَأْتِ بِذُهِبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَيَرْزُوا اللَّهَ جَمِيعًا﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ <sup>(٤)</sup> إلى قوله : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ . . .﴾ <sup>(٦)</sup> الآية .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ <sup>(٧)</sup> ، وهو عجيب لأن «الذين» موصول لفظه للنبيهة، ولا بد له من عائد وهو الضمير في «آمنوا» ، فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب فما لا يعقل .

سوقوله : ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ <sup>(٨)</sup> ؛ فقد انفقت عن النبيهة وهو «مَالِكِ» إلى الخطاب وهو : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ <sup>(٨)</sup> .

ولَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنْ كَانَ التَّقْدِيرُ : قولوا الحمد لله ، ففيه التفتان - أعنى في الكلام للمأمور به :

أحدهما : في لفظ الجلالة ، فإن الله تعالى حاضر ، فأصله الحمد لك .

والثاني : ﴿إِيَّاكَ﴾ لجيشه على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدر : «قولوا» كان في «الحمد لله» التفتان عن التكلم إلى النبيهة ؛ فإن الله سبحانه حمده نفسه، ولا يكون في ﴿إِيَّاكَ

(٢) سورة النكبات ٢٤

(٤) سورة الأعراف ١٧٥

(٦) سورة الواقعة ٣٨ ، ٣٩

(٨) سورة الواقعة ٤ ، ٥

(١) سورة النكبات ١٦ ، ١٧

(٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١

(٥) سورة الأعراف ١٧٦

(٧) سورة الواقعة ٦

نبيد ﴿ التفات ﴾ لأن « قولوا » مقدرة معها قطعاً ؛ فلما أن يكون في الآية التفات ، أو للاتفات بالكلية .

### السابع

بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه

فيكون التفاتاً عنه ، كقوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> بعد ﴿ أَنْصَتَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ فإن للمنى « غير الذين غضبت عليهم » ذكره التنوخي في « الأقصى القريب » والخطابي وابن الأثير وغيرهم .

واعلم أنه على رأى السكاكي تجب الأقسام الستة في القسم الأخير ، وهو الانتقال التقديرى .

وزعم صاحب « ضوء اللصباح » أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والنيية موضع التكلم ، ووضع التكلم موضع الخطاب ، ومثل الثالث بقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ <sup>(٣)</sup> ، مكان « وما لكم لا تسبدون الذى فطركم » .

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يَمْهَدُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ثم قال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرْءَاءِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

### البحث الثالث في أسباب

اعلم أن للاتفات <sup>(٥)</sup> فوائد عامة وخاصة ؛ فمن العامة التفاتن والانتقال من أسلوب إلى آخر

(٢) سورة يس ٢٢

(٤) سورة الفاء ١٦٢

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة البقرة ١٧٧

(٥) ت : « اليقين » تحريف .

لما في ذلك من تشييط السامع ، واستعجاب صفاته ، واتساع مجارى الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية .

وقال البيانيون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حسن تفيير الطريقة . ونازعهم القاضى شمس الدين بن الجوزى وقال : الظاهر أن مجرد هذا لا يسفى فى المناسبة ، فإننا رأينا كلاماً طويلاً فى هذا ، والأسلوب محفوظ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝١٠٠ ﴾<sup>(١)</sup> إلى أن ذكر عشرة أصناف ، وختم به ﴿ الَّذَا كَرِهَ يَنْفَرُ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ۝١٠١ ﴾ ، ولم يغير الأسلوب ؛ وإنما المناسبة أن الإنسان كثير القلب ، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ويقلبه كيف يشاء ، فإنه يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة ، وآخر يكون حاضراً فيغيب ، فأنه تعالى لما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٢ ﴾<sup>(٢)</sup> تنبّه السامع وحضر قلبه ، فقال : ﴿ إِنَّا كَنَعْبُدُ وَإِنَّا كَنَسْتَعِينُ ۝١٠٣ ﴾<sup>(٣)</sup> . وأما<sup>(٤)</sup> الخاصة فتختلف باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده التكلم .

\*\*\*

فإنها قصد تعظيم شأن المخاطب ، كافي : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٢ ﴾ ، فإن العبد إذا افتتح حمده - لاه بقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » الدالّ على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه ؛ فإذا انتقل إلى قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٢ ﴾ الدالّ على ربوبيته لجيمهم قوى تحركه ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١٠٣ ﴾ الدالّ على أنه متمم بأنواع النعم ؛ جليها وحقيقها تزايد التحرك عنده ، فإذا وصل لـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝١٠٤ ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء ، فيتأهب قربه ، وتيقن الإقبال عليه بتخصيصه بنافية الخضوع والاستعانة فى المهمات .

(٢) سورة الفاتحة ٢

(١) سورة الأحزاب ٣٥

(٤-٤) ت • والماسة تختلف ؛

(٣) سورة الفاتحة •

وقيل : إنما اختير للحمد لفظ النبية، وللمبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ؛ فإنك تحمد نظيرك ولا تمجده ، إذ الإنسان يحمد من لا يبده ، ولا يبده من لا يحمده ، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع النبية في الخير قال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » ، ولفظ العبادة مع الخطاب قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والواجهة ، على ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأدب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة قال : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ مصرّحاً بذكر النعم ، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل « صراط للنعم عليهم » ؛ فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً ، وجاء باللفظ متحرّفاً عن ذكر الناصب ؛ فلم يقل « غير الذين غضبت عليهم » ، فنادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال للواجهة .

ومن هذا قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فإن التأدب في النبية دون الخطاب .

وقيل : لأنه لما ذكر الحق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رباً للعالمين ورحمناً ورحيماً ، ومالكا ليوم الدين ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون محبوباً دون غيره ، مستمناً به ، فغوّط بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة ، تعظيماً لشأنه كله ؛ حتى كأنه قيل : إياك ، يا مَنْ هذه صفاته نخصّ بالعبادة والاستعانة لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أنّ مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضراته ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له ، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالحمد له وتمبّدوا له بما يليق بهم ، تأهّلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وفيه أنهم يُبدون بين يدي كلِّ دعاء له سبحانه ومناجاة له صفات عظمتة لمخاطبته على الأدب والتعظيم ، لا عن التفة والإغفال ، ولا عن اللعب والاستخفاف ، كن يدعو بلا نية أو على تلب وعفة ، وهم كثير .

ومنه أن مناجاته لا تصمد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به ، كما لا تسجد الأعضاء إلا بعد التطهير من حدث الأجسام ؛ ولذلك قلمت الاستمادة على القرآن .

قال الزمخشري : وكافى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولم يقل « واستغفرت لهم » [ وعدل عنه إلى طريق الالتفات ] <sup>(٢)</sup> لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره ، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

ومنها : التنبيه على ماحق الكلام أن يكون واردا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أصل الكلام « وما لكم لا تبعدون الذي فطركم » ولكنه أبرز الكلام في معرض للناسحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ؛ ليتلطف بهم ، ويريههم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ثم لما انقضى غرضه من ذلك ، قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ليدل على ما كان من أصل الكلام ، ومقتضيا له ، ثم ساق هذا للساق إلى أن قال : ﴿ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

ومنها : أن يكون الفرض به التسميم لمعنى مقصود للتشكيم ؛ فيأتى به محافظة على تسميم

(٢) تكله من الكتاب .

(٤) سورة يس ٢٢

(١) سورة النساء ٦٤

(٣) الكتاب ٢ : ٤٠٨

(٥) سورة يس ٢٥



ما قصد إليه من المعنى المطلوب له ، كقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أصل الكلام « إنا مرسلين رحمة منا » ، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمرة ، للإيذان بأن الربوبية تقتضى الرحمة للمربوبين ، للقدرة عليهم ، أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمرة ، للمعنى المقصود من تعميم المعنى .

\*\*\*

ومنها : قصد المبالغة ، كقوله تعالى . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَبَينَ بِهِمَ <sup>(٢)</sup> » كأنه يذكر لهم حالهم ، ليعجبهم منها ويستدعى منه الإنكار والتعجب لها ؛ إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البنى فى الأرض بغير الحق ، مما ينكر ويقبح .

\*\*\*

ومنها : قصد الدلالة على الاختصاص ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ أَرْيَاحَ فَثِيرٍ سَحَابًا فَمُفْنَنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ <sup>(٣)</sup> » فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلاد الميتة وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دألاً على القدرة الباهرة التى لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ النية إلى التكلم ؛ لأنه أدخل فى الاختصاص وأدل عليه : « سقنا » و « أحيينا » .

\*\*\*

(٢) سورة يونس ٢٢

(١) سورة البقرة ٤ - ٦

(٣) سورة فاطر ٩

ومنها : قصد الاهتمام ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ <sup>(١)</sup> ، فدل عن الغيبة في « قضاهن » « وأوحى » إلى التكلم في « وزينا السماء الدنيا » للاهتمام بالإخبار عن نفسه ، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ ؛ وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظًا ولا رجوماً ، فدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك ، لكونه مهياً من مهمات الاعتقاد ، ولتكذيب الفرقة المعتدة بطلانه .

\*\*\*

ومنها : قصد التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا آتِنَا زُبُرًا وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝ <sup>(٢)</sup> ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ، للدلالة على أن قائل مثل قولهم ، ينبغي أن يكون مؤبناً ومنكراً عليه ؛ ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور ، قال : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ ۝ <sup>(٣)</sup> ، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۝ <sup>(٤)</sup> ؛ قال : ﴿ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۝ <sup>(٥)</sup> دون « قَطَّعْتُمْ أَمْرَكُمْ بَيْنَكُمْ » ، كأنه ينهى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ويُقْبِضُ عندهم ما فعلوه ، ويوبخهم عليه قائلاً : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فاجعلوا أمر دينهم به قطعاً ، تمثيلاً لأخلاقهم في الدين .

(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٩٩

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٣) سورة الأنبياء ٩٢ ، ٩٣

## فائدة

اختلف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ ﴾<sup>(١)</sup> بعد ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 قيل : إن الكلام تمّ عند قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وهذا الذي يمدّ من مقول الله تصديقا لم .

وقيل : بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى النية ، كقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِرَبِّكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 فإن قلت : قد قال في آخر السورة : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فلم عدل عن الخطاب هنا ؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأنّ المقام يقتضيه ، فإن الإلهية تقتضى الجبر والشر لتتصف المظلومين من الظالمين ، فكان المدلول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى . وأما قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ فذلك المقام مقام الطلب للمبد من ربه أن يُنم عليه بفضل ، وأن يتجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما يقتضى المدلول عن الأصل للستمر .

## المبحث الرابع في شرط

تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المتقل عنه ؛ وشرطه أيضاً أن يكون في جملتين ، أى كلامين مستقلين ، حتى يجمع بين الشرط وجوابه .

(١) سورة يونس ٢٢

(١) سورة آل عمران ٩

(٣) سورة آل عمران ١٩٤

وفي هذا الشرط نظر، قد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزأى الجملة، كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُونَ لَكَ﴾ (١).

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُنْكَرًا لِقَائِهِ حَتَّى يَبَيِّنَ فِي أَمْرٍ رَسُولًا يَخْلُقُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (٢).

وقوله : ﴿وَأَمْرًا مُؤَمِّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (٣)، بعد قوله : ﴿إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ﴾ (٣)، التقدير : إن وهبت امرأة نفسها للنبي ﴿إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ﴾ (٣)، وجعلنا الشرط والجزاء كلام واحد.

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾ (٤).  
وقوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٥)؛  
وفيه التفتان : أحدهما بين « أرسلنا » والجلالة ، والثاني بين الكاف في « أرسلنا » و« رسوله » وكل منهما في كلام واحد.

وقوله : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ (٦).  
وقوله : ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٧)، وجوز الزخشي فيه أن يكون ضمير « جزاؤكم » يعود على « التائبين » على طريق الالتفات (٨).  
وقوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (٩)، على قراءة الياء.

- (٢) سورة القصص : ٩٠  
(٤) سورة الفرقان : ١٧  
(٦) سورة آل عمران : ١٥١  
(٨) الكشاف : ٢ : ٢٨

- (١) سورة النكيت : ٢٣  
(٣) سورة الأحزاب : ٥٠  
(٥) سورة الفتح : ٨ ، ٩  
(٧) سورة الإسراء : ٦٣

وقوله : ﴿وَعَبَدْنَا مِنْهُمْ أُنثَىٰ عَسَرَ تَيْمِيًّا﴾ <sup>(١)</sup> ، قال التنوخي في « الأنصبي القريب » : الواو للحال .  
 وقوله : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### المبحث الخامس

أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يفعل ذلك إذا ابتلي الماقل بخم جاهل متمصّب ، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ؛ لأنه كلما كان خوضه معه أكثر ، كان بعده عن القبول أشدّ ، فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ، وأن يؤخّر في كلام آخر أجنبي ويطلب فيه ، بحيث ينسى الأول ، فإذا اشتغل خاطره به أدرج له أثناء الكلام الأجنبي مقدمة تناسب ذلك الطلب الأول ، ليتمكن من إتياده .

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب « درة التنزيل » <sup>(٣)</sup> ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ <sup>(٤)</sup> ، قال : إن قوله « وادكر » ليس متصلاً بما قبله ، بل نقلاهم عما هم عليه ، وللمقدمة المدرجة قوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ <sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وهذا الذي قاله يخرج الآية عن الاتصال ، مع أن في الاتصال وجوهاً مذكورة في موضعها .

(٢) سورة يس ٢

(١) سورة المائدة ١٢

(٣) هو درة التنزيل وغرة التأويل للإمام غير الدين الرازي .

(٥) سورة ص ٢٧ - ٢٩

(٤) سورة ص ١٨

والحق به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير<sup>(١)</sup> قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ الْوَعْدُ . بَلْ عَصَيْبُوا . . . ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ؛ فهذا إنكار منهم للبعث واستبعاد ، نحو الوارد في سورة « ص » ؛ فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فبعد المدلول عن مجابوتهم ، في قولهم : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وذكر اختلافهم للسبب من تكذيبهم ، في قوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِآلِ هَاشِمٍ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، صرف تعالى الكلام إلى نبيه وللمؤمنين ، قال : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾<sup>(٧)</sup> إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾<sup>(٨)</sup> ، وذلك حكمة تدرك مشاهدة ، لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره ، فستدكر هذا ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ ﴾<sup>(٩)</sup> .

وبما يقرب من الالتفات أيضا الاعتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر ؛ وهو ستة أقسام ، كما سبق تحسيم الالتفات :

أحدها : الاعتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين ، كقوله تعالى : ﴿ أَجِئْنَا بِقُلُوبِنَا غَمًّا وَجَدْنَا عَلَى آبَائِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِتَابُ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(١٠)</sup> .  
الثاني : من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَعْتَ الْفَجْرَ ﴾<sup>(١١)</sup>

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الترمذی الأندلسی ، التوفى سنة ٧٠٨ هـ ، له كتاب : ملاك التأويل الفاطمي لدوى الإلهاد والتفصيل في توجيه الفتاوى الفطلي من آبي التنزيل ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٠٠ جامع ، وقد عث في كتابه نسخة التنزيل للنفس الرازي وزاد عليه أشياء (الدرر السكاينة ١ : ٢٨٤)

(٢) سورة ق ٦

(٣) سورة ق ١ ، ٢

(٤) سورة ق ٣

(٥) سورة ق ١١

(٦) سورة ق ٦

(٧) سورة ق ٥

(٨) سورة يونس ٧٨

(٩) سورة ق ١١

(١٠) سورة الطلاق ١

الثالث : من الاثنين إلى الواحد ، كقوله : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾<sup>(١)</sup> ،  
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾<sup>(٢)</sup> .

الرابع : من الاثنين إلى الجمع ، كقوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ  
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه نفى ثم جمع ، ثم وحد ، توسعا في الكلام .  
وحكمة التثنية أَنَّ موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ، ويحكمان في الشريعة ،  
نخصهما بذلك ، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبله للعبادة ؛ لأن الجميع مأمورون بها ،  
ثم قال لموسى وحده : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ، لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه  
البشارة والإنذار .

الخامس : من الجمع إلى الواحد ، كقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>  
وقد سبق حكمته . ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا  
مِنْهَا جَمِيعًا﴾<sup>(٦)</sup> ، ثم قال : ﴿فَلَمَّا بَايَعْتُمْ مَعَ هُدًى﴾<sup>(٧)</sup> ، ولم يقل «معنا» مع أنه  
للجميع أو للواحد المعظم نفسه ، وحكمته للناسبة للواقع ، فالهدى لا يكون إلا من الله ،  
فناسب اختصاص للخاص .

السادس : من الجمع إلى التثنية ، كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ  
أَنْ تَنْفِذُوا...﴾<sup>(٨)</sup> إلى قوله : ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>(٩)</sup> .

السابع : ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملائمة له في  
اللمنى على طريق التلث أو الدعاء ، فالأول كقوله : ﴿وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ  
زَهُوقًا﴾<sup>(١٠)</sup> ؛ والثاني كقوله : ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا اللَّهُ مُلَوِّضُ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(١١)</sup> .

(٢) سورة يونس ٨٧

(١) سورة طه ٤٩ ، ١١٧

(٤) سورة البقرة ٣٨

(٤) سورة يونس ٨٧

(٦) هنا القسم وما بعده ؛ هو زيادة على

(٥) سورة الرحمن ٣٣ ، ٣٤

(٧) سورة الإسراء ٨١

ما ذكره قبلا من تنبيهه إلى ستة أقسام .

(٨) سورة التوبة ١٢٧

الثامن : من الماضى إلى الأمر ، كقوله : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّ بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ <sup>(١)</sup> 〉 وقوله : ﴿ وَأَحْلَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنْفَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ <sup>(٢)</sup> 〉 .

التاسع : من المستقبل إلى الأمر ، تعظيما لحال مَنْ أجرى عليه للمستقبل . وبالحذف من ذلك فى حق من أجرى عليه الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ <sup>(٣)</sup> 〉 إلى قوله : ﴿ بَرَى <sup>(٤)</sup> 〉 ، فإِذَا قَالَ ﴿ أَشْهَدُ اللَّهَ 〉 ، و ﴿ أَشْهَدُوا 〉 ولم يقل : « وأشهدكم » ليكون موازنا له ؛ ولا شك أن معنى إشهد الله على البراءة صحيح فى معنى يثبت التوحيد ؛ بخلاف إشهدهم ؛ فإِذَا هُوَ إِلهائهم بدينهم ، ودلالة على قلة المبالاة به ، فلذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجئ به على لفظ الأمر ، كما تقول للرجل منكرا : اشهد على أنى أحببك .

العاشر : من الماضى إلى المستقبل ، نحو : ﴿ وَاللَّهِ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ <sup>(٥)</sup> 〉 ، ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ <sup>(٦)</sup> 〉 ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ <sup>(٧)</sup> 〉 .

والحكمة فى هذه أن للكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضى ، ليفيد ذلك مع كونه نافيا أنه قد مضى عليه زمان ؛ ولا كذلك الصدّ عن سبيل الله ، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن فى القمل المستقبل إشعارا بالكثير ،

(١) سورة الأعراف ٢٩

(٢) سورة الحج ٣٠

(٣) سورة هود ٥٣ ، ٥٤ ؛ والاثنيان بتأنيها : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّى أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّى بَرِى <sup>(٤)</sup> 〉 .

(٤) سورة طه ٩

(٥) سورة الحج ٣١

(٦) سورة الحج ٢٥



فيُشعر قوله : « ويصدون » ، أنه في كل وقت يصد ذلك ، ولو قال : « وصدّوا » لأشعر بانقطاع صدم .

الحادى عشر : عكسه ، كقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَقَرَّبَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قالوا : والفائدة في الفعل للماضي إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعا ، لتنزيله منزلة الواقع . والفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لتقنين هيئة الفعل باستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه شاهد ، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله : ﴿ يُنْفَخُ ﴾ للإشمار بتحقيق الوقوع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، كقوله : ﴿ وَيَرْزَأُ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾<sup>(٣)</sup> ، والمعنى : « يبرزون » ، وإنما قال : ﴿ وَحَشَرْنَاَهُمْ ﴾ بعد ﴿ نُسِيرُ ﴾ « وترى » ، وهما مستقبلان ، لذلك .

(٢) سورة الكهف ٤٧

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة إبراهيم ٢١ .

## التضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف ، فأما في الأسماء فهو أن تضمَّن اسماً معنى اسم ؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً ، كقوله تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلاَّ أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾<sup>(١)</sup> ، ضمنَّ « حقيق » معنى « حريص » ليُفيد أنه محفوق بقول الحقِّ وحريص عليه .

وأما الأفعال فأنَّ تضمَّن فعلاً معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً ؛ وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف ، فيأتي متعلِّياً بحرف آخر ليس من عادته التمدى به ، فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ، ليصبح تعدّيه به .

واختلفوا أيُّهما أولى ؟ فذهب أهلُ القنَّة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى .

وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتعدّيته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أولى ؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر .

مثاله قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فضمنَّ « يشرب » معنى « يروى » ، لأنه لا يتعدى بالباء ، فلذلك دخلت الباء ، وإلا فـ « يشرب » يتعدى بنفسه ، فأريد باللفظ الشرب والرى معاً ، فجُمع بين الحقيقة والجاز في لفظ واحد .

وقيل : التجوِّز في الحرف ؛ وهو الباء ؛ فإنها بمعنى « من » .

وقيل : لا مجاز أصلاً ، بل العین هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء ؛

لا إلى الله نفسه ، نحو نزلت بعين ، فصار كقولہ : مكانا يشرب به .

وعلى هذا : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ مَفْازَةً مِنَ الْعَذَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قاله الراغب .

وهذا بخلاف الجواز ؛ فإن فيه المدلول عن مسما بالكلية ، ويراد به غيره ، كقولہ : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإنه استعمل « أراد » في معنى مقاربة السقوط ؛ لأنه من لوازم الإرادة ، وإن من أراد شيئاً فقد قارب فعله ، ولم يُرِدْ باللفظ هذا للمنى الحقيقي الذي هو الإرادة البتة . والتضمين أيضاً مجاز ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز مما ، والجمع بينهما مجاز خاص يسمونه بالتضمين ، تفرقة بينه وبين المجاز المطلق .

ومن التضمين قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّكْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ لأنه لا يقال : رقت إلى المرأة ؛ لكن لما كان بمعنى الإنهاء ساغ ذلك .

وهكذا قوله : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ وإنما يقال : هل لك في كذا ؛ لكن للمنى أدموك إلى أن تزكَّى .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فجاء بـ « من » ، لأنه ضمن التوبة معنى العفو والصفح .

وقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ وإنما يقال : خلوت به ، لكن ضمن « خَلَوْا » معنى « ذهبوا » وانصرفوا ، وهو معادل لقوله : ﴿ اقْتُوا ﴾ ؛ وهذا أولى من قول من قال : إن « إلى » هنا بمعنى الباء ، أو بمعنى « مع » .

وقال مكِّي : إنما لم تأت الباء ؛ لأنه يقال : خلوت به إذا سخرت منه ، فأتى به « إلى » لدفع هذا الوم .

(٢) سورة الكهف ٧٧

(٤) سورة التازمات ١٨

(٦) سورة البقرة ١٤

(١) سورة آل عمران ١٨٨

(٣) سورة البقرة ١٨٧

(٥) سورة النور ٢٥

وقوله : ﴿لَا تُؤَدُّنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل : الصراط منصوب على القبول به ، أى لأتؤمن لك صراطك ، أو لأملكته لهم ، و « أقدّم » وإن كان غير متعدّ ضمن معنى فعل متعدّ .

وقوله : ﴿وَلَا تُؤَدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ، ضمن « تُؤَدُّ » معنى « تنصرف » ، فعدى به « من » . قال ابن السجري : ومن زعم أنه كان حق الكلام ؛ « لا تُؤَدُّ عينك عنهم » بالنصب ؛ لأن « تُؤَدُّ » متعدّ بنفسه فباطل ، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد . وأنت لا تقول : جاوز فلان عينه عن فلان ، ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يضمنها محمولا أيضاً على : لا تنصرف عينك عنهم ، وإذا كان كذلك ، فالقى وردت به التلاوة من رفع العين بثول إلى معنى النصب فيها ؛ إذ كان « لا تُؤَدُّ عينك » بمنزلة « لا تنصرف » ومعناه لا تنصرف عينك عنهم ، فالقيل مسند إلى العين ، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : ﴿وَلَا تُصْجِكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ، أسند الإعجاب إلى الأموال ، والمعنى لا تُعْجَبْ بأموالهم .

وقوله : ﴿أَوْ لَتَمُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾<sup>(٤)</sup> ، ضمن معنى « لتدخلن » أو « لتصيرن » ؛ وأما قول شعيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا﴾<sup>(٥)</sup> فليس اعترافاً بأنه كان فيهم ، بل مؤول على مناسب . وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البعض إلى الجماعة ، أو قاله على طريق التشاكلة لكلامهم ، وهذا أحسن .

وقوله : ﴿أَلَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾<sup>(٦)</sup> ، ضمن « لا تشرك » معنى « لا تصدل » والعدل : التسوية ، أى لا تموتى به شيئاً .

(٢) سورة الكهف ٢٨

(٤) سورة إبراهيم ١٣

(٦) سورة الحج ٢٦

(١) سورة الأعراف ١٦

(٣) سورة التوبة ٨٠

(٥) سورة الأعراف ٨٩

وقوله: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup> ضَمَّنَ معنى «أناجوا» فندى بحرفه .

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ضَمَّنَ ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾

معنى «تخبر به» أو «لتعلم» ليفيد الإظهار معنى الإخبار؛ لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر .

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾<sup>(٣)</sup>، جوز الزمخشري نصب

﴿مَقَامًا﴾، على الظرف على تضمين ﴿يبعثك﴾ معنى «يقيمك» .

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، قال الفارسي: ومن قرأ «فَأَجْمِعُوا»

بالتقطع أراد فاجمعا أمركم وشركاءكم، كقوله:

• مُتَقَلِّبًا سَيْفًا وَرُمْحًا •

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، قال ابن سيده: عذاه: «من» لأنه

في معنى كشف الفزع .

وقوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، فإنه يقال: ذلّ له،

لا عليه، ولكنه هنا ضَمَّنَ معنى التعلف والتحنن .

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾<sup>(٧)</sup> ضَمَّنَ ﴿يُؤَلُّونَ﴾ معنى «يتمتعون»

من وطنهن بالألّة .

وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلَمٍ لَّا أَعْلَىٰ﴾<sup>(٨)</sup> أى لا يُصنّون .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٩)</sup>، أى أنزل .

﴿فَبِمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾<sup>(١٠)</sup>، أى أحلّ له .

(٢) سورة القصص ١٠

(٤) سورة يونس ٧١

(٦) سورة اللّٰه ٥٤

(٨) سورة الصّٰات ٨

(١٠) سورة الأَحْزَاب ٣٨

(١) سورة هود ٢٣

(٣) سورة الإسراء ٧٩

(٥) سورة سبأ ٢٣

(٧) سورة البقرة ٢٢٦

(٩) سورة القصص ٨٥

(وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) <sup>(١)</sup> أى عَمَّكَ .  
 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) <sup>(٢)</sup> أى لا يَرْضَى .  
 (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) <sup>(٣)</sup> ، أى أُنِيبُوا إِلَيْهِ وارجعوا .  
 (هَٰلِكَ عَنَّا سُلْطَانُنَا) <sup>(٤)</sup> ، أى زال .  
 (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) <sup>(٥)</sup> ، فإنه يقال : خالفت زيدا ، من غير  
 احتياج للتعدي به بالجار ؛ وإنما جاء محمولا على « ينصرفون » أو « يزيفون » .  
 ومثله تعدي « رحيم » بالباء فى نحو : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) <sup>(٦)</sup> حملا على  
 « رءوف » ، فى نحو : (رَمُوفٌ رَحِيمٌ) <sup>(٧)</sup> ، ألا ترى أنك تقول : رأفت به ،  
 ولا تقول : رحمت به ؛ ولكن لما واقعته فى اللفى تنزل منزلته فى التعدي .  
 وقوله : (إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ قَمِيرٌ) <sup>(٨)</sup> ، ضمن معنى « سائل » .  
 (الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ) <sup>(٩)</sup> ، قال الزخشرى : ضمن معنى « تحاملوا » ،  
 فعاده : « مَلَى » ، والأصل فيه « من » .

## تَسْمِيَّات

الأول : الأكثر أن يُرَاعَى فى التعدي ما ضمن منه ، وهو المحذوف لا المذكور ،  
 كقوله تعالى : (أَلَفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ) <sup>(١٠)</sup> ، أى الإفشاء .  
 وقوله : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) <sup>(١١)</sup> ، أى يروى بها ، وغيره مما سبق .

- (٢) سورة يونس ٨١
- (٤) سورة المائدة ٢٩
- (٦) سورة الأحزاب ٤٣
- (٨) سورة القصص ٢٤
- (١٠) سورة البقرة ١٨٧

- (١) سورة آل عمران ٥٥
- (٣) سورة فصلت ٦
- (٥) سورة النور ٦٣
- (٧) سورة التوبة ١٢٨
- (٩) سورة المطففين ٢
- (١١) سورة الصحر ٦

ولم أجد مراعاة للفظ به إلا في موضعين : أحدهما قوله تعالى : ﴿يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾<sup>(١)</sup> ، على قول ابن الضائع أنه ضمن «يقال» معنى «ينادى» و «إبراهيم» فاقب عن الفاعل ؛ وأورد على نفسه : كيف عدى باللام والنداء لا يمدى به ؟ وأجاب بأنه روعى الملفوظ به ؛ وهو القول ؛ لأنه يقال : قلت له .

الثاني : قوله : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِحَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فإنه قد يقال : كيف يمتلئ التكليف بالرضع ؟ فأجيب بأنه ضمن «حرّم» المعنى القنوى ، وهو المنع . فاعترض كيف عدى بـ «على» والمنع لا يمدى به ؛ فأجيب بأنه روعى صورة اللفظ .

\*\*\*

الثاني : أن التضمين يطلق على غير ما سبق ؛ قال القاضى أبو بكر فى كتاب «إيجاز القرآن»<sup>(٣)</sup> : هو حصول معنى فيه من غير ذكره باسم [أو صفة]<sup>(٤)</sup> هى عبارة عنه ، ثم قسمه إلى قسمين : أحدهما ما يفهم من البنية ، كقولك : معلوم ؛ فإنه يوجب أنه لا بد من عالم . والثانى من معنى العبارة [من حيث لا يصح إلا به]<sup>(٥)</sup> كالصفة ، فضارب يدل على مضروب . قال : والتضمين كله إيجاز ، قال : وذكر أن ﴿يَسْمُرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ من باب التضمين ؛ لأنه تضمن تعليم الاستفتاح فى الأمور باسمه على جهة التظيم لله تعالى ، أو التبرك باسمه .

\*\*\*

وذكر ابن الأثير فى كتاب «المعاني المبتدعة» : أن التضمين واقع فى القرآن خلافا لما أجمع عليه أهل البيان ؛ وجعل منه قوله تعالى فى الصفات : ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٦)</sup> .

\*\*\*

ويطلق التضمين أيضاً على إدراج كلام النير فى أثناء الكلام لتأكيد المعنى ،

(٢) سورة القصص ١٢

(٤) مشكلة من إيجاز القرآن

(١) سورة الأنبياء ٥٦

(٣) إيجاز القرآن ص ٤١٢ - ٤١٣

(٥) سورة الصفات ١٦٩

أو لترتيب النظم ؛ ويسمى الإبداع كإبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله تعالى حكاية عن قول للملائكة : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الْدِمَاءَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومثل ما حكاه عن الناقين : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ قَالُوا أَنْزِلْنَا مِنَّا سَفِينًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ومثله في القرآن كثير .

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية .

\*\*\*

ويقرب من التضمين في إيقاع فعل موقع آخر إيقاع الظن موقع اليعين في الأمل والحققة؛

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَطْلُونُ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

﴿ الَّذِينَ يَطْلُونُ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

﴿ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ <sup>(٨)</sup> .

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّنْ نَّجِيٍّ ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

وشرط ابن عطية في ذلك ألا يكون متعلقه حسياً ، كما تقول العرب في رجل يرى

حاضراً : أظن هذا إنساناً ، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحسّ بعد ، كالآيات السابقة .

(٢) سورة البقرة ١١

(٤) سورة البقرة ١١٣

(٦) سورة البقرة ٢٤٩

(٨) سورة ص ٢٤

(١) سورة البقرة ٣٠

(٣) سورة البقرة ١٣

(٥) سورة البقرة ٤٦

(٧) سورة الكهف ٥٣

(٩) سورة فصلت ٤٨



قال الراغب في « الترفية » : الظن إصابة المطلوب بضرب من الأمانة متردّد بين يقين وشك ، فيقرّب تارة من طرف اليقين ، وتارة من طرف الشك ، فصار أهل اللغة يفسّرونه بهما ، فحقّ رأيي إلى طرف اليقين أقرب استعماله « أن » للثقل والخفّة فيهما ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعُ بِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ومثي رأيي إلى الشك أقرب استعماله « أن » التي المعدومين من الفعل ، نحو ظننت أن يخرج . قال : وإنما استعمال الظن بمعنى العلم في قوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> لأمرين :

أحدهما : للتنبيه على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة ، كالظن في جنب العلم .

والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للذين والصدقين للمؤمنين بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، والظن متى كان عن أمانة قوية فإنه يمدح به ، ومتى كان عن تخمين لم يمدح ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> . وجوز أبو الفتح في قوله : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> أن يكون المراد بها اليقين ، وأن تكون على بابها ، وهو أقوى للمنى ، أى فقد يمنع من هذا التوهم ، فكيف عند تحقيق الأمر ، فهذا أبلغ كقوله : « يكفيك من شرّ سماعه » أى لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر وشدته لاجتنب للماضى ، فكيف عند تحقق الأمر ! وهذا أبلغ .

وقيل : آيات البقرة بمعنى الاعتقاد ، والباقي بمعنى اليقين ، والفرق بينهما أن الاعتقاد قبل التشكيك بخلاف اليقين ، وإن اشتركا جميعاً في وجوب الجزم بهما .

(١) سورة الأعراف ١٧١

(٢) سورة المجرات ١٥

(٣) سورة المطففين ٤ ، ٥

(٤) سورة البقرة ٢٤٩

(٥) سورة البقرة ٤٦

(٦) سورة المجرات ١٢

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقد جاء عكسه وهو التجوز عن الظن بالعلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ولم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظاهرياً .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وكان يحكم بالظن وبالظاهر .

وقوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> وإنما يحصل بالامتحان في الحكم ، ووجه

التجوز أن بين الظن والعلم قدراً مشتركاً وهو الرجحان ؛ فـتجوز بأحدهما عن الآخر .

---

(١) سورة يوسف ٨١

(٢) سورة النحمة ١٠

(٣) سورة الحاقة ٢٠

(٤) سورة الإسراء ٣٦

## وضع الخبر موضع الطلب في الأسماء النسي

كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ أَوْلَادَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ...﴾<sup>(٥)</sup> الآية؛ ولهذا جعلها الطاء

من أمثلة الواجب.

﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾<sup>(٦)</sup> على قراءة نافع، أى لا ترثوا ولا تنسقوا.

﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup> قالوا: هو خير، وتأويله نهي، أى لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، كقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>(٨)</sup> وكقوله: ﴿لَا تُصَارُ وَالِدَةٌ

بِوَلَدِهَا﴾<sup>(٩)</sup>، على قراءة الرفع. وقيل: إنه نهي مجزوم - أعنى قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ - ولكن

ضُمَّتْ لِمَتَابَعَةِ الْمُضْمِرِ، كقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهِ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حَرَمٌ».

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(١٠)</sup>، ضَمَّنْ

«لا تعبدون» معنى «لا تعبدوا» بدليل قوله بعده: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(١١)</sup>، وبه يزول

الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر؛ لكن إن كان «حسنا» معمولا لأحسنوا، فمطفُ

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٤) سورة يوسف ٩٢

(٦) سورة البقرة ١٩٧

(٨) سورة الواقعة ٨٩

(١٠) سورة البقرة ٨٣

(١) سورة البقرة ٢٣٣

(٣) سورة الرعد ٢٤

(٥) سورة المائدة ٨٩

(٧) سورة البقرة ٢٧٢

(٩) سورة البقرة ٢٣٣

« قولوا » عليه أولى لاتفاقهما لفظا ومعنى ، وإن كان التقدير و « يحسنون » فهو الذى قبله ، والعطف على التريب أولى . وقيل : « لَا تَعْبُدُون » أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهايم أن للنهى يسارع إلى الانتهاء ، فهو مخبر عنه . وكذا قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ »<sup>(١)</sup> فى موضع « لا تسفكوا » .

وقوله فى سورة الصف : « وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ »<sup>(٢)</sup> عطفا على قوله : « تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ »<sup>(٣)</sup> ، ولهذا جزم الجواب .

وقوله : « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ »<sup>(٤)</sup> إلى قوله : « وَأَمْتَازُوا الْيَوْمَ »<sup>(٥)</sup> ؛ فإن اللام يشتمل على تضمين « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ » معنى الطلب ، بدليل ما قبله : « فَالْيَوْمَ لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا »<sup>(٦)</sup> ، فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفا بالفاء ، على قوله : « إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ »<sup>(٧)</sup> وعام لجميع الخلق لمعوم قوله : « لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا »<sup>(٨)</sup> ، وإن الخطاب الوارد به له على سبيل الالتفات ، وهو قوله : « وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »<sup>(٩)</sup> ، خطاب عام لأهل الحشر ، فيكون قوله : « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ »<sup>(١٠)</sup> إلى قوله : « أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ »<sup>(١١)</sup> مقبلا بهذا الخطاب لكونه تفصيلا لما أجمله : « وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »<sup>(١٢)</sup> ، وإن التقدير أن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، ثم جاء فى التفسير أن قوله هذا : « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ »<sup>(١٣)</sup> يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة ، بتزليل ما هو للتكوير من نزلة الكائن ، أى إن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، يؤول حالهم

(٢) سورة الصف ١٣

(٤) سورة يس ٩

(٦) سورة يس ٣

(١) سورة البقرة ٨٤

(٣) سورة يس ٥٥

(٥) سورة يس ٤

(٧) سورة يس ٥٥

إلى أسعد حال ، والتقدير حينئذ « فامتازوا عنكم إلى الجنة » ، هكذا قرره السكاكني في « اللفتاح » .

قيل : وفيه نظر ؛ لأنها إذا كانت طلبية ومعناها أمر للمؤمنين بالذهاب إلى الجنة ، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل الخسر .

ولهذا قال بعضهم : إن تضمن أصحاب أهل الجنة للطلب ليس المراد منه أن الجنة نفسها طلبية ، بل معناه أن يقدر جملة إنشائية بعدها ، بخلاف قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإنه يقال : كيف جاء الجزم في جواب الخبر ؟ وجوابه أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك ، إذ المعنى : آمنوا وجاهدوا .

وقال ابن جني : لا يكون « يغفر » جوابا لـ « هل أدلكم » وإن كان أبو المباس قد قاله ، لأن للنفرة تحصل بالإيمان بالله دلالة . انتهى . وقد يقال الدلالة : سبب السبب . إذا علمت هذا ؛ فإنما يحى الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته ؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد ، وهذا هو المشهور .

وفيه طريقة أخرى نقلت عن القاضي أبي بكر وغيره ؛ وهي أن هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية ؛ ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه ليس خبرا عن الواقع ؛ حتى يلزم ما ذكره من الإشكال ؛ وهو احتمال عدم وقوع خبره ؛ فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع ؛ أما الخبر عن الحكم فلا ؛ لأنه لا يقع خلافه أصلا .

## وضع الطلب موضع الخبر

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَالْقِيَاسُ عَصَاكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> قوله : ﴿ وَأَلْقِ ﴾ معطوف على قوله . ﴿ أَنْ بُورِكَ ﴾ ذ « ألقى » وإن كان إنشاء لفظاً ، لكنه خير معنى . وللمنى : فلما جاءها قيل بورك من في النار . وقيل : ألقى .

والوجوب لهذا قول النحاة إن « أن » هذه مفسرة لا تأتي إلا بمفضل في معنى القول ، وإذا قيل : كتبت إليه أن أرجع ، وناداني أن قم ، كلفه بمنزلة : قلت له ، وقال لي قم . كذا قاله صاحب الفتاح .

وما ذكره من أن « بورك » خبرية لفظاً ومعنى ممنوع ؛ لجواز أن يكون دعاء وهو إنشاء ؛ وقد ذكر هذا التقدير الفارسي وأبو البقاء ، فكون الجملتان متفتحتين في معنى الإنشاء ؛ فتكون مثل ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نَرُودُ وَلَا نَكْذِبُ ﴾ <sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛

فإنه يقال : كيف ورد الثمن على التكذيب وهو إنشاء ؟

(٢) سورة التوبة ٣ -

(٤) سورة النمل ٨ - ١٠

(١) سورة مريم ٧٥

(٣) سورة البقرة ١٢٥

(٥) سورة الأنعام ٢٧ ، ٢٨

وأجاب الزحشرى أنه ضمن معنى العدة، وأجاب غيره بأنه محمول على المعنى من الشرط والخبر؛ كأنه قيل: إن زدنا لم نكذب وأمتنا. والشرط خبر، فصح ورود الكذب<sup>(١)</sup> عليه.

وقوله: ﴿أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أى ونحن حاملون، بدليل قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> والكذب إنما يرد على الخبر.

وقوله: ﴿أَتَمِيعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾<sup>(٤)</sup>؛ تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم، لأن الله تعالى لم ينجب منهم، ولكنه دلّ للكافرين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتمجب منه. وتما يدل على كونه ليس أمراً حقيقياً ظهور القاعل الذى هو الجار والمجرور فى الأول، وفضل الأمر لا يبرز فاعله أبداً.

ووجه التجوز فى هذا الأسلوب أن الأمر شأنه أن يكون ما فيه داعية للأمر؛ وليس الخبر كذلك، فإذا مر عن الخبر بلفظ الأمر أشعر ذلك بالذاعية، فيكون ثبوته وصدقه أقرب. هذا بالنسبة لكلام العرب لا لكلام الله؛ إذ يستحيل فى حقه سبحانه الذاعية للفعل.

بقى الكلام فى أيهما أبلغ؟ هذا القسم أو الذى قبله؟ قال الكواشى فى قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾<sup>(٥)</sup>، الأمر بمعنى الخبر؛ لضمينه الزوم؛ نحو إن زرتنا فلتكرمك، يريدون تأكيد إعجاب الإكرام عليهم. وقال الزحشرى فى قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٥)</sup>، ورود الخبر؛ للراد الأمر أو النهى، أبلغ من صريح الأمر والنهى؛ كأنه سورع فيه إلى الامتثال والخبر عنه.

(١) حاشية م: الكذب على التثنية.

(٢) سورة النكيت ١٢

(٣) سورة مريم ٧٥

(٤) سورة مريم ٤٠

(٥) سورة البقرة ٨٣

وقال النووي في شرح « مسلم » في باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها : وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يَخْطُبُ الرجلُ على خِطْبَةِ أخيه ، وَلَا يَسُومُ على سوم أخيه » ، هكذا هو في جميع النسخ ، « ولا يسوم » بالواو « ولا يخطب » بالرفع ، وكلاهما لفظه لفظ الخبر ؛ والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي ، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه ، والنهي قد يقع مخالفة ، فكان المعنى : عاملوا هذا النهي معاملة خير الحتم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ولا تسأل المرأة طلاق أختها » يجوز في « تسأل » الرفع والكسر<sup>(١)</sup> ، والأول على الخبر الذي يراد به النهي ، وهو المناسب لقوله قبله : « لا يَخْطُبُ وَلَا يَسُومُ » ، والثاني على النهي الحقيقي . انتهى .

---

(١) حامية م : « أي لانتفاء الساكنين وهو مجزوم بكون مفعول » .



## وضع البند، موضع التعجب

كقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾<sup>(١)</sup> ، قال القراء : معناه : فيالها من حسرة ! والحسرة في اللغة أشد الندم ؛ لأن القلب يبقى حسيراً .

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب « المبتدأ » عن البصريين أن هذه من أصعب مسألة في القرآن ، لأن الحسرة لا تنادى ، وإنما تنادى الأشخاص ؛ لأن فائدته تنبيهه ، ولكن المعنى على التعجب ، كقوله : يا عجبا لم فلت ! ﴿ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهو أبلغ من قولك : العجب . قيل : فكأن التقدير يا عجبا احضر ، يا حسرة احضري ! وقرأ الحسن : ﴿ يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ ﴾ .

ومنهم قال : الأصل « يا حسرتاه » ثم أسقطوا الماء تخفيفاً ، ولهذا قرأ عاصم ﴿ يَا أَسْفَاهُ عَلَى يَوْسَفَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن جني في كتاب « القمر » معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَا بُشْرَى ﴾<sup>(٤)</sup> ، فقالوا : معنى النداء فيما لا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة ؛ فإذا قلت : يا عجبا ! فكأنك قلت : اعجبوا ، فكأنه قال : يا قوم أبشروا .

قال أبو الفتح في « المخاطريات » : وقد توضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع

(٢) سورة الزمر ٥٦

(٤) سورة يوسف ١٩

(١) سورة يس ٣٠

(٣) سورة يوسف ٨٤

للمفعول به ، كقوله تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ <sup>(١)</sup> بعد قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ  
الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، المعنى : ولتتعضوا بها ، عطفاً على قوله : ﴿ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾  
وعلى هذا قال : ﴿ وَتَقْبَلُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وكذلك قوله : ﴿ وَمِنْهَا  
تَأْكُلُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى ولتأكلوا منها . ولذلك أتى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ،  
فحطفت الجملة من الفعل ومرفوعه على للمفعول له .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، أى ولأنى  
رَبُّكُمْ فأتون ، فوضع الجملة من المبتدأ واخبر موضع المفعول له .  
وبهذا يبطل تعلّق مَنْ تعلق على ثبوته فى قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وقوله :  
إِن هَذَا لَيْسَ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِبْتِدَاءِ لِمُجَوَّزِ تَقْدِيرِ : وَأَذَانٌ بَأَنَ اللَّهِ بَرِيءٌ ، وبأن  
رسوله كذلك .

## وضع جمع القلة موضع الكثرة

لأن الجوع يقع بعضها موقع بعض ، لا شراً کہا فی مطلق الجمعية ، كتوبه تعالى :  
﴿وَمُمْ فِي الْفُرُقَاتِ آمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، فإن الجوع بالآلف والتاء للقلة ، وغرف الجنة لا تعمى .

وقوله : ﴿مُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ، وَرَتَّبُ النَّاسِ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنَ  
العشرة لا محالة .

وقوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿وَأَسْتَفِيقُنَّهَا أَنْفُسُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، وهو كثير .

وقيل : سبب ذلك في الآية الأولى دخول الألف واللام الجنسية؛ فيكون ذلك تكثيراً  
لها ، وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة ، إشارة إلى قلة من  
يكون فيها ، ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا للؤمنون !

وقد نص سبحانه على قلة من الإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ، فيكون التكثير الداخل في قوله : ﴿وَمُمْ  
فِي الْفُرُقَاتِ﴾<sup>(٦)</sup> ، لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة ؛ ولكن من جهة  
ما اقتضته الألف واللام للجنس .

واعلم أن جوع التكثير الأربعة وجمعي التصحيح - أعنى جمع التأنيث وجمع  
التذكير - كل ذلك للقلة ؛ أما جوع الكسير فبالوضع ، وأما جمعا التصحيح ؛ فلا نهما

(٢) سورة آل عمران ١٦٣

(٤) سورة النمل ١٤

(٦) سورة سبأ ٣٧

(١) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة الزمر ٤٢

(٥) سورة م ٢٤

أقرب إلى الثانية ؛ وهي أقل العدد ، فوجب أن يكون الجمع للشابه لها بمنزلة في القلة ، وما علتها من الجوع فيرد تارة للقلة وتارة للكثرة بحسب القرائن ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ أَلَا لَهُمْ هُمُ النَّاسِدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . ﴿ مَسْهَرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾<sup>(٧)</sup> . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾<sup>(٨)</sup> . ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾<sup>(٩)</sup> . ﴿ فَقَالَ أَنْثُوْنِي بِأَتْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> . ﴿ يَسْمِعُهُمْ وَأُبْصَرِهِمْ ﴾<sup>(١١)</sup> . ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾<sup>(١٢)</sup> . ﴿ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ﴾<sup>(١٣)</sup> . ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾<sup>(١٤)</sup> . ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾<sup>(١٥)</sup> . ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾<sup>(١٦)</sup> . ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ﴾ . ﴿ وَأَتَقُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(١٧)</sup> . ﴿ بِالْغَوْرِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾<sup>(١٨)</sup> . ﴿ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاحُهُنَّ ﴾<sup>(١٩)</sup> ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾<sup>(٢٠)</sup> . فإن قلت : ليس هذا منه ، بل هي القلة ، لأنها

خمس .

قلت : لو كان كذلك لما صح : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾<sup>(٢٠)</sup> .

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| (١) سورة الفاتحة ٧   | (٢) سورة البقرة ٢    |
| (٣) سورة البقرة ٥    | (٤) سورة البقرة ١١   |
| (٥) سورة البقرة ١٢   | (٦) سورة البقرة ١٤   |
| (٧) سورة البقرة ١٦   | (٨) سورة البقرة ٢٨   |
| (٩) سورة البقرة ٣١   | (١٠) سورة البقرة ٢٠  |
| (١١) سورة البقرة ٤٤  | (١٢) سورة الطلاق ١   |
| (١٣) سورة التوبة ٧٠  | (١٤) سورة البقرة ٨٥  |
| (١٥) سورة البقرة ١٥٤ | (١٦) سورة البقرة ١٩٧ |
| (١٧) سورة المائدة ٨٩ | (١٨) سورة البقرة ٢٣٢ |
| (١٩) سورة البقرة ٢٣٨ | (٢٠) سورة البقرة ٢٣٦ |

﴿فِيَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾<sup>(١)</sup>؛ فالمراد منها واحد، والجواب عن أحدهما الجواب عن الآخر.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ الْقَمَرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنْ نَبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> الآية. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية. ولا تحصى كثرة

ومن شواهد مجيء جمع القلة مراداً به الكثرة قول حسان رضى الله عنه:  
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرْقُ يُلَمَعْنَ فِي الصُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ مَجْدَةٍ دَمًا<sup>(٦)</sup>  
وحكى أن النابغة قال له: قد قلت جفتك وأسيفك<sup>(٧)</sup>.

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة فيما له جمع كثرة، وفيما لا جمع له كثرة في كلامهم. وصححها بعضهم قال: يعنى أنه كان ينبغي لحسان تجنب اللفظ الذى أصله أن يكون في القلة، وإن كان جائزاً في اللسان وضعه لتقريبه إذا كان للوضع موضع مدح، أو أنه وإن كانت القلة بمعنى الكثرة، لكن ليس في كل مقام. ومن المشكل قوله تعالى: ﴿فِيضَاعُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾<sup>(٨)</sup> فإن «أضعاظاً» جمع قلة فكيف جاء بعده كثرة!

والجواب أن جمع القلة يستعمل مراداً به الكثرة، وهذا منه.

## تنبيهات

الأول: إنما يسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة، فإن لم يكن فلا،

- |   |                      |
|---|----------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٣٦   | (٢) سورة البقرة ٢٦٦  |
| (٣) سورة البقرة ٢٧١   | (٤) سورة آل عمران ١٧ |
| (٥) سورة الأحزاب ٣٥   | (٦) ديوانه           |
| (٧) في الموضع ٦٠: أنت شاعر، ولكنك أقلت أجناتك وأسيفك، وفخرت بين ولدت؛ ولخضر بن ولف. | (٨) سورة البقرة ٢٤٥  |

كقوله : ﴿ أَبَآئَنَا مَتَّوَدَاتٍ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ « أَبَآئَنَا » أفعال مع أنها غلاتون ، لكن ليس اليوم جمع غيره ؛ ومن ثم أفرد السمع وجمع الأبصار في قوله : ﴿ وَكَلَىٰ تَمَعِيمٌ وَكَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> لأن « فعلا » ساكن الدين صحيحها لا يجمع على « أفعال » غالبا ؛ وليس له جمع تكسير ؛ فلما كان كذلك اكتفى بدلالة الجنس على الجمع .

وجعل بعضهم من هذا « أنفسكم » على كثرتها في القرآن ؛ وليس كذلك ، فقد جاء ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ﴾ ، وحكمته هنا ظاهرة ، لأن الراد استيعاب جميع الخلق في المحشر .

ونظيره : ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>(٣)</sup> لإمكان « الثمار » وليس رأس آية .  
ومنه : ﴿ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ ﴾<sup>(٤)</sup> لإمكان « آي » ، ولا يقال إنه لطلب المشاكلة فقد قال تعالى بعده : ﴿ وَأُخْرَىٰ مُتَشَابِهَاتٍ ﴾<sup>(٥)</sup> ، فدل على عدم المشاكلة لإمكان « أخريات » .  
وكذلك قوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وليس رأس آية ، ولا فيه مشاكلة ، لإمكان « الأنهر » .

وقد جاء أنفس لقله ، كقوله : ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقيل : الراد نفسان من باب : ﴿ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾<sup>(٨)</sup> .

\*\*\*

الثاني : إنما يـ في المنكر أما المرف فيستغنى بالمعوم عن ذلك ، وبهذا يخلدش في كثير مما سبق جملة من هذا النوع . وقد قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>(٩)</sup> :  
إنه جمع قلة ، وضع موضع جمع الكثرة<sup>(١٠)</sup> ، ورد عليه بأن « أل » في « الثمرات » للمعوم فخصير كالثمار ، ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة ، وكذلك يتحسان السابق فإن الجلفات معرفة بـ « أل » « وأسافنا » مضاف ، ليم .

(٢) سورة البقرة ٧  
(٤) سورة آل عمران ٧  
(٦) سورة آل عمران ٦١  
(٨) سورة البقرة ٢٢

(١) سورة البقرة ١٨٤  
(٣) سورة البقرة ٢٦٦  
(٥) سورة البقرة ٢٥  
(٧) سورة النحر ٤  
(٩) الكشاف ١ : ٧١

## تَكْرِيبُ الْوُثْثِ

يكثر في تأويله بمذكر ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
على تأويلها بالوَعظ .

وقوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، على تأويل البلدة بالسكان ، وإلا لقال :  
« مَيِّتة » .

وقوله : ﴿ فَمَا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَتْ هَذَا رَدِّي ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى الشخص أو الطالع .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أى بيان ودليل وبرهان .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ولمّا يترك التأييث كما يترك في صفات للذكر ، لا كما في قولهم : امرأة ممطار ؛ لأن  
السما بمعنى المطر ، مذكر ، قال :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا <sup>(٦)</sup>

ويجمع على أسمية وسمى ، قال السجّاج :

• تَلَقَّهُ الْأَرْوَاحُ وَالسَّمَى • <sup>(٧)</sup>

وقوله : ﴿ وَإِذَا حَصَرَ النَّفْسَ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، إلى قوله : ﴿ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، ذكر الضمير ؛

لأنه ذهب بالنفسة إلى المقسوم .

(١) سورة ق ١١

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٤) سورة الأعراف ٨٥

(٣) سورة الأنعام ٧٨

(٦) لحاوية بن مالك بن جعفر ؛ للفضليات

(٥) سورة الأنعام ٦

ص ٣٥٩ ؛ والبيت من شواهد التلخيص ؛ ونسبه بعض شراحه إلى جرير ، وليس له .

(٨) سورة النساء ٨

(٧) القيان ١٩ : ١٢٣ ، ونسبه إلى رؤبة .

وقوله : ﴿وَأَنْ لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُظَافِرُكُمْ إِنَّمَا فِي بَطُونِهِ﴾<sup>(١)</sup> ، ذهب بالأصم إلى معنى النمل ، أو حمله على معنى الجمع .

وقوله : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولم يقل «قريبة» قال الجوهري : دُكِّرَتْ<sup>(٣)</sup> على معنى الإحسان . وذكر الفراء أن العرب تفرق بين النسب ، والقرب من المكان ، فيقولون : هذه قريقتي من النسب ، وقريبي من المكان ، فملوا ذلك فرقاً بين قرب النسب والمكان .

قال الزجاج : وهذا غلط ؛ لأن كل ما قُرب من مكان ونسب ، فهو جار على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث ؛ يُريد أنك إذا أردت القرب من المكان ، قلت : زيد قريب من عمرو ، وهند قريبة من الصباس ، فكذا في النسب .

وقال أبو عبيدة<sup>(٤)</sup> : ذكر «قريب» لتذكير المكان ، أى مكاناً قريباً . وردّه ابن السجري بأنه لو صح لنصب «قريب» على الظرف .

وقال الأخفش : المراد بالرحمة هنا اللطف ؛ لأنه قد تقدم ما يقتضيه ، فحُمل المذكر عليه .

وقال الزجاج : لأن الرحمة والفقران بمعنى واحد ؛ وقيل : لأنها والرحم سواء . ومنه : ﴿وَأَقْرَبُ رُحْمًا﴾<sup>(٥)</sup> ، فحملوا الظاهر على المعنى ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾<sup>(٦)</sup> .

وقيل : الرحمة مصدر ، والمصادر كما لا تجمع لاتوئت .

وقيل : «قريب» على وزن «فيل» و «فيل» يستوى فيها المذكر والمؤنث حقيقةً كان أو غير حقيقى . ونظيره قوله تعالى : ﴿وَهِيَ رَحِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup> .

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(١) سورة النحل ٦٦

(٣) الصحاح ١ : ١٩٨ ؛ بصرف في العبارة .

(٥) سورة الكهف ٨١

(٤) الظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢١٦

(٧) سورة يس ٧٨

(٦) سورة الكهف ٩٨



وقيل : من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، مع الالتفات إلى المحذوف ، فكانه قال : وإن مكان رحمة الله قريب ، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره .

وقيل : من حذف للوصف وإقامة الصفة مقامه ، أى إن رحمة الله شئ قريب أو لطيف ، أو يرّ أو إحسان .

وقيل : من باب إكساب للمضاف حكم المضاف إليه ؛ إذا كان صالحا للحذف والاستغناء عنه بالثاني ، والمشهور في هذا تأنيث المذكر لإضافته إلى مؤنث ، كقوله : مَشَيْنَ كما اهْتَرَزَتْ رِمَاحُ تَسْفَتِ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ التَّوَّاسِمِ<sup>(١)</sup> فقال : « تسفت » والفاعل مذكر ؛ لأنه اكتسب تأنيثا من الرياح ، إذ الاستغناء عنه جائز ، وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى للمضاف تأنيثا لم يكن له ، فلأن تعطيه تذكيرا لم يكن له - كما في الآية الكريمة - أحق وأولى ؛ لأن التذكير أولى والرجوع إليه أصهل من الخروج عنه .

وقيل : من الاستغناء بأحد اللذكورين لكون الآخر تبعاً له ، ومعنى من معانيه . ومنه في أحد الوجوه قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فاستغنى عن خبر الأعتاق بخبر أصحابها ؛ والأصل هنا إن رحمة الله قريب ، وهو قريب من المحسنين ، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الوجود ، وسوغ ظهور ذلك للمعنى . ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُذَرِّكَ لَمَلَّ السَّاعَةُ قَرِيبٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال البنوي : لم يقل « قريبة » لأن تأنيثها غير حقيق ، ومجازها الوقت .

(٢) سورة الشعراء ٤

(١) البان ١٧ : ٣٩٣ ، بدون نبرة .

(٣) سورة الثورى ١٧

وقال الكسائي: إتيانها قريب .

وقيل في قوله تعالى: ﴿ يَرْجِعْ صَرَصِرٌ ﴾<sup>(١)</sup>، ولم يقل: « صرصرة » كما قال :  
﴿ يَرْجِعْ صَرَصِرٌ عَاتِيَةً ﴾<sup>(٢)</sup> لأنَّ الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به  
غيرها، فأشبهه باب « حائض » ونحوه ؛ بخلاف « عاتية » فإن غير الريح من الأسماء  
للؤتة يوصف به .

وأما قوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>، ففي تذكر « منفطر » خمسة أقوال :  
أحدها: للفراء، أن السماء تذكر وتوث، فجاء « منفطر » على التذكير .  
والثاني: لأبي على أنه من باب اسم الجنس الذى بينه وبين واحده التاء ، مفرده  
سماء، واسم الجنس يذكر ويؤنث ، نحو: ﴿ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
والثالث: للكسائي، أنه ذكر حملا على معنى السقف .

والرابع: لأبي على أيضا على معنى النسب؛ أى ذات انقطاع؛ كقولهم: امرأة مريض،  
أى ذات رضاع .

والخامس: للزحشرى، أنه صفة تلعب محذوف مذكر، أى شئ منفطر .

وسأل أبو عثمان اللزاني بحضرة للتوكل قوما من النحويين ؛ منهم ابن السكيت  
وأبو بكر بن قادم عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَنِيًّا ﴾<sup>(١)</sup>: كيف جاء بنير هاء .  
ونحن نقول: امرأة كريمة، إذا كانت هى الفاعل وليست بمنزلة « القتل » التى هى بمعنى  
« المفعول » ؟ فأجاب ابن قادم وخط، فقال له للتوكل: أخطأت، قل يا بكر - للزاني،  
قال: « بنى » ليس لـ « فصيل » وإنما هو « فحول » والأصل فيه « بنوى »، فلما التقت  
واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو فى الياء، فقيل: « بنى » كما تقول: امرأة

(٢) سورة الزمل ١٨

(٤) سورة مريم ٢٨

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة القمر ٢٠

صبور ، بغير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة ؛ فهذا حكم « قول » إذا عدل عن فاعله ، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء ، كما قال :

• منها اثنتان وأربعون حَلُوبَةً<sup>(١)</sup> •

بمعنى « مخلوبة » حكاه التوحيدى فى « البصائر » .

وقال البغوى فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُحِبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولم يقل « رميمة » ، لأنه معدول عن فاعله ، وكلا كان معدولا عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعله ، كقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَفِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن « باغية » .

وقال الشريف المرتضى<sup>(٤)</sup> فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَزِمَ رَبُّكَ وَذَلِكَ خَلْقَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> إن الضمير فى ذلك يعود للرحمة ، وإنما لم يقل و « لتلك »<sup>(٦)</sup> ؛ لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى ، كقوله تعالى : ﴿ هَذِهِ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى ﴾<sup>(٧)</sup> ولم يقل « هذه » ؛ على أن قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ رَزِمَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، كما يدل على الرحمة يدل على « أن يرحم » ويجوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم ، والتذكير فى موضعه .

قال : ويجوز أن يكون قوله : ﴿ وَذَلِكَ خَلْقَهُمْ ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان ، وكونهم فيه أمة واحدة ، ولا محالة أنه لهذا خلقهم .

ويطابق هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٩)</sup> ، قال : فأما قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ فمعناه الاختلاف فى الدين والنهاب عن الحق فيه

(٢) لنترة من اللقطة ؛ وبجزة :

• سُودًا كُتُفَاغِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ •

(٣) سورة مريم ٢٨

(٢) سورة يس ٧٨

(٤) أمالى للمرتضى ١ : ٧٠ ؛ مع تصرف واختصار .

(٦) فى الأصول : « وتلك » ، وصوابه من الأصل

(٥) سورة هود ١١٨ ، ١١٩

(٨) سورة القوايت ٥٦

(٧) سورة الكهف ٩٨

بالهوى والشبهات . وذكر أبو مسلم<sup>(١)</sup> بن بحر فيه معنى غريباً ، قال : معناه أن خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم في الكفر ، لأنه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً ، وقولك<sup>(٢)</sup> اختلفوا كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، وقولهم : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفضله ما اختلف المصران ، [ والجديدان ]<sup>(٣)</sup> ، أى جاء كل واحد منهم بعد الآخر .

واختلف في قوله : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، قال الكسائي ، أى من بطون ما ذكرنا .

وقال الفراء : ذَكَرَ لأنه ذهب إلى اللحن ؛ يعنى معنى النعم ، وقيل : الأنعام تذكر وتؤنث .

وقال أبو عبيدة : أراد اليمض ، أى من بطون أيها كان ذا لبن<sup>(٥)</sup> .

وأنكر أبو حاتم تذكير الأنعام ، لكنه أراد معنى النعم .

(١) هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ، أحد للفنانيين على مذهب المعتزلة ؛ توفي سنة ٢٧٠  
(٢) الأصول : « قوله » ، وصوابه من الأمل . (٣) من الأمل .  
(٤) سورة النحل ٦٦ (٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٦٢

## تأنيث المذكر

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُفُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا ﴾<sup>(١)</sup>؛ فأنت «الفردوس»، وهو مذكر، حملا على معنى الجنة .

وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فأنت «عشر» حيث جردت من الماء مع إضافته إلى الأمثال ، وواحدما مذكر ، وفيه أوجه :

أحدها : أنت لإضافة الأمثال إلى مؤنث ؛ وهو ضمير الحسنة ، وللضاف يكتب أحكام المضاف إليه ، فتكون كقوله : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والثاني : هو من باب مراعاة المعنى ؛ لأن الأمثال في المعنى مؤنثة ؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة ، فلما أريد توكيد الإحسان إلى المطيع ، وأنه لا يضيع شيء من عمله ؛ كأن الحسنة المنتظرة واقعة ، جعل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع ، وإشارة إليه ، كما جعلت الماء في قولهم : راوية وعلامة ، تنبيها على المعنى للمؤنث للراد في أنفسهم ، وهو النافية والتهاية ؛ ولذلك أنت للمثل هنا توكيدا لتصوير الحسنة في نفس المطيع ؛ ليكون ذلك أذمى له إلى الطاعة ، حتى كأنه قال : « فله عشر حسنات أمثالها » حذف وأقيمت صفت مقامه ، وروى ذلك المحذوف الذي هو المضاف إليه ، كما يراعى المضاف في نحو قوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجْجٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى « أوكذى ظلمات » ، وراعى في قوله : ﴿ يَنْشَأُ مَوْجٌ ﴾ ، وهذا الوجه هو الذى عول عليه الزمخشري ، ولم يذكر سواه .

وأما ابن جني فذكر في « المحتسب » الوجه الأول ، وقال : فإن قلت : فهلا حملته

(٢) سورة الأنعام ١٦

(٤) سورة النور ٤٠

(١) سورة المؤمن ١١

(٣) سورة يوسف ١٠

على حذف للوصوف ، فكأنه قال : « فله عشر حسنات وأمثالها » ؟ قيل : حذف وإقامة للوصوف مقامه ليس بمستحسن في التماس ؛ وأكثر ما أتى في الشعر ، ولذلك حل « دانية » من قوله : « وَدَانِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا »<sup>(١)</sup> ؛ على أنه وصف جنة أو « وجنة دانية » عطف على « جنة » من قولهم : « وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً »<sup>(٢)</sup> ؛ لما قدر حذف للوصوف وإقامة الصفة مقامه ، حتى عطف على قوله : « مُتَكَيِّتِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ »<sup>(٣)</sup> فكأنت حالا مطلوبة على حال .

وفي « كشف المشكلات »<sup>(٤)</sup> للأصبهاني . حذف للوصوف هو اختيار سيبويه ، وإن كان لا يرى حسن « ثلاثة مسلمين » ، بحذف للوصوف . وقوله تعالى حكاية عن لقمان : « يَا بُنَيَّ إِنِّي إِنَّمَا أَنْتَ مُتَقَالٌ حَيَّةٌ »<sup>(٥)</sup> فأتى القمل المسند لـ « متقال » وهو مذكر ، ولكن لما أضيف إلى « حبة » اكتسب منه التأنيث ، فساغ تأنيث فعله .

وذكر أبو البقاء في قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »<sup>(٦)</sup> أن التأنيث في « ذائقة » باعتبار معنى « كل » لأن معناها التأنيث ، قال : لأن كل نفس نفوس ، ولو ذكر على لفظ « كل » جاز<sup>(٧)</sup> - يعني أنه لو قيل : كل نفس ذائق ، جاز . وهو مردود ؛ لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه « كل » إذا كانت نكرة ، ولا يجوز أن يعتبر كل .

(١) سورة النهر ١٢  
(٢) ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٩٥  
(٣) سورة آل عمران ١٨٥

(١) سورة النهر ١٤  
(٢) سورة النهر ١٣  
(٣) سورة لقمان ١٦  
(٤) إجماع ما من به الرحمن ١ : ٩٤

وقوله تعالى : ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ عَوْدَ الضمير إلى الإبداء ؛ بدليل قوله : ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْنِسُوا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فذكر الضمير المائد على الإخفاء ، ولو قصد الصدقات لقال : « هِيَ » ؛ وإنما أنت « هِيَ » والى عاد إليه مذكّر ؛ على حذف مضاف ، أى وإبدائها ثم ما هـ ، كقوله : القرية أسألهما .

ومنه ﴿ سَعِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> وهو مذكر ، ثم قال : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ فعله على النار .  
وأما قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
فقال : الضمير عائد على الآيات للتعلمة في اللفظ .

وقال البغوي : إنما قال : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ ، بالثانيث ، لأنه أجرى على طريق جمع التكسير ، ولم يجر على طريق التثنية للذكر على اللؤث ؛ لأنه فيها لا يغل .  
وقيل في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> : إن المراد آدم فأثته ردًا إلى النفس . وقد قرئ شاذًا « من نفس واحد » .

وحكى الثعلبي في تفسيره<sup>(٦)</sup> في سورة « اقرب » بإسناده إلى اللبرد ؛ سئل عن ألف مسألة ، منها : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ ﴾<sup>(٨)</sup> وقوله : ﴿ أُعْجَازُ نَحْلٍ خَازِيَةٌ ﴾<sup>(٩)</sup> و ﴿ كَانَتْهُمْ أَهْجَازُ

(١) سورة البقرة ٢٧١

(٢) سورة الفرقان ١١ ، ١٢ ، والآيات : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَنَفُّسًا وَزَفِيرًا . ﴾

(٤) في تفسيره السمي الكشف والبيان .

(٥) سورة الأنبياء ٨١

(٣) سورة فصلت ٣٧

(٥) سورة يونس ٢٢

(٧) سورة الحاقة ٧

تَحْلِي مُنْقِيرٍ<sup>(١)</sup> ، قال : كل ما ورد عليك من هذا الباب ، فلك أن تردّه إلى اللفظ تذكيرا ، ولك أن تردّه إلى اللفظ تأنيثا ، وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيق ، فارة يلحظ معنى الجنس فيذكر ، وتارة معنى الجماعة فيؤنث ؛ قال تعالى في قصة شعيب : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ<sup>(٢)</sup> ﴾ ، وفي قصة صالح : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ<sup>(٣)</sup> ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَيْنًا<sup>(٤)</sup> ﴾ ، وقرئ : « تشابهت » .

وأبدى السبيل للحذف والإثبات معنى حسنا قال : إنما حذفت منه ؛ لأن « الصيحة » فيها معنى المذاب والحزى ، إذ كانت منتظمة بقوله : ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمٍئِذٍ<sup>(٥)</sup> ﴾ ، فهو التذكير ؛ بخلاف قصة شعيب ، فإنه لم يذكر فيها ذلك .

وأجاب غيره : بأن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح ، فيجى فيها التذكير ، فيطلق ويراد بها الوحدة من المصدر ، فيكون التأنيث أحسن .

وقد أخبر سبحانه عن المذاب الذى أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور ، كلها مفردة اللفظ :

أحدها : الرجة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ<sup>(٦)</sup> ﴾ .

والثاني : الظلة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ<sup>(٧)</sup> ﴾ .

والثالث : الصيحة ، وجمع لم الثلاثة ؛ لأن الرجة بدأت بهم فأصمحوها في الفضاء ، خوفا من سقوط الأبنية عليهم ، فضربتهم الشمس بمرتها ، ورفعت لهم الظلة ، فهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم المذاب وفيه الصيحة ؛ فكان ذكر الصيحة مع الرجة والظلة أحسن من ذكر الصياح ، فكان ذكر التاء أحسن .

(١) سورة هود ٩٤

(٢) سورة البقرة ٧٠

(٣) سورة النكيت ٣٧

(٤) سورة الفجر ٢٠

(٥) سورة هود ٦٧

(٦) سورة هود ٦٦

(٧) سورة الشعراء ١٨٩



فإن قلت : ما الفرق بين قوله سبحانه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(١)</sup> ، وبين قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قيل : الفرق بينهما من وجهين :

لفظي ومعنوي :

أما اللفظي ، فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أكثر منها في قوله : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(١)</sup> ، والحذف مع كثرة الحواجز أحسن .

وأما للمعنوي فهو أن « مَنْ » في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(١)</sup> ، راجعة على الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً ؛ بدليل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أى من تلك الأمم ، ولو قال « ضلت » لتعينت التاء . والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً - فكان إثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها ثابتة فيها هو من معنى الكلام للتأخر .

وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالفرق مذكر ، ولو قال : ﴿ ضلُّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾<sup>(٣)</sup> في معناه ، بقاء بغير تاء ، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب ، أن يذهبوا حكم اللفظ الواجب في قياس لفظهم ، إذا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم .

### تَنْبِيْهِ

جاء عن ابن مسعود : ذكروا القرآن . ففهم منه تطلب أن ما احتمل تأنيثه وتذكيره كان تذكيره أجود .

(٢) سورة الأعراف ٣٠

(١) سورة النحل ٣٦

(٣) سورة النحل ٣٦

وردّ بأنه يمتنع إرادة تذكر غير الحقيق التائيت ، لكثرة ما في القرآن منه بالتائيت :  
 ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿وَأَلْقَيْتِ النَّارَ بِالنَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 وإذا امتنع إرادة غير الحقيق ، فالحقيق أولى .

قالوا : ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتائيت غلب فيه التذكير ، لقوله تعالى :  
 ﴿وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿أَعْبَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾<sup>(٥)</sup> ، فأنت مع جواز التذكير ، قال  
 تعالى : ﴿أَعْبَازُ نَخْلٍ مَنْقَعٍ﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾<sup>(٧)</sup> : قال : فليس المراد  
 ما فهم ، بل المراد الموعظة والدعاء ، كما قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ ..﴾<sup>(٨)</sup> إلا أنه حذف  
 الجار ، والمقصود ذكروا الناس بالقرآن ، أي ابشروهم على حفظه كيلا ينسوه .

وقال الواحدى : إن قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب ، والمراد أنه إذا احتمل  
 اللفظ التذكير والتائيت ولم يمتنع في التذكير إلى مخالفة للصحف ذكر ، نحو : ﴿وَلَا يَقْبَلُ  
 مِنْهَا شَفَاعَةً﴾<sup>(٩)</sup> .

قال : ويدل على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كعيزة والسكافى  
 ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا التقييل بالتذكير ، نحو : ﴿يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ  
 أَلْسِنُهُمْ﴾<sup>(١٠)</sup> . وهذا في غير الحقيق .

### [ ضابط التائيت ]<sup>(١١)</sup>

ضابط التائيت ضربان :

حقيق وغيره ، فالحقيق لا يحذف التائيت من فعله غالبا إلا أن يقع فصل ، نحو :

- |                            |                    |
|----------------------------|--------------------|
| (١) سورة الحج ٧٢           | (٢) سورة التوبة ٢٩ |
| (٣) سورة إبراهيم ١١        | (٤) سورة ق ١٠      |
| (٥) سورة الحاقة ٧          | (٦) سورة القمر ٢٠  |
| (٧) سورة يس : ٨٠           | (٨) سورة ق ٤٥      |
| (٩) سورة البقرة ٤٨         | (١٠) سورة النور ٢٤ |
| (١١) هذا الفصل ناسط من ت . |                    |

قام اليوم هند ، وكما كثر الفصل حَسَن الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعا .  
وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حَسَن ، قال تعالى : ﴿ فَمِنْ بَآءٍ مُّوَعِّظَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
فلأن كثر الفصل ازداد حسنا ، ومنه : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ويحسن الإثبات  
أيضا ؛ نحو : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . فجمع بينهما في سورة هود .  
وأشار بمضممهم إلى ترجيح الحذف ، واستدلّ عليه بأن الله تعالى قدّمه عليه حيث جمع  
بينهما في سورة واحدة . وفيما قاله نظر .

---

(٢) سورة هود ٦٧

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة هود ٩٤

## التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات ؛ ويطلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعدة بها ، فيعمل فيه إلى لفظ الماضي قريراً وتحقيقاً لوقوعه ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَنْزَعٌ مِّنَ السَّمَوَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله في الزمر : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصِيقٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جِئِمًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛  
أى نحشرهم .

وقوله : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾<sup>(٥)</sup> . ثم تارة يُعمل للتوقع فيه كالواقع ، فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به المضي ، تنزيلاً للتوقع منزلة ماوقع ، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي ، بل جُمِلَ المستقبل ماضياً مبالغة .

ومنه : ﴿ أَلَيْسَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾<sup>(٧)</sup> ونحوه .

\*\*\*

وقد يعبّر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل ؛ فهو مجاز لفظي ، كقوله تعالى :

- |                     |                   |
|---------------------|-------------------|
| (١) سورة النمل ٨٧   | (٢) سورة الزمر ٦٨ |
| (٣) سورة إبراهيم ٢١ | (٤) سورة الكهف ٤٧ |
| (٥) سورة الأعراف ٤٨ | (٦) سورة النحل ١  |
| (٧) سورة الأعراف ٤٤ |                   |

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ صَٰرِعٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإنه لا يمكن أن يراد به الضىء، لمنافاة ﴿يُنْفَخُ﴾ الذى هو مستقبل فى الواقع . وقاعدة التعبير عنه بالماضى الإشارة إلى استحضار التحقق، وإثباته من شأنه لتحقيقه أن يعبر عنه بالماضى وإن لم يرد معناه . والفرق بينهما أن الأول مجاز ، والثانى لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط .

\*\*\*

وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أى يقول ، عكسه لأن المضارع يراد به الهجوم والاستمرار ، كقوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى فكان استحضار الصورة تسكونه .  
وقوله : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَعْلَمُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلَكٍ سُلَيْمَانَ﴾<sup>(٥)</sup> أى ماتلت .  
وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَسِمُ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى علمنا .

فإن قيل : كيف يتصور التقليل<sup>(٧)</sup> فى علم الله ؟

قيل : المراد أنهم أقل معلوماته ؛ ولأن للمضارع هنا معنى للماضى فـ «قد» فيه للتصديق لا التقليل .

وقوله : ﴿فَلِمَ تَقْعَلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾<sup>(٨)</sup> ، أى لم تفلحوا .  
وقوله : ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْيَقِينَةُ﴾<sup>(٩)</sup> أى لم يتعارفوا حتى تأتيتهم .  
وقوله : ﴿مُنْفَكِّينَ﴾<sup>(١٠)</sup> ، قال مجاهد : « منتهين » وقيل : زائلين من الدنيا .

(٢) سورة المائدة ١١٦

(٤) سورة آل عمران ٥٩

(٦) سورة الحجر ٩٧

(٨) سورة البقرة ٩١

(١٠) سورة البقرة ١

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة البقرة ٤٤

(٥) سورة البقرة ١٠٢

(٧) أى التقليل المراد من كلمة « قد » .

(٩) سورة البقرة ١

وقال الأزهري : ليس هو من باب « ما انك » و « مازال » إنما هو من انكسك  
الشيء إذا انفصل عنه .

وقوله : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ  
يُعَذِّبُكُمْ <sup>(١)</sup> ) ، للمق : فلم عذب آباءكم بالسبح والقتل ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم  
لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد ؛ لأن الجاحد يقول : إني لا أعذب ، لكن  
احتج عليهم بما قد كان .

وقوله : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً <sup>(٢)</sup> ) .  
فذلك عن لفظ « أصبحت » إلى « تصبح » ، قصدا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض  
لأهميته ، إذ هو للتصود بالإزال .

فإن قلت : كيف قال النعاة : إنه يجب نصب الفعل للقرون بالفاء إذا وقع جواب  
الاستفهام ، كقوله : ( قَهْلَ لَنَا مِنْ شَقْمَا فَيَشْقُمُوا لَنَا <sup>(٣)</sup> ) و « تصبح »  
هنا مرفوع ؟

قلت : لوجوه :

أحدها : أن شرط الفاء المتضمنة للنصب أن تكون سببية ، وهنا ليست كذلك ، بل  
هي للاستئناف ؛ لأن الرؤية ليست سببا للإصباح .

الثاني : أن شرط النصب أن ينسبك من الفاء وما قبلها شرط وجزاء ، وهنا ليس  
كذلك ؛ لأنه لو قيل : إن تر أن الله أنزل ماء تصبح ؛ لم يصح ؛ لأن إصباح الأرض حاصل ؛  
سواء رُئي أم لا .

فإن قيل : شاع في كلامهم إنشاء فعل الرؤية ، كما في قوله : « ولا تزال - تراها - ظالمة »

(٢) سورة الحج ٦٣

(١) سورة اللأمة ١٨

(٣) سورة الأعراف ٥٣

أى ولا تزال ظلاله ؛ وحينئذ فالنبي منصب إلى الإنزال لا إلى الرؤية ؛ ولا شك أنه يصح أن يقال : « إِنْ أُنْزِلَ نُصْبِح » ، فقد انعقد الشرط والجزاء .

قلت : إنماء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب ، فمن أين لنا ما يقتضى تعيين محل الآية عليه ؟

الثالث : إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب قلبه إلى النفي ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْمِي إِلَهَيْنِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإذا دخلت على نفي قلبه إلى الإيجاب ؛ فالهمزة في الآية للتقرير ، فلما انتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب لم ينتصب النصل ، لأن شرط النفي كونه السابق منقياً محضاً : ذكره المزي <sup>(٢)</sup> في « البرهان » .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

الرابع : أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الفرض لأن منتهى إثبات الاخضرار ، فكان ينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار ، مثله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت فتشكر ! إن نصبت فأنت نافي لشكره ، شاك تقيطه ، وإن رفعت فأنت مثبت لشكره . ذكر هذا الزحشرى في الكشف ، قال : وهذا ومثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقيف أهله .

وقال ابن الخباز : النصيب يفسد للمنى ؛ لأن رؤية المخاطب للماء الذي أنزله الله ليس سبباً للاخضرار ؛ وإنما الله نفسه هو سبب الاخضرار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ،

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) المزي بن عبد الملك ، اللزوف بشيعة ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) سورة طه ٢٧

(٤) سورة السجدة ٢٧

قال : « تثير » مضارعا ، وما قبله وما بعده ماضيا ، مبالغة في تحقيق إثارة الريح السحاب  
للسامعين وتقدير تصوّره في أذهانهم .

فإن قيل : أمّ الأفعال للذكورة في الآية إحياء الموتى ، وقد ذكر بلفظ الماضى ،  
وما ذكرته يقتضى أولوية ذكره بلفظ المضارع ، إذ هو أمّ ، وإثارة السحاب سبب أعيد  
على قريب .

قيل : لا نسلم بأهمية إحياء الأرض بعد موتها ؛ فلقد ماتت للذكورة أهمها وأدناها على  
القدرة أمجبتها وأبدؤها عن قدرة البشر ، وإثارة السحاب أمجبتها ؛ فكان أولى بالتخصيص  
بالمضارع ، وإنما قال : إن إثارة السحاب أمجبت لأن سببها أخفى ؛ من حيث إننا نعلم  
بالقول أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض ، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء .  
فلو خُلينا وظاهر العقل لم نقل : إن الريح سببها ؛ لمدح إحساننا بمادة السحاب وجهته .

ومن لواحق ذلك المدول عن المستقبل إلى اسم المفعول ، لتضمنه معنى الماضى ،  
كقوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾<sup>(١)</sup> ، تقريراً للجمع فيه ، وأنه لا بد أن يكون  
معاداً للناس ، مضروباً لجيهم ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ  
لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾<sup>(٢)</sup> ، لتعرف صحة هذا المعنى .

فإن قلت : الماضى أدلّ على المقصود من اسم المفعول ، فلم عدل عنه إلى ما دلّ عليه  
أضف ؟ قلت : لتحصل المناسبة بين « مجموع » و « مشهور » في استواء شأنهما طلباً  
للتعديل في العبارة .

ومنه المدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ﴾<sup>(٣)</sup>  
فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال ، بل في الحال .



## مشكلة اللفظ للفظ

هي قسمان : أحدهما - وهو الأكثر - للمشكلة بالثاني للأول ؛ نحو «أخذه ما قدّم  
وما حدث» . وقوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ على مذهب الجمهور  
وأن الجزّ للجوار : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقد تقع للمشكلة بالأول للثاني كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيدة : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾  
بكسر الفال ، وهي أفصح من ضم اللام للدال .

## مشكلة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جزئاً لا كان للمنى كذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، ولم يقل من « طين » كما أخبر به سبحانه في غير موضع : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup> إنما عدل عن الطين الذى هو مجموع اللاء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمنى لطيف ؛ وذلك أنه أدنى المنصيرين وأكثفهما ، لما كان المقصود مقابلة من ادعى فى المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس فى للمنى من غيره من العناصر ؛ ولما أراد سبحانه الامتنان على بنى إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير ، تعظيلاً لأمر ما يخلقها بإذنه : إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقهم ليعظموا قدر النعمة به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر اللاء دون بقية العناصر ؛ لأنه أتى بصيغة الاستفراق ، وليس فى العناصر الأربع ما يعم جميع المخلوقات إلا اللاء ، ليدخل الحيوان البحرى فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَتَقَا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَقَّقَ تَكُونُ حَرَضًا أَوْ تَكُونُ مِنْ آلِهَاتٍ لَكَيْنِ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها ؛ فإن « والله » و « بالله » أكثر استعمالاً وأعرف من « تالله » لما كان الفعل الذى جاور القسم أغرب الصيغ التى فى بابه ؛ فإن « كان » وأخواتها أكثر استعمالاً من « تتقا » وأعرف عند العامة ؛ ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الملاك بالنسبة ، وهى لفظة « حرض » :

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٢) سورة ص ٧١

(٣) سورة النور ٤٥

(٤) سورة يوسف ٨٥

ولما أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، لما كانت جميع الألفاظ مستعملة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين ، وهو الليل إليهم والاعتماد عليهم ، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم ؛ وهو مس النار الذي هو دون الإحراق والاضطرار ؛ وإن كان للس قد يطلق ويراد به الإغمار بالمذاب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَنْ بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فإنه نشأ في الآية سؤال ، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعليقه بالفاعل ، ثم بالمفعول ، فإن كان في الكلام مفعولان : أحدهما يمدى وصول الفعل إليه بالحرف ، والآخر بنفسه ، قدم ما تمدى إليه الفعل بنفسه ؛ وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

إذا ثبت هذا ، فقد يقال : كيف توخى حسن الترتيب في عبْر الآية دون صدرها ؟ والجواب أن حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع أقوى ، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات الخرج ؛ فيثقل الكلام بسبب ذلك ؛ فإنه لو قيل « لَنْ بَسَطَ يَدَكَ إِلَيَّ » والطاء والتاء مقاربة الخرج ؛ فلذلك حسن تقديم المفعول الذي تمدى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذي تمدى إليه بنفسه ؛ ولما أمن هذا الحذور في عبْر الآية لما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية ، لتضمنه معنى الفعل الذي تصح به المقابلة ، جاء الكلام على ترتيبه : من تقديم المفعول الذي تمدى الفعل إليه بنفسه ، على

(٢) سورة هود ١١٣

(٤) سورة النحل ٢٤

(١) سورة طه ٤٢

(٣) سورة المائدة ٢٨

للقول الذى يمدى إليه بحرف الجر . وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ ؛ وأما اللفظ فلى نظم الآية ؛ لأنه لما كان الأول حريصاً على التمدى على التفسير قدّم التمدى على الآلة ، فقال : إلى يدك ، ولما كان الثانى غير حريص على ذلك ، لأنه فاه عنه ، قدّم الآلة فقال : « بدى إليك » ؛ ويدل لهذا أنه عبر عن الأول بالقل وفى الثانى بالاسم .

ويؤيد ذلك أيضاً قوله فى سورة المتحنة : ﴿ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ لأنه لما نسبهم للتمدى الزائد قدّم ذكر للبسوط إليهم على الآلة ؛ وذلك الجواب السابق لا يمكن فى هذه الآية .

ومثله قوله : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا حَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ مقتضى الصناعة أن يؤتى بالصنعين للازدواج فى صدر الآية ، كأتى به فى مجزئها ، لكن منعه توخى الأدب والتعذيب فى نظم الكلام ؛ وذلك أنه لما كان الضمير الذى فى « يجزى » عائداً على الله سبحانه ، وجب أن يدل عن لفظ اللفظ الخاص إلى رديفه ، حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه ، فقال فى موضع السيئة : بما « عاوا » ، فعوض عن تجنيس للزاوجة بالإرداف لما فيه من الأدب مع الله بخلاف قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن هذا المحذور منه موقوف ، فجزى الكلام على مقتضى الصناعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فإنه سبحانه خص الشُّعْرَى بالذكر دون غيرها من النجوم ؛ وهو رب كل شيء ، لأن العرب ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كُبْشَةَ عَبْدَ الشُّعْرَى ، ودعا خلقاً إلى عبادتها .

وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَبْسُغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْهَوْنَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ، ولم يقل : « لا تملون » لما فى الفقه من الزيادة على العلم .

(٢) سورة النجم ٣١

(٤) سورة النجم ٤٩

(١) سورة المتحنة ٢

(٣) سورة الثورى ٤٩

(٥) سورة الإسراء ٤٤

وقوله حكاية عن إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَكَّ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾<sup>(١)</sup> فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾<sup>(٢)</sup> فذكر الخوف وليس، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر «الرحمن» ولم يذكر «المنتقم» ولا «الجبار» على، حد قوله :

فما يوجب الحرمان من كف حازم كما يوجب الحرمان من كف رازق  
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَخَافَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فإنه قد يقال : ما الحكمة في التمييز بالسخرية دون الاستهزاء ؟ وهما قيل : « خاف بالذين استهزؤا بهم » ليطابق ما قبله ؟

والجواب أن الاستهزاء هو إسماع الإساءة، والسخرية قد تكون في النفس ولهذا يقولون : سخرت منه كما يقولون : عجبت منه ؛ ولا يقال : تجنب ذلك لما في ذلك من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات ؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثا في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وإنما لم يقل : « نستهزئ بكم » لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء .

وأما قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> فالعرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل، كقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ وهو مجاز حسن ؛ وأما الاستهزاء الذي نحن بصدده فهو استهزاء حقيقة، لا يرضى به إلا جاهل .

ثم قال سبحانه : ﴿ فَخَافَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> أي خاف بهم من الله الوعيد

(٢) سورة الأنعام ١٠

(٤) سورة البقرة ١٥

(٦) سورة الأنعام ١٠

(١) سورة مريم ٤٥

(٣) سورة هود ٣٨

(٥) سورة التوبة ٦٧

البالغ لم على ألسنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بالسنتهم ، فنزلت كل كلمة منزلها .  
وقوله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ لِشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ <sup>(١)</sup> ولم يذكر  
الكعبة ، لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة ، فإن استقبال عينها حرج عليه ، بخلاف القريب ؛  
ولما خصّ الرسول بالخطاب تعظيما وإيجابا لشرعته عمّ تهريجا بعموم الحكم ، وتأكيدا  
لأمر القبلة .

### فعدة

إذا اجتمع الخلل على اللفظ والمعنى ، بدئ باللفظ ثم بالمعنى ؛ هذا هو الجادة في القرآن ،  
كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أفرد أولا باعتبار اللفظ ، ثم جمع  
ثانيا باعتبار المعنى ، قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فعاد الضمير مجموعا ؛ كقوله تعالى :  
﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ <sup>(٤)</sup> ،  
فساد الضمير من « يدخله » مفردا على لفظ « من » ، ثم قال : « خالد بن » وهو حال  
من الضمير .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَفْعَلُ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ . . . ﴾ <sup>(٧)</sup> إلى قوله : ﴿ فَلَا  
آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَحِيلُوا بِهِ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقد يجرى الكلام على أوله في الأفراد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ

- |                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| (١) سورة البقرة ١٤٩ ، ١٥٠ | (٢) سورة البقرة ٨       |
| (٣) سورة الطلاق ١١        | (٤) سورة الأنعام ٢٥     |
| (٥) سورة التوبة ٤٩        | (٦) سورة التوبة ٧٥ ، ٧٦ |

قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . . . (١) الْآيَتِينَ ، فكرر فيها ثمانية ضمائر ، كلها عائد على لفظ « من » ، ولم يرجع منها شيء على معناها مع أن اللفظ على الكثرة .

وقد يقتصر على معناها في الجميع ، كقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (٢) . وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير ، قال الشيخ علم الدين العراقي : ولم يجرى في القرآن البداءة بالحمل على اللفظ إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ (٣) ، فأنث « خالصة » حملا على معنى « ما » ، ثم راعى اللفظ فذكر ؛ وقال : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ .

واعترض بعض الفضلاء وقال : إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على اللفظ في ذلك ؛ إذا كان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الأنعام يقدر مؤنثا ؛ أما إذا قدر مذكرا فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ .

وأجيب بأن اعتبار اللفظ واللفظ أمر يرجع إلى الأمور التقديرية ؛ لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ ؛ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدئ في الآية بالحمل على اللفظ ؛ فيتم كلام العراقي .

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور : أن الكوفيين لا يميزون الجمع بين الجلتين إلا بفواصل بينهما ؛ ولم يستبر البصريون الفاصل ، قال : ولم يرد السماع إلا بالفواصل ، كما ذهب إليه الكوفيون . ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

(٢) سورة يونس ٤٢

(١) سورة البقرة ٢٠٤

(٣) سورة الأنعام ١٣٩

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى<sup>(١)</sup>، وقال : ألا تراه كيف جمع بين الجنتين دون فصل انتهى .

والقى ذكره ابن عصفور في شرح « اللقب » : شَرَطَ الكوفيون في جواز اعتبار اللفظ بعد اعتبار للمعنى الفصل ؛ فيجوزون : مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا إخواننا ، ولا يجوزون : مَنْ يقومون وينظر في أمرنا إخواننا ؛ لعدم الفصل ، وإنما ورد السماع بالفصل . انتهى .

وهذا يقتضى أَنَّ الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجنتين ؛ إلا أن يقدم اعتبار للمعنى ويؤخر اعتبار اللفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾<sup>(٢)</sup> إنما بدئ فيه بالحل على اللفظ .

وقال ابن الحاجب : إذا حُلَّ على اللفظ جاز الحل بدمه على المعنى ؛ وإذا حُلَّ على المعنى ضُفَّ الحل بدمه على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف .

وهذا معترض بأن الاستقراء دلَّ على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى ، وكثرة موارد تدل على قوله ؛ وأما المورد إلى اللفظ بعد اعتبار للمعنى فقد ورد به التنزيل ، كما ورد باعتبار المعنى بعد اعتبار اللفظ ، فثبت أنه يجوز الحل على كل واحد منهما ، بعد الآخر من غير ضعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ فِي وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا ﴾<sup>(٣)</sup> فقرأه الجماعة بالتذكير « يَقْنُتْ » حملا على لفظ « مَنْ » في التذكير « وتعمل » بالأنثى ، حملا على معناها ؛ لأنها للمؤنث . وقرأ حمزة والكسائي « يعمل » بالتذكير فيها حملا على لفظها



رعاية للناسبة في المتعاطفين . وتوجيه الجماعة أنه لما قدم على الثاني صريح التأنيث في « منكن » حسنُ الحل على المعنى .

وقال أبو الفتح في « المختص » : لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى . وقد يورد عليه قوله : « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَلَهُمْ لِيُصْذَبُوا عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ » <sup>(١)</sup> ثم قال : « حَتَّى إِذَا جَاءَنَا » <sup>(٢)</sup> ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى ؛ إلا أن يقال : إن الضمير في « جاء » يرجع إلى الكافر دلالة السياق عليه ؛ لا إلى « مَنْ » .

ومنه الفرق بين « أَسْقَى » و « سَقَى » بغير همز ؛ لما لا كلفتمعه في السقيا ؛ ومنه قوله تعالى : « وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » <sup>(٣)</sup> فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة ، بل جميع ما يقع فيها من اللاد يقع فرصة وعفوا ، بخلاف « أَسْقَى » بالهمزة ، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين ؛ كقوله تعالى : « وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا » <sup>(٤)</sup> ، « لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا » <sup>(٥)</sup> ، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبداً .

ومنه قوله تعالى : « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ » <sup>(٦)</sup> ، قال أبو سلمة محمد بن بحر الأصبهاني في تفسيره : إنما خصّ اللوزون بالذكر دون للكيل ، لأمرين :

أحدهما : أن غاية للكيل ينهى إلى اللوزون ، لأن سائر الكيليات إذا صارت قطعاً دخلت في باب اللوزون وخرجت عن للكيل ، فكان الوزن أعم من للكيل .

والثاني : أن في اللوزون معنى للكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء .

(٢) سورة الدهر ٢١

(٤) سورة الجن ١٦

(١) سورة الزخرف ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٣) سورة الرسلات ٢٧

(٥) سورة الحجر ١٩

ومقايسته وتعديله به ، وهذا للمنى ثابت فى المكيل ، نقص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى المكيل .

وقال الشريف المرتضى فى « التمر » <sup>(١)</sup> : هذا خلاف المقصود ؛ بل للراد بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرّة .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فذكر فى مدة اللبث السنة ، وفى الاضمال العام ؛ للإشارة إلى أنه كان فى شدائد فى مدته كلها ، إلا خمسين عاما قد جاءه الفرج والنوّه ؛ فإن السّنة تستعمل غالبا فى موضع الجذب ؛ ولهذا ستموا شدة القحط سنة .

قال الشهبلى : ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان أقبا ؛ إلا أن الخسرين منها كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخسرين خاصة ؛ لأن الخسرين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية ، بنحو عام ونصف .

وأبى على هذا للمنى قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تُمَدُّونَ ﴾ ؛ فإنه كلام ورد فى موضع التكثير والتعميم بمدة ذلك اليوم ، والسنة أطول من العام .

(١) التمر ١ : ١٣٣ وعبارته : « وجه الآية وما يهتد به ظاهر لنظها غير ماسلة أى مسلم ؛ وإنما أراد تعالى بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة . » .

(٢) سورة العالج ٤

(٣) سورة النكيت ١٤

## النتيجة

نحو الحوطة والبسطة ، جملة ابن الزمكاني من <sup>(١)</sup> فظوم القرآن ، ومثله بقوله :  
﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال : وكفى ، من كفيته الشيء ؛ ولم يحىء العرب كفيته  
بالشيء ، فجعل بين الفعلين الفعل للذكور ؛ وهو ممتد ، وخص من الفعل اللازم وهو  
اكتفيت به ، بالباء ، وكذلك انتصب « شهيداً » على التمييز أو الحال ؛ كأنه قيل :  
كفى بالله فاكف به ، فاجمع فيه العبر والأمر .

## الانفال

من كلامهم إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض ؛ يقولون : مدحه ومدحه ، وهو كثير ، ألت فيه للصنفون ، وجعل منه ابن فارس <sup>(١)</sup> قوله تعالى : ﴿ فَأَنْفَلَقَ فَمَا كَانَ كُفُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال : قالوا واللام متماقبان ، كما تقول العرب : فلق الصبح وفرقه . قال : وذكر عن الخليل - ولم أسمعه سمعا - أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، إنما أراد « فحاسوا » قامت الجيم مقام الحاء . قال ابن فارس : وما أحسب الخليل قال هذا ، ولا أحقه عنه .

قلت : ذكر ابن جني في « المحتسب » : أنها قراءة أبو السمال ، وقال : قال أبو زيد - أو غيره - قلت له : إنما هو « فحاسوا » ، قال : حاسوا وجاسوا واحد . وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ، ولذلك <sup>(٤)</sup> نظرنا . انتهى .

وهذا الذي قاله ابن جني غير مستقيم ، ولا يحل لأحد أن يقرأ إلا بالرواية . وقوله : « إنما بمعنى واحد » لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح وقائل ذلك ، والقارىء به هو أبو السوار الفنوي لا أبو السمال فاعلم ذلك . كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني ، قال : حدثنا للزاني ، قال : سألت أبا السوار الفنوي ، قرأ : « فحاسوا » بالحاء غير الجيم ، فقلت : إنما هو « فحاسوا » ، قال : حاسوا وجاسوا واحد ، يعني أن اللغتين بمعنى واحد ؛ وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة ، والفرض كما جازت بالأولى ، فقد غلط في ذلك وأساء .

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) في قته الفنة ١٧٣

(٤) انظر المحتسب الورقة ٩١ ، البحر المحيط لأبي حيان ٦ : ١٠

(٣) سورة الإسراء ٥

وزعم الفارسي في تذكرته في قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَلِيرِ﴾<sup>(١)</sup>، أنه بمعنى حب الخليل؛ وسُميت الخليل خيرا لما يحصل بها من المزمز والتمة، كما روى: «الخليل مفعود بعواصمها الخير»، وحينئذ فالمصدر مضاف إلى المفعول به.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ تَوَاقِعَ﴾<sup>(٢)</sup>: إن أصله «ملاقح»، لأنه يقال: ألقحت الريح السحاب، أي جمعتها، وكل هذا تفسير معنى، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك.

وذكر أبو عبيدة في قوله: ﴿إِلَّا مُكَاً وَنَصْدِيَّةً﴾<sup>(٣)</sup>، معناه «نصددة»، فأخرج المال الثانية ياء لكسرة المال الأولى، كما حكاه صاحب «الترقيص»<sup>(٤)</sup>. وحكى عن أبي ريش في قول امرئ القيس<sup>(٥)</sup>:

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِي بِكَ تَنْسَلِ \*

معناه «تَنْسَلِ» فأخرج اللام الثانية [ياء] لكسرة اللام الأولى، ومنه قول الآخر:

وَأِنِّي لَأَسْتَمِي وَمَا بِي نَمَّةٌ لَمَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا<sup>(٦)</sup>

أراد أستمنس؛ فأخرج السين ياء.

وقال الفارسي في «التذكرة»<sup>(٧)</sup>: قرأ أبو الحسن - أو من قرأه - قوله تعالى فيها حكى عن يعقوب في القلب والإبدال: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾<sup>(٨)</sup>، «غير

(١) سورة المجر ٢٢

(١) ص ٣٢

(٢) سورة الأنفال ٣٥

(٣) محمد بن علي الأزدي؛ ذكره صاحب كشف الظنون، وينقل عنه السيوطي في اللزهر.

(٤) ديوانه ١٣؛ وصدده:

• وَإِنْ تَكُ سَاءَتْكَ مَعِيَ خَلِيقَةٌ •

(٦) لجنون بن عامر، تزيين الأسواق ٧٠ (٧) من المعروفة بتذكرة أبي علي؛ ذكره

صاحب كشف الظنون ص ٣٨٤، وقال: «وهو كبير في عجلات، لحسه أبو الفتح عثمان بن جني».

(٨) سورة الأنعام ١٤٥

عائد » ، واستحسنه الفارسي ألا يمود إليه كما يمود في حال السعة من المشاء إلى النداء .  
وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾<sup>(١)</sup> : إنَّ خرقه واخترقه ،  
وخلقه ، واختلقه بمعنى ؛ هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير ، وقول قريش  
في اللاتكة .

وجوز الزمخشري كونه<sup>(٢)</sup> من خرق الثوب ؛ إذا شقه ، أى أنهم اشتقوا له  
بنين وبنيات .

## المحاذاة

ذكره ابن فارس<sup>(١)</sup>، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر لأجل انضمامه إليه ؛ وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفردا ؛ كقولهم : أتيتهم الندايا والشايا ، فقالوا : الندايا لانضمامها إلى الشايا .

قيل : ومن هذا كتابة للمصحف ، كتبوا : ﴿ وَالْقَلِيلُ إِذَا سَجَى ﴾<sup>(٢)</sup> بالياء ؛ وهو من ذوات الواو ؛ لما قرن بغيره مما يكتب بالياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَسَطَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فاللام التي في ﴿ لَسَطَهُمْ ﴾ جواب ﴿ نَزَّ ﴾ . ثم قال : ﴿ فَلَقَّا تَلَوُكُمْ ﴾ فهذه حوزيت بطلب اللام ؛ وإلا فالنفي : لَسَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَقَاتَلُوكُمْ .

ومثله : ﴿ لَا عَذَابَ عَظِيمًا أَوْ لَا ذُبْحَنَ ﴾<sup>(٤)</sup> فهما لاما قسم - ثم قال : ﴿ أَوْ كَيْتَابِيْنِ ﴾ ، فليس ذا موضع قسم ؛ لأنه عذر<sup>(٥)</sup> للهدد ؛ فلم يكن ليقسم على الهدد أن يأتي بغيره ، لكنه لما جاء به على أن ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه<sup>(٦)</sup> .

(١) فقه اللغة ١٥

(٢) سورة الضحى ٢

(٣) من قوله تعالى في سورة النساء ٩٠ : ﴿ وَتَوَّ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَّا تَلَوُكُمْ ﴾ .

(٤) سورة النمل ٢١

(٥) في الأصول : « حذر الهدد » ؛ وما أتت من فقه اللغة .

(٦) بعده في فقه اللغة : « ومن الباب : وزنه قاترن ، وكنه فاكته ، أى استوفاه كيلا ووزنا ؛ ومنه

قوله جل تناؤهم : ﴿ فَسَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَذَّةٍ تُعَذِّبُهُنَّ ﴾ ؛ تستوفونها ؛ لأنها حق للأزواج على النساء » .

ومنه <sup>(١)</sup> الجزء عن الفصل بمثل لفظه نحو : ﴿ إِنَّمَا تَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
بِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> أى يجازيهم جزاء الاستهزاء .  
وقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

---



---

(١) في قوله الله « ومن هذا الباب الجزء على الفصل بمثل لفظه » .  
(٢) سورة البقرة ١٤ ، ١٥  
(٣) سورة آل عمران ٥٤  
(٤) سورة التوبة ٧٩  
(٥) سورة الكورى ٤٠



## قَوَاعِدِي النِّفْيِ

قد تقدم في شرح معاني الكلام جل من قواعده ؛ ونذكر هاهنا زيادات .

اعلم أنَّ نفي القات للوصفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيًا للذات . وانتفاء النفي عن القات للوصفة قد يكون نفيًا عن القات ، وقد يكون نفيًا عن الصفة دون القات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه نهي عن القتل بنير الحق . وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن الثاني قوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم ميّتين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام ؛ كقول القائل : لا نصل إلا وأنت خاشع ، فإنه ليس نهيًا عن الصلاة ، بل عن ترك الخشوع .

وقوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... ﴾<sup>(٥)</sup> الآية .

وقد ذكرنا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام :

الأول : بنفي المسند نحو ، ما ظم زيد بل قصد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْصَافًا ﴾<sup>(٦)</sup> فالمراد نفي السؤال من أصله ؛ لأنهم متفقون ؛ ويلزم من نفيه نفي الإخفاف .

(٢) سورة الأنعام ١٥١

(٤) سورة آل عمران ١٠٢

(٦) سورة البقرة ٢٧٣

(١) سورة الإسراء ٣٣

(٣) سورة المائدة ٩٥

(٥) سورة النساء ٤٣

الثاني : أن يبنى السند إليه ، فيفتنى للسند ، نحو ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود ؛ لأنه يلزم من عدم زيد نفي القيام . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتَفَعَّمُهُمْ شِفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى لا شافعين لم فتفعمهم شفاعتهم .  
ومنه قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

• عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ •

أى : على طريق لا منار له ، فيهتدى به ؛ ولم يكن مراده أن يثبت للنار فينتفى الاهتداء به .

الثالث : أن يُنْفَى للتلحق دون السند والسند إليه ، نحو ما ضربت زيداً بل عمراً .  
الرابع : أن يبنى قيد السند إليه أو للتلحق ؛ نحو ما جاءنى رجل كاتب بل شاعر ، وما رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً ؛ فلما كان النفي قد ينصب على السند وقد ينصب على السند إليه أو للتلحق ، وقد ينصب على القيد احتمال فى قولنا : ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون للنفي هو القيد ؛ فيفيد الكلام رؤية غير الكاتب ؛ وهو احتمال مرجوح ؛ ولا يكون للنفي للسند ؛ أى الفعل ، بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه ؛ لا على رجل ولا على غيره ؛ وهو فى المرجوحية كاقضى قبله .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ٦٦ ، وبقية :

(١) سورة الدثر ٤٨

• إِذَا سَأَفَهُ أَلْتَمُودُ أَلْبَابِي جَرَجَرًا •

## نفى الشئى رأى

لأنه عدم كمال وصفه أو لا انتفاء ثمرته ، كقوله تعالى فى صفة أهل النار: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾<sup>(١)</sup> نفى عنه الموت ، لأنه ليس بموت مريح ، ونفى عنه الحياة ، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾<sup>(٢)</sup> أى ما هم بسكارى مشروب ، ولكن سكارى فزع .

وقوله : ﴿ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهم قد نطقوا بقولهم : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾<sup>(٤)</sup> ، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكانهم لم ينطقوا .

وقوله : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومنه قوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> ، فإن للمزلة احتجوا به على نفى الرؤية ، لأن النظر لا يستلزم الإبصار ، ولا يلزم من قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾<sup>(٨)</sup> إبصار .

وهذا وهم ، لأن الرؤية قال على أمرين : أحدهما الحسبان والثانى العلم ، والآيتين للنفى الأول ، أى تحسبهم ينظرون إليك ؛ لأن لهم أعينا مصنوعة بأجفانها وسوادها بحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئا .

(٢) سورة الحج ٢

(٤) سورة الأنعام ٢٧

(٦) سورة الملك ١٠

(٨) سورة القيامة ٢٣

(١) سورة طه ٧٤

(٣) سورة للرسلات ٣٥ ، ٣٦

(٥) سورة الأعراف ١٧٩

(٧) سورة الأعراف ١٩٨

ومنه : ﴿ فَتَاتُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسوى ، ثم ضاع أخيراً عنهم لعدم جزيئهم على موجب العلم ؛ كذا قال السكاكي وغيره . وقد يقال : لم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد ، لأنّ الثبوت أولاً نفس العلم ، وللنفي إجراء العمل بمقتضاه . ويحتمل حذف القولين أو اختلاف أصعاب الضميرين . قال : ونظيره في النفي والإثبات قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قلت : للنفي أولاً التأثير ، والثبوت ثانياً نفس الفعل .

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> والحق : إن لم تفعل بمقتضى ما بلغت فأنت في حكم غير المبلغ ، كقولك لطالب العلم : إن لم تفعل بما علمت فأنت لم تعلم شيئاً ، أى في حكم من لم يعلم .

\*\*\*

ومنه نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً ؛ وهذا من أصاليب العرب يقصدون به اللبالة في النفي وتأكيده ، كقولهم : فلان لا يرجى خيره ، ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى ، غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه .

ومنه : ﴿ وَيَقُولُونَ النَّبِيُّينَ بَنِيَّ حَقٍّ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فإنه يدل [ على ] أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون من الصفة ، وهى وقوعه على خلاف الحق .

(١) سورة البقرة ١٠٢

(٢) سورة المائدة ٦٧

(١) سورة التوبة ١٢

(٣) سورة الأنازل ١٧

(٥) سورة آل عمران ٢١

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، إنها وصف لها  
البدعاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، تليظ وتأكيد في تحذير الكفر.  
وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا،  
فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْعَاقِبَةَ﴾<sup>(٤)</sup>، فإن ظاهره نفى الإلحاف في المسألة،  
والحقيقة نفى المسألة البتة؛ وعليه أكثر للفسرين، بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ  
مِنَ التَّقْصِفِ﴾<sup>(٥)</sup>، ومن لا يسأل لا يلحف قطعا؛ ضرورة أن نفى الأمم يستلزم  
نفى الأخص.

ومثله قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَجِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٦)</sup>، ليس المراد نفى الشفيع  
بقيد الطاعة؛ بل نفية مطلقا؛ وإنما قيده بذلك لوجوه:

أحدها: أنه تنكيل بالكفار؛ لأن أحدا لا يشفع إلا بإذنه؛ وإذا شفع يشفع،  
لكن الشفاعة مختصة بالمؤمنين، فكان نفى الشفيع للطاع تنبيها على حصوله لأضدادهم؛  
كقولك لمن يناظر شخصا ذا صديق نافع: لقد حدثت صديقا نافعا، وإنما تريد التنويه بما  
حصل لغيره، لأن له صديقا ولم يشفع.

الثاني: أن الوصف اللازم للموصوف ليس بلازم أن يكون للتصيد؛ بل يدل لأغراض  
من تحسبته أو تبيحه، نحو: له مال يجمع به، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ  
يَدْرُسُونَهَا﴾<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة البقرة ١١٧

(٢) سورة البقرة ٢٧٣

(٣) سورة سبأ ٤٤

(١) سورة المؤمن ١١٧

(٢) سورة البقرة ٢٧٣

(٣) سورة غافر ١٨

(٤) سورة البقرة ١٧٤

الثالث : قد يكون الشفيع غير مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوم صورة الشفاعة من غير إجابة ، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة ؛ وإنما دلّ على التلازم دليل الشرع .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ﴾<sup>(١)</sup> أى من خوف الذلّ ، فنفي الوليّ لانتفاء خوف الذلّ ؛ فإن اتخاذا الوليّ فرع عن خوف الذلّ وسبب عنه .

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، نفي الغلبة ؛ والمراد نفي أصل النوم والسنة من ذاته ؛ ففى الآية التصريح بنفى النوم وقوعا وجوازا ، أما وقوعا فيقول : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وأما جوازا فيقول : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ ، وقد جمعا قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَفْهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبُغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ » .

وقوله : ﴿ قُلْ أَتَلْبَثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ أى بما لا وجود له ، لأنه لو وجد لعلمه بوجود الوجوب ، تعلق علم الله تعالى بكل معلوم .

وقوله تعالى : ﴿ لَنْ نُجِيبَ تَوْبَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ، على قول مَنْ نفي القبول لانتفاء سببه ، وهو التوبة ، لا يوجد توبة فيوجد قبول .

وعكسه : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فإنه نفي لوجدان العهد ؛ لانتفاء صبيبه ، وهو الوفاء بالعهد .

وقوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾<sup>(٧)</sup> ، أى من حجة ، أى لا حجة عليها ، فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة .

(٢) سورة البقرة ٢٥٥

(٤) سورة آل عمران ٩٠

(٦) سورة يوسف ٤٠

(١) سورة الإسراء ١٠١

(٣) سورة يونس ١٨

(٥) سورة الأعراف ١٠٢

ونظيره من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : «البحر أعمور والله ليس بأعمور» ، أى بذى جوارح كوامل بشغل جوارح له نواقص .

ونظيره قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ <sup>(١)</sup> ليس للراد أن كلمات الله تنفذ بعد فساد البحر ؛ بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل فساد البحر ولا بعده . وحاصل الكلام : لنفد البحر ولا تنفذ كلمات ربى .  
ووقع في شعر جرير قوله :

فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَنْتَبِ وَأَشِيهِ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ <sup>(٢)</sup>

قال الأصمى : أنشدته كذلك خلف الأحمر ، قال : أصلحه :

• فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ •

فإنه لا خير لخير بعده شر ، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب ، قال الأصمى :  
قلت : والله لا أرويه أبدا إلا كما أوصيتنى <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٢) ديوانه ٤٨٠ ، وروايته : « وذلك يوم » .

(٣) الخبر كما رواه الرزائي بسنده في اللوشع عن عيسى بن إسماعيل ١٢٥ : سمعت الأصمى يقول :

فأنت على خلف شعر جرير ؛ فلما بلغت قوله :

ويومٍ كَلِمَاتِهِمُ الْقَطَاةِ مُحَبِّبٍ إِلَى هَوَاهُ غَالِبٍ لِي بِإِطْلِهِ  
رُزْقَنَا بِهِ الصَّيْدَ النَّزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبَلَهُ مَحْرُومَةً وَحَيَاةً  
فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَنْتَبِ وَأَشِيهِ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ

فقال : وله ! وما ينضم خير يشول إلى شر ! قلت له : هكذا قرأت على أبي عمرو ، فقال له : صدقت ، وكذا قاله جرير ، وكان قليل التخييل معسر الألفاظ ؛ وما كان أبو عمرو ليترك إلا كما سمع ، فقلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له أن قال :

• فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ •

فهو هكذا ، فقد كانت الرواة قد عا تصلح من أعلام القدماء . قلت : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا !

نقل ابن رشيقي هذه الحكاية في «العمدة» وصورتها<sup>(١)</sup>.

قال ابن النثير: ووقع لي أن الأصمعي وخلف الأحر وابن رشيقي أخطئوا جميعاً وأصاب جرير وحده؛ لأنه لم يُرد إلا «فيا لك يوم خير لا شرفيه»، وأطلق «قيل» للنفي كما قلناها، في قوله تعالى: ﴿لَنفَعِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَعِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿اللَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: «أَمْ لَهُمْ أُعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا»<sup>(٤)</sup>؛ فإن ظاهره نفي هذه الجوارح، والحقيقة توجب نفي الآلة عن يكون له فضلاً عن لا يكون له.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، فالمراد لا ذاك ولا علمك به؛ أي كلامها غير ثابت.

وقوله: ﴿يَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمُ بِسُلْطَانٍ﴾<sup>(٦)</sup>؛ أي شركاء لا نبوت لها أصلاً، ولا أنزل الله بإشراكها حجة، وإنزال الحجة كلامها منتفٍ.

وقوله: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾<sup>(٧)</sup>، أي ما لا نبوت له ولا علم الله متعلقاً به؛ ضياً للمازوم وهو النيابة بنفي لازمه، وهو وجوب كونه معلوماً للمالقات، لو كان له نبوت، بأي اعتبار كان.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>

(١) العمدة ٢ : ١٩٣ : قال ابن رشيقي بعد أن أورد الخبر : « قلت أنا : أما هذا الإصلاح فليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ؛ وذلك أن الشاعر أراد أنه كان في ليلة وصال ؛ ثم فارق حبيبه نهراً ؛ وذلك هو العمر التي ذكر ، والرواية جملته لم يفارق ؛ فغير عليه المعنى ؛ إلا أن تكون الرواية : « ويوم كليبهم المباري » ، لحيث ؛ على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل معنى « قيل » ، فهي لفظة مشتركة ، ويكون أيضاً بمعنى « بعد » ، لأنها من الأضداد ، ولكن في غير هذا الوضع .

(٢) سورة الرعد ٢

(٣) سورة الكهف ١٠٩

(٤) سورة لقمان ١٥

(٥) سورة الأعراف ١٩٥

(٦) سورة يونس ١٨

(٧) سورة آل عمران ١٥١

(٨) سورة آل عمران ٩٠



أصله لن يتوبوا فلن يكون لهم قبول توبة ، فأوثر الإلحاق ذهابا إلى انقضاء اللزوم بانقضاء اللازم ؛ وهو قبول التوبة الواجب في حكمة تعالى وتقدس .

وقوله : ﴿ وَلَا تُسْكِرْهُوا قَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبَيْتِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد محصنا ؛ لأنها نزلت فيمن يفعل ذلك .

ونظيره : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وأكل الربا منهي عنه قليلا وكثيرا ؛ لكنها نزلت على سبب ؛ وهو فعلهم ذلك ؛ ولأنه مقام تشفيع عليهم ، وهو بالكثير أليق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . . . ﴾ <sup>(٣)</sup> الآية ، المعنى آمنا بالله دون الأصنام وسائر ما يدعى إليه دونها ، إلا أنهم نفوا الإيمان بالملائكة والرسل والكتب للنزلة والبار الآخرة والأحكام الشرعية ، ولهذا أنه تسارد بقوله : ﴿ قَلَّمَ بِكَ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، بدلت إيمانه إيمانهم ، لأنه ضروري لا اختياري ، أوجب ألا يكون الكلام مسوقا لنفي أمور يرأى فيها الحصر والتقييد ، كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فإنه لم يقدم المفعول في « آمنا » حيث لم يرد ذلك المعنى ، فركب تركيبا يوم أفراد الإيمان بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان .

وقوله : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، قيل من هذا الباب ، فهي صفة لازمة ، وقيل التكبر قديكون بحق ، وهو الفخر عن الفواش والدنايا والتباعد من فعلها .  
وأما قوله : ﴿ وَالْإِنَّمِ وَالْبَنَى بَغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، فإن أريد بالبنى الظلم كان قوله : ﴿ بَغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً ، وإن أريد به الطلب كان قيداً .

(٢) سورة آل عمران ١٣٠

(٤) سورة الملك ٢٩

(٦) سورة الأعراف ٣٣

(٢٦ - برهان - ثالث)

(١) سورة النور ٣٣

(٣) سورة المؤمن ٨٤ ، ٨٥

(٥) سورة الأعراف ١٤٦

## مَعَادَة

اعلم أن نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ولا يدل عليه على نفيه ؛ ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتزام به ، فذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام .

\*\*\*

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، ولم يقل : « بضوئهم » بسد قوله : ﴿ أضأت ﴾ لأن النور أعم من الضوء ؛ إذ يقال على القليل والكثير ؛ وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> ففي الضوء دلالة على الزيادة ، فهو أخص من النور ، وعدمه لا يوجب عدم الضوء ، لاستلزام عدم العام عدم الخاص ، فهو أبلغ من الأول ، والفرض لإزالة النور عنهم أصلاً ، ألا ترى ذكره بعده : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهامنا دقيقة ، وهي أنه قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولم يقل : « أذهب نورهم » لأن الإذهاب بالشيء إشمار له بمنع عودته ، بخلاف الذهاب ؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب ، ومقتضى منعه من الرجوع .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَأْقُومُ كَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ولم يقل : « ضلال » ؛ كما قالوا :

١ . سورة البقرة ١٧

٢ . سورة يونس ٥

٣ . سورة البقرة ١٧

٤ . سورة الأعراف ٦١

﴿ إِنَّا نَتَرَكُ فِي ضَلَالٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، لأنّ نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة .  
وقال الزمخشري<sup>(٢)</sup> : لأن الصلاة أخص من الضلال ، فكان أبلغ في نفي الضلال  
عنه<sup>(٣)</sup> ، فكان أنه قال : ليس بشيء من الضلال ، كما لو قيل : [ لك ]<sup>(٤)</sup> لك ثمرة  
قلت : ما لي ثمرة .

ونازعه ابن اللّيث<sup>(٥)</sup> وقال : تعليله فيها أبلغ [ من نفي الضلال ] لأنها أخص  
[ منه ]<sup>(٦)</sup> وهذا غير مستقيم ، فإن نفي الأعم أخص من نفي الأخص ، ونفي الأخص أهم  
من نفي الأعم ، فلا يستلزمه لأن<sup>(٧)</sup> الأعم لا يستلزم الأخص . فإذا قلت : هذا ليس بإنسان  
لم يلزم سلب الحيوانية عنه ، وإذا قلت : هذا ليس بحيوان ، لم يكن إنسانا ، والحق  
أن يقال : الصلاة أدنى من الضلال [ وأقل ]<sup>(٨)</sup> ، لأنها لا تطلق إلا على القلة  
[ الواحدة ]<sup>(٩)</sup> منه ، والضلال يصلح للقليل والكثير ، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى  
لا من جهة كونه أخص ، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى .

\*\*\*

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾<sup>(١٠)</sup> ، ولم يقل  
« طولها » ، لأن العرض أخص ، إذ كل ماله عرض فله طول ، ولا ينعكس . وأيضاً  
إذا كان للشيء صفة ينفي ذكرها عن ذكر صفة أخرى ، دلت عليها كان الاقتصار عليها  
أولى من ذكرها ؛ لأن ذكرها كالتكرار ، وهو ممل ؛ وإذا ذكرت فالأولى تأخير  
الدلالة على الأخرى ؛ حتى لا تكون المؤخرة قد تقدمت الدلالة عليها .

(٢) الكشاف ٢ : ٨٩

(١) سورة الأعراف ٦٠

(٤) من الكشاف .

(٣) الكشاف : « عن نفسه » .

(٥) في حاشيته على الكشاف المعروفة بالانصاف ( ٢ : ٨٩ ) .

(٦) من حاشية ابن اللّيث .

(٧) حاشية ابن اللّيث : « ضرورة أن الأعم » .

(٩) سورة آل عمران ١٣٣

(٨) من حاشية ابن اللّيث .

وقد يحلّ بذلك مقصود آخر كافى قوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾<sup>(١)</sup> لأجل الجمع وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه ، كان الأولى الاختصار على الحالّ على الآخر ، فإن ذكرت الأولى تأخير الحال .

وقد يحلّ بذلك لمقصود آخر ؛ كافى قوله تعالى : ﴿ مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾<sup>(٢)</sup> وعلى قياس ما قلنا ينبئ الاختصار على صغيرة ، وإن ذكرت الكبيرة منها فلتذكر أولا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهْرُمَا ﴾<sup>(٣)</sup> وعلى ذلك القياس يكفى « لها أف » أو يقول « ولا نههما » ، « فلا تقل لها أف » ؛ وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهى عن التأفیف ، والمناية بالنهى ؛ حتى كأنه قال : نهى عنه مرتين : مرة بالمفهوم ، وأخرى بالمنطوق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> فإن النوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه معرفة الأشياء ، والسنة مما يتقدمه من النعاس ، فلم يكتبف بقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> ؛ دون ذكر النوم ؛ لثلا يتوهم أن السنة إنما لم تأخذها لضعفها ، ويتوهم أن النوم قد يأخذ لقوته ؛ فجعل بينهما لنفى التوهمين ، أو السنة فى الرأس ، والنعاس فى العين ، والنوم فى القلب ؛ تلخيصه هو منزّه عن جميع المفترقات ، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾<sup>(٦)</sup> لأنه خلقهما بما فيها ، وللشاركة إنما تقع فيما فيها ، ومن يمكن له ما فيها ؛ فعال نومه ومشاركته ؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيها . وأيضاً فإنه يلزم من نفي السنة نفي النوم أنه لم يقل : لا ينام ؛ وإنما قال : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ ﴾<sup>(٧)</sup>

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(١) سورة مريم ٥١

(٣) سورة الإسراء ٢٣

يعنى لا تغلبه ؛ فكأنه يقول : لا يغلبه القليل ولا الكثير من النوم . والأخذه اللفظ بمعنى القهر والغلبة ؛ ومنه مسمى الأسير : مأخوذاً وأخيداً . وزيدت « لا » في قوله : ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(١)</sup> لفيهما عنه بكل حال ، ولولاها لاحتمل أن يقال : لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة ، وإذا ذكرت صفات فإن كانت للمدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى ؛ ليكون للمدح متزايدا بتزايد الكلام ؛ فيقولون : فقيه عالم ، وضجاع باسل ، وجواد فياض ، ولا يسكون هذا لفساد للمعنى ؛ لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلًا تحته ، فلم يكن لذكره معنى ؛ ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالأسلم .

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل : أيهما أبلغ على ثلاثة أقوال : ثالثها أنها سواء .

قال الأتقيش<sup>(٢)</sup> : والحق أنك مهما نظرت إلى شخص ، فوجدته مع شرف العقل والنفس كريم ، الأخلاق والسجيا ، مقتدل الأفعال وصفته بالكمال ، وإن وجدته وصل إلى هذه الرتب بالكسب والمجاهدة وإمالة الرذائل وصفته بالفضل ؛ وهذا يقتضى أنهما متضادان ؛ فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بهجور .

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾<sup>(٣)</sup> إنما قدم الغيب مع أن علم الغيبات أشرف من المشاهدات ، والتمدح به أعظم ، وعلم البيان يقتضى تأخير الأمدح . وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عنا ، والعلم يشرف بكثرة متعلقاته ؛ فكان تأخير الشهادة أولى .

وقول الشيخ : إن للشاهدات له أكثر ، فيه نظر ؛ بل في غيبه ما لا يحصى ﴿ وَتَخْلُقُ

(١) سورة البقرة ٢٥

(٢) الأتقيش : منسوب إلى أقيش ، بضم الهزرة وسكون القاف ، إحدى مدن الأندلس . وله عبد الله

ابن يحيى النجيب الأتقيش ؛ شرح الشهاب ، واختصر كتاب مشكل القرآن لابن فورق ؛ وتوفى سنة ٥٠٢ هـ

(٣) سورة المؤمنون ٩٢

والنظر مجم البلدان ١ : ٣١٣

مَا لَا تَقْلُوبُونَ<sup>(١)</sup> ؛ وإنا الجواب أن الانتقال للأمدح ترقى ؛ فالتقصود هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء ، فنزل الترقى في اللفظ منزلة ترقى في المعنى ، لإفادة استوائها في علمه تعالى . ويوضحه قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> فصرح بالاستواء .

هذا كله في الصفات ، وأما للوصفات فعلى المكس من ذلك ؛ فإنك تبدأ بالأفضل ، فتقول : قام الأمير ونائبه وكتابه ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنْزِلَ وَالْإِنْفَالِ وَالْخَبِيرِ لَزَزْ كَبُوهَا . . . ﴾<sup>(٣)</sup> الآية ، تقدم الخليل لأنها أحد وأفضل من البنال ، وتقدم البنال على الخبير لذلك أيضاً .

فإن قلت : قاعدة الصفات منقوضة بالقاعدة الأخرى ؛ وهى أنهم يقدمون الأهم فالأهم في كلامهم كما نصّ عليه حيويوه وغيره .

وقال الشاعر :

أَبَى دَفَرْنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفْسِنَا      وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ  
قَلْتُ لَهُ نَعَاكَ فِيهِمْ أَعْمَى      وَدَعِ أَمْرَنَا إِنْ لِلَّهِمَّ الْقُدُّمُ

قلت : المراد بقوله : « تقدم الأهم فالأهم » فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين ، وأحدهما أهم من الآخر ؛ فإنه يتّفق ، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانتا صفتين لشئ واحد ؛ فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث .

هذا كله في صفات المدح ؛ فإن كانت للذم فقد قالوا : ينبغي الابتداء بالأشدّ ذمّاً ، كقوله تعالى : ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ قال ابن النفيس<sup>(٥)</sup> : في كتاب

(٢) سورة الرعد ١٠

(٤) سورة النحل ٩٨

(١) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ٨

(٥) هو على بن أبي الحزم القرشي علاء الدين ، المعروف بابن النفيس ؛ أعلم أهل عصره بالطب ؛ سكن مصر وتوفى بها سنة ٦٩٨ هـ ذكره السيوطي في الطبقات ٥ : ١٢٩ ؛ وكتابه طريق الفصاحة ، ذكره صاحب كشف القنون ص ١١١٤

« طريق النصيحة » : وهو عندى مشكل ؛ ولم يذكر توجيهه .

وقال حازم في « منهاجه » : يُبْدَأُ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس جديده أعنى ، ويبدأ في القَدَمَ بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالالتفات إليه أعنى ؛ وَيَنْتَقِلُ في الشيء إلى ما يليه من اللزجة في ذلك ، ويكون بمنزلة للصورة التي يُصور أولاً ما حل من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدق فالأدق .

## فائدة

نفى الاستطاعة قد يُراد به نفي الامتناع ، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه ؛ نحو هل تستطيع أن تكلمني ؟ بمعنى هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل ؟ وقد حل قوله تعالى حكاية عن الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ <sup>(١)</sup> على المعنى الأول ؛ أي هل يجيبنا إليه ؟ أو هل يفعل ربك ؟ وقد علموا أن الله قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال ، وإنما استظهموا هل هنا صارف أو مانع ؟ وقوله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة كقوله تعالى : ﴿ لَنْ نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ <sup>(٥)</sup>

(٢) سورة يس .

(٤) سورة الكهف ٧٧

(١) سورة المائدة ١١٢

(٣) سورة الأنبياء ٤٠

(٥) سورة الكهف ٦٧

## فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> ، قالوا : المجاز يصح فيه بخلاف الحقيقة ، لا يقال للأسد : ليس بشجاع .  
وأجيب بأن المراد بالرمي هنا للرتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ؛ فالوارد عليه السلب هنا مجاز لاحقيقة ؛ والتقدير : وما رميت خلقا إذ رميت كسبا ، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء ؛ وما رميت مجازا إذ رميت حقيقة .



## إِخْرَاجُ الْكَلَامِ مَخْرَجِ الشَّكِّ فِي اللَّفْظِ وَدُونِ الْحَقِيقَةِ لِضَرْبِ الْمَسَامَحَةِ وَحَسْمِ الْعِنَادِ

كقوله: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ لَهْلَةٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ وهو يعلم أنه على الهدى، وأنهم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تقاضيا ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
ومحواه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>  
أورده على طريق الاستفهام؛ وللعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتآمرتم عليهم لما تبين لكم من للشاهد ولاح منكم في الخيال: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> نهالكا على الدنيا؟

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سَوْقٍ غَيْرِ الْمَعْلُومِ سِيَاقٍ غَيْرِهِ، ليؤدِّيهم التأمُّل في التوقع عن تصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصبهم الله وأعمى أبصارهم، فيأمرهم به على اللطف وجه؛ إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفاً لقلوبهم، ولذلك التفت عن الخطاب إلى النبية، تقادياً عن مواجهتهم بذلك.  
وقد يخرج الواجب في صورة الممكن، كقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٢) سورة الزخرف ٨١

(٤) سورة الإسراء ٧٩

(١) سورة سبأ ٢٤

(٣) سورة القتال ٢٢

(٥) سورة المائدة ٥٢

و (وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) <sup>(٣)</sup>.

(وَعَسَىٰ أَنْ تَسْكُرَهُمَا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) <sup>(٣)</sup>.

وقد يخرج الإطلاق في صورة التضييد كقوله : (حَقًّا يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ آفِيَاطٍ) <sup>(٣)</sup>.

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَسْكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا) <sup>(٤)</sup> فاللحن لا يكون أبدا من حيث علقه بعيشة الله ؛ لما كان معلوما أنه يشاؤه ؛ إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ، وكل أمر قد علق بما لا يكون قد نفي كونه على أبعد الوجوه .

وقال قطرب : في الكلام تقديم وتأخير ، والاستثناء من الكفار لا من شعيب ، واللعن : لتُخْرِجَنَّكَ يا شعيب ، والذين آمنوا مملوك من قريتنا ؛ إلا أن يشاء الله أن نمودوا في مملكتهم . ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَسْكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا) <sup>(٤)</sup> ، على كل حال .

وقيل : الماء عائدة إلى القرية ، لا إلى الله .

## الاعراض عن ضريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> ، أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب ، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر ، تفخيماً لمقدار الجزاء ، لما فيه من إيهام للتدابر ، وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه ، على حدّ « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ، أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط ، تنبيهاً على عظم ما يُنال ، وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل ، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها .

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup> ، وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع ، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره للبتدأ الذي هو الدين عن ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر ، فبني مبتدأ على مبتدأ وجمع ، والمعنى قوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾<sup>(٣)</sup> من خبر للبتدأ الأول ، وتقديره : إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ ، لَأَنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

## السم

وهو أن يأتي الغير بكلام يتضمن معنى ، فتأتي بضده ؛ فإنك قد خدمت ما بناه  
 للعالم الأول ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ <sup>(١)</sup>  
 هدمه بقوله : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وبقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>  
 وبقوله : ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ تحذيره إن كنتم صادقين في دعواكم .  
 ومنه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ <sup>(٥)</sup>  
 هدمه بقوله : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وقوله : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> .  
 ومنه : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ <sup>(٨)</sup> هدمه بقوله :  
 ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، أى في دعواهم الشهادة .

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة المائدة ١٨

(٦) سورة المؤمنون ٩١

(١) سورة المائدة ١٨

(٣) سورة آل عمران ٥٧

(٥) سورة التوبة ٣٠

(٧) سورة المنافقون ١

## التوسيع

منه الاستدلال بالنظر في اللسكوت ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّعَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وبكثر ذلك في تدبيرات العقائد الإلهية : لتسكن في النفوس ، كقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ وذلك بعد ذكر النطفة وقبليها في مراتب الوجود ، وتطورات الخلقة .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ومنه التوسيع في ترادف الصفات ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَسْكَدْ بِرَأْسِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فإنه لو أريد اختصاره لكان : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ <sup>(٥)</sup> مظلم . ومنه التوسيع في الهم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مِثْلِهِ . تَهَازِءُ مَشَاوِرَ بَنِيهِمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> إلى قوله : ﴿ عَلَى الْغُرِّ ظُلُومٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(١) سورة البقرة ١٦٤

(٢) سورة البقرة ١٦٤

(٣) سورة الزمر ٦٧

(٤) سورة الزمر ٦٧

(٥) سورة القلم ١١

(٦) سورة القلم ١١ ، ١٠

(٧) سورة القلم ١٦

## التشبيه

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب للماني أقادها كلاما ،  
وكساها حلة وجالا ، قال للبرّدي « الكامل » : هو جارٍ في كلام الرب حتى لو قال  
قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد .  
وقد صنّف فيه أبو القاسم<sup>(١)</sup> بن البنداري البندادي كتاب « الجانف في  
تشبيهات القرآن » .

### [مباحث التشبيه]

وفيه مباحث :

#### الأول

##### في تعريفه

وهو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه .  
وقيل : أن تثبت للشبهة حكما من أحكام التشبيه به .  
وقيل : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد ؛ كالطبيب  
في اللسك ، والضياء في الشمس والنور في القمر . وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين  
بمخلاف الاستعارة .

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن نايقا ، الأديب الفاضل القنوي ، المتوفى سنة ١٤١٠ هـ  
ويوجد من كتابه الجمان نسخة مصورة بمسند المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ عن نسخة مخطوطة بمكتبة  
الأسكندرية .

## الثاني

### في الفرصه منه

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ؛ وإدناؤه البعيد من القريب ؛  
لهنيد بياناً .

وقيل : الكشف عن المني للقصود مع الاختصار ؛ فإنك إذا قلت : زيد أسد ، كان  
الفرسُ بيان حال زيد ، وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك ؛ إلا أننا لم نجد  
شيئاً يدل عليه سوى جعلنا إبطه شبيهاً بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مخصصة به ،  
فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا : زيد شهم شجاع قوى البطش ونحوه .

## الثالث

### في أنه حقيقة أو مجاز

والحقوقون على أنه حقيقة ، قال الزنجاني<sup>(١)</sup> في « المعيار » : التشبيه ليس بمجاز ؛  
لأنه معنى من اللاماني ؛ وله ألفاظ تدل عليه وضماً ؛ فليس فيه قل اللفظ عن موضوعه ؛  
وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل ؛ لأنه كالأصل لها ، وهما كالفرع له .  
والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يحىء على حد الاستعارة .  
وتوسط الشيخ عز الدين ، قال : إن كان يحرف فهو حقيقة ، أو بمجذفه فمجاز ، بناء  
على أن الحذف من باب المجاز .

---

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني ؛ أحد علماء المربية ؛ تولى  
سنة ٦٥٥ ذكره الزركلي في الأعلام ٢ : ٦٠٨ ( المطبعة المربية ) ، وصاحب كشف القناع ١٧٤٣ .

## الراج في أدواته

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبهه، ونحوهما، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ مُقَشَّاتٍهَا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾<sup>(٤)</sup>.  
والأفعال كقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾<sup>(٥)</sup> ﴿يُخِيلُ إِلَهُكَ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسْعَى﴾<sup>(٦)</sup>.

والحروف إما بسيطة كالكاف؛ نحو: ﴿كَرَّمَادِ أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾<sup>(٨)</sup> وإما مركبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٩)</sup>.

الخامس

## في أقسامه

وهو ينقسم باعتبارات:

### الأول

أنه إما أن يشبه بحرف، أو لا.

\*\*\*

ونشبه الحرف ضربان:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾<sup>(١٠)</sup>.  
وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾<sup>(١١)</sup>.

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| (٢) سورة هود ٢٤      | (١) سورة آل عمران ١١٧ |
| (٤) سورة البقرة ٧٠   | (٣) سورة البقرة ٢٥    |
| (٦) سورة طه ٦٦       | (٥) سورة النور ٣٩     |
| (٨) سورة آل عمران ١١ | (٧) سورة إبراهيم ١٨   |
| (١٠) سورة النور ٣٥   | (٩) سورة الصافات ٦٥   |
|                      | (١١) سورة الرحمن ٢٤   |



(فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) <sup>(١)</sup>.

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) <sup>(٢)</sup>.

(وَحُورٌ عَيْنٌ. كَمَا مَثَالِ الثُّرُودِ الْمَكُونِ) <sup>(٣)</sup>.

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) <sup>(٤)</sup>.

وثانها : أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكّد ، ليكون ذلك علماً على هو التشبيه وتأكّده ، وكقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) <sup>(٥)</sup>.

(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَسْكُونٌ) <sup>(٦)</sup>.

(وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبِلَ فَوَقَّعَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) <sup>(٧)</sup>.

(تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) <sup>(٨)</sup>.

(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) <sup>(٩)</sup>.

فإن قيل : كيف استرسل أهل الجنة وقوله : (كَلَّمَآ رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ نَمْرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ) <sup>(١٠)</sup> ، ولا شك أنه ليس به ، واحتازت بليّس فقالت : (كَأَنَّهُ هُوَ) <sup>(١١)</sup> ، ولم تقل : هو هو ؟

قيل : أهل الجنة وثقوا بأن القرض مفهوم ؛ وأن أحداً لا يمتد في الحاضر أنه عين للسهمك للماضي ؛ وأما بليّس فالتبس عليها الأمر ، وغفلت أنه يشبهه ،

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٤) سورة الحديد ٢١

(٦) سورة الصافات ٤٩

(٨) سورة القمر ٢٠

(١٠) سورة البقرة ٢٥

(١) سورة الرحمن ٣٧

(٣) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الرحمن ٥٨

(٧) سورة الأعراف ١٧١

(٩) سورة الحاقة ٧

(١١) سورة النمل ٤٢

لأنها بَنَتْ على المادة ، وهو أن السرير لا ينقل من إقليم إلى آخر في طرفة عين .

\*\*\*

وأما التشبيه بغير حرف، فيُقصد به اللبائنة، تنزيلاً للثاني منزلة الأول مجوزاً، كقوله:

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَسَرَّاجًا مُنِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وكذلك : ﴿ تَمْرٌ مِثْلَ النَّخْلِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أى كأنها في بياضها من فضة ، فهو على التشبيه ، لا على أن القوارير من فضة ، بدليل قوله : ﴿ يَكْأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيْضَاءَ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، قوله : ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ مثل قوله : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

### تنبيهان

الأول : هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض اللواضع ، والفرق بينهما - كما قاله حازم وغيره - أن الاستعارة ، وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأنَّ تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

وقال الزماني في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ <sup>(٧)</sup> ، أى تبصره ، لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها .

(٢) سورة الأحزاب ٤٦

(٤) سورة النمل ٨٨

(٦) سورة الصافات ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الأحزاب ٦

(٣) سورة آل عمران ١٣٣

(٥) سورة النحر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة الإسراء ٥٩

وقد اختلف البيانون في نحوه قوله تعالى : ﴿صُمُّ بَصَرِكُمْ أَفْمُتُّنَ﴾<sup>(١)</sup> ، إنه تشبيه بلغ أو استعارة ؟ والمحققون - كما قاله الزحشرى - على الأول ، قال : <sup>(٢)</sup> لأن الاستعارة المذكورة - وهم للناقضين - ، أى مذكورة في تقدير الآية ، والاستعارة لا يذكر فيها المستعار له<sup>(٣)</sup> ، ويجعل الكلام خلوا عنه ، بحيث يصلح<sup>(٤)</sup> لأن يراد به للنقول عنه و [ للنقول ]<sup>(٥)</sup> إليه لولا القرينة<sup>(٦)</sup> ، ومن ثم ترى للقلبين السحرة [ منهم ، كأنهم ]<sup>(٧)</sup> يفتنسون التشبيه ويضربون عنه<sup>(٨)</sup> صفحا .

وقال السكاكى : لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسى التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة .

\*\*\*

الثانى : قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذ لو لم يرَدْ معنى ولم يكن منوباً ، كان استعارة .

مثاله قوله تعالى : ﴿حَقُّ يَبْتِغِينَ لَكُمُ أَغْلَيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ أَغْلَيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾<sup>(٩)</sup> ، فهذا تشبيه لا استعارة ، فذكر الطرفين : اغليط الأسود ، وهو ما يجتدعه من غسق الليل شبيهاً بغليط أسود وأبيض ، ويؤنثا بقوله : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ والفجر - وإن كان بياناً للغليط الأبيض - لكن لما كان أحدهما بياناً للآخر دلالة عليه ، اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة ؛ كما أن قولك : رأيت أسداً ، استعارة ، فإذا زدت « من فلان » صار تشبيهاً ، وأما أنه لم يزد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ حق صار تشبيهاً ؟ وهذا أقصر به

(٢) الكشف ١ : ٨٠

(١) سورة البقرة ١٨

(٢) عبارة الكشف : « والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار .

(٣) الكشف : « صلياً لأن يراد به للنقول عنه » . (٤) من الكشف .

(٥) الكشف : « لولا دلالة الحال أو لغوى الكلام ؛ كقول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْمَرْ

(٧) سورة البقرة ١٨٧

(٨) الكشف : « من توهمه » .

على الاستمارة التي هي أبلغ ا فلان شرط الاستمارة أن يدلّ عليه الحال ، ولو لم يذكر  
 ﴿مِنَ النَّجَرِ﴾ لم يعلم أن الخيطين مستعاران من « بدا النجر » ، فصار تشبيها .

### التقسيم الثاني

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنها :

إما حسيان ، كقوله تعالى : ﴿حَقِّ عَادَ كَالْمُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ  
 أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

أو عقليان ، كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ  
 أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>(٣)</sup> .

وإما تشبيه المقول بالحسوس ، كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الشَّكَبُوتِ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ وقوله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَهْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ  
 اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾<sup>(٦)</sup> ، لأن حملهم  
 التوراة ليس كالحمل على الماتق ، إنما هو القيام بما فيها .

وأما عكسه فنعمه الإمام ، ، لأن العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : مَنْ قَدَّ حِسًّا  
 قَدَّ قَدًّا علما ؛ وإذا كان الحسوس أصلا للمقول فتشبيهه به ، يستلزم جعل الأصل فرعا  
 والفرع أصلا ، وهو غير جائز .

(٢) سورة النمر ٢٠

(٤) سورة الشكيبوت ١

(٦) سورة النجمة ٥

(١) سورة يس ٣٩

(٣) سورة البقرة ٧٤

(٥) سورة إبراهيم ١٨

وأجازه غيره كقوله :

وَكأنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهِ سُنَنِ لَاحَ يَنْهِنُ اجْتِلَاعُ<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وينقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

الأول : قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتمادا على معرفة النقيض والضد ،  
فلئن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٢)</sup> ،  
فشبه بما لا نشك أنه منكر قبيح ، لِمَا حَصَلَ فِي قُوسِ النَّاسِ مِنْ بَشَاعَةِ صُورِ الشَّيَاطِينِ ،  
وإن لم ترها عيانا .

الثاني : عكسه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
أخرج ما لا يُحْسَن - وهو الإيمان - إلى ما يحسن - وهو السراب - وللمنى الجامع بطلان  
العموم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث : إخراج ما لم يجر العادة به إلى ما جرت به ، نحو : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ  
فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، والجامع بينهما الانتفاع بالصورة . وكذا قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ  
أَحْيَاءِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup> ، والجامع البهجة والزينة ، ثم الهلاك ،  
وفيه العبرة .

الرابع : إخراج ما لا يُعرف بالبدئية ، إلى ما يُعرف بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾<sup>(٦)</sup> ، الجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

(١) البهت لغاشي التنوخى ؛ وهو من هوامد اللطاح ١٤٦ ، وانظر البتية ٢ : ٣١٠ ،

(٢) سورة الصافات ٦٥

وأسرار البلاغة ٢٠٧

(٤) سورة الأعراف ١٧١

(٢) سورة التور ٣٩

(٦) سورة آل عمران ١٣٢

(٥) سورة يونس ٢٤

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾<sup>(١)</sup> ، والجامع فيها العظم ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من اللاء .  
وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن .

### التقسيم الثالث

ينقسم إلى مفرد ومركب :

وللرَّكَب أن يُنَزَّعَ من أمور مجموع بعضها إلى بعض ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْخَمِيرِ بِحِمْلِ أَسْفَارٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالتشبيه مركَّب من أحوال الخمار ؛ وذلك هو حَمْلُ الأَسْفَارِ التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمرة العقول ، ثم لا يُحَسِّنُ ما فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحوال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له مما يحمل حظَّ سوى أنه يتحمل عليه ويحميه .  
وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَعَسِ كَمَثَلِ الْغَنَاقِوتِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْحَيَاتِ الْدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَّا لَمَاءً ﴾<sup>(٤)</sup> ، قال بعضهم : شبه الدنيا بالماء ، ووجه الشبه أمران : أحدهما أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك ضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا . وثانيهما أن الماء إذا طبقت كفتك عليه لصغفه لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا ، وليس الراد تشبيهاً بالماء وحده ؛ بل الراد تشبيهه بهجة الدنيا في قلة البقاء والدوام / بأن يبقى النبات الذي يصير بعد تلك البهجة والتضاضة والطراوة إلى ما ذكر .

(١) سورة الرحمن ٢٤

(٢) سورة الجمعة ٥

(٣) سورة النعكيت ٤١

(٤) سورة الكهف ٤٥

١. ومن تشبيه الفرد بالركب قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه سبحانه أزاود تشبيه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن ، ثم مثله بمصباح ؛ ثم لم ينع بكل مصباح ؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ؛ بوضعه في مشكاة ؛ وهي الطاقة غير النافذة ؛ وكونها لا تنفذ ؛ لتكون أجمع للتبصر ، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة ، فيه السكوب الذي في صفائها ، ودُهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقودا ، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها أعدل إضاءة .

وهذا مثل ضرب الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما : ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، والثاني : ﴿ كَطَلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَحِيٍّ ﴾<sup>(٣)</sup> ، شبه في الأول ما يله من لا يقدر الإيمان المتعب بالأعمال التي يحسبها بقية ، ثم يغيب أمه ، بسراب يراه الكافر بالساخرة ، وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيجئته فلا يجد ماء ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم .

### البحث السادس

ينظم قواعد تتعلق بالتشبيه

الأولى : قد نُشِبَ أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر التشبهات ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٣٥

(٢) من قوله تعالى في سورة النور ٢٩ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَنسَاهُ الظَّلَامُ مَاءٌ حَقٌّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ .

(٣) من قوله تعالى في سورة النور ٤٠ ، في الآية : ﴿ أَوْ كَطَلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَحِيٍّ يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قُوَّةٍ مَوْجٌ مِنْ قُوَّةٍ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَسْكَدْ يَوْمَئِذٍ .

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْأُلَمِيُّ)<sup>(١)</sup>، وتارة لا يصريح به بل يعيى مطوياً على سنن الاستمارة ، كقوله : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)<sup>(٢)</sup>، (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...) <sup>(٣)</sup> الآية .

قال الزمخشري<sup>(٤)</sup> : والقي عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات للركبة<sup>(٥)</sup> لا المفردة ؛ بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى [معزولا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بمجزئة ذلك] <sup>(٦)</sup> فتشبهها بنظائرها كما ذكرنا<sup>(٧)</sup> ، وتشبه كيفية حاصلته من مجموع أشياء تضامّت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى ، كقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّوَارِءُ...) <sup>(٨)</sup> الآية .

ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات ؛ كما في تمثيل الله حال المناقذين أول سورة البقرة ، قال الزمخشري ؛ وأبلغه الثاني ؛ لأنه أدلّ على فرط الحيرة ، وشدة الأمر وفظاعته ؛ ولذلك أحرّ ، قال : وهم يتدرجون في نحو هذا ، من الأهون إلى الأغظ .

\*\*\*

الثانية : أعلى مراتب التشبيه في الألفية ترك وجه الشبه وأداته ، نحو زيد أسد ؛ أما ترك وجهه وحده ، فكذلك : زيد كالأسد ؛ وأما ترك أداته وحدها ؛ فكقوله : زيد الأسد شدة .

وفي كلام صاحب « الفتاح » إشارة إلى أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك أداته ؛ قال : لمعوم وجه الشبه .

- |  |                   |
|--|-------------------|
| (١) سورة غافر ٨  | (٢) سورة طاهر ١٢  |
| (٣) سورة الزمر ٢٩  | (٤) الكشاف ١ : ٦١ |
| (٥) الكشاف : « دون المفرقة » .                             | (٦) من الكشاف     |
| (٧) عبارة الكشاف : « كما قيل امرؤ القيس وجاء في القرآن » . |                   |
| (٨) سورة الجمعة  |                   |



وخالفه صاحب « ضوء الصباح »<sup>(١)</sup> لأنه إذا عمّ واحتمل التعمد ، ولم يبق دلالة على ما به الاشتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم ؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذم لا مدح ، وهو غير لازم في ترك الأداة ؛ إلا أن يقال : يلزم مثله من تركها ، لأن قرينة ترك الأداة ، تصرف إرادة للدخول دون التعمد  
وذكرها كقولك : زيد كالأسد شدة .

\*\*\*

الثالثة : قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين الشبه ، ولكنه ملتبس به ، واعتقد على فهم المخاطب ، كما قال تعالى : ( كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... )<sup>(٢)</sup> الآية ، المراد : كونوا أنصارا لله خالصين في الاقياد ؛ كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا .  
وعاد على السياق قوله تعالى : ( وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ )<sup>(٣)</sup> ، وفيه زيادة ، وهو تشبيه الخارق بالعتاد .

\*\*\*

الرابعة : إذا كانت فائدته ، إنما هي تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له ، فحقه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم ، والتقصيد التنبيه بالأدنى على الأهل ، مثل قياس الصعوى ؛ ولا سيما إذا كان الدنو جدا أو العلو جدا ، وعليه بنى المرعى قوله :  
ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى  
وقول آخر :

كالبحر والكاف أني ضفت زائدة فيه فلا تظننّها كاف تشبيه

(١) اختصر ابن مالك كتاب الفتاح وسماه الصباح في تلخيص الفتاح ؛ ونقله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي للشرح ، ثم شرحه وسماه ضوء الصباح على ترجيز للصباح . كشف الظنون : ١٠٨٩  
(٢) سورة الصف ١٤  
(٣) سورة الأعراف ١٧١

وأما قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ﴾ <sup>(١)</sup> فيمكن أن يكون التشبيه أقوى لكونه في اللعين أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ فهو من تشبيه الغريب بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس . وفيه دليل على جواز القياس ، وهو رد فرع إلى أصل لشبهه ما ؛ لأن عيسى رُدَّ إلى آدم لشبهه بينهما ؛ وللعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم ، فكذلك خلق عيسى من غير أب .

وقوله : ﴿كَانَهُمْ خَشْبٌ مُّسَدَّدٌ﴾ <sup>(٣)</sup> شبههم بالخشب ، لأنه لا روح فيها ، وبالمسندة لأنه لا ارتفاع بالخشب في حال تسليده .



الخامسة : الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وهو الكامل ، كقولك : ليس الفضة كالذهب ، وليس العبد كالحر ؛ وقد تدخل على المشبه لأسباب : منها وضوح الحال ، كقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرِهَ أَكَاؤُنِي﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ فإن الأصل وليس الأتني كالأكر ؛ وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن معنى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرِهَ﴾ الذي طلبت ﴿كَأَكَاؤُنِي﴾ التي وهبت لها ، لأن الأتني أفضل منه . وقيل : لمراعاة الفواصل ، لأن قبله : ﴿إِنِّي وَصَّيْتُهَا أَنْتِي﴾ <sup>(٥)</sup> .

ووم ابن الزمكاني في « البرهان » حيث زعم أن هذا من التشبيه المتقارب ، وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى .

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة آل عمران ٣٦

(١) سورة النور ٣٥

(٣) سورة المنافقين ٤

وقيل : لما كان جَعْلُ الفرع أصلا والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات يقتضى للبالغة في التشبيه ؛ كقولهم : اتمر كوجه زيد ، والبحر ككفّيه ، كان جبل الأصل فرعاً والفرع أصلاً في كماله الذي يقتضى نقيّ للبالغة في للشابهة ؛ لانقي للشابهة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن للشابهة واقعة بين الذكر والأنثى في أعم الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يُقَاد أحدهما بالآخر .

ومنها قصد للبالغة ، فيقلب التشبيه ، ويُجمل للشبه هو الأصل ويسمى تشبيهه العكس ؛ لاشتراكه على جبل الشبه مشبهاً به ، وللشبه بمشبها ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ؛ لأن الكلام في الربا لا في البيع ، لكن عدلوا من ذلك وتجردوا ، إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز ، وأنه الغليظ بالحل .

ويجمل أن يكون المراد إلزام الإسلام ، فيحرّم البيع قياساً على الربا ، لاشتراكه على الفضل طرداً لأصلهم ؛ وهو في للنبي شخص على علة التصريح ؛ ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وفيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واختصاصها من غير تعرض لإجرائها على قانون واحد ، وأن الأسرار الإلهية كثيراً ما تخفى ؛ وهو أعلم بمصالح عباده فيسلم له عنان الاشياد ؛ وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجليّ ، وجاء الجواب بفكّ الملازمة ، وأن الحكمة فرقت بينهما . وفيه إبطال التقياس في مقابلة النص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَنَنْخُلُكُمْ كَمَا نَخْلُقُكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ؛ فإن الظاهر العكس ، لأن

الخطاب لعبدة الأوثان ؛ وسموها آلهة ، تشبيها بالله سبحانه ، وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخوف في خطابهم ؛ لأنهم بالنوا في عبادتهم وغلوا ، حتى صارت عندهم أصلا في العبادة ، والخالق سبحانه فرعا ، فجاء الإشكال على وفق ذلك .

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق خوطبوا بأشد الإرامين ؛ وهو تنقيص للقدس لا تقديس الناقص .

قال السكاكي : وعندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحى القادر من الخلق تعريضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى . وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَلَفَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾<sup>(١)</sup> بدل « هواء إلهه » فإنه جعل للفعول الأول ثانيا والثانى أولا ؛ فتنبيه على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلهه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَتَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجُفَرَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَرِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن بعضهم أورد أن أصل التشبيه يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : « أفجعل الجرمين كالمسلمين ، والفجار كالمؤمنين » ، فلم خولفت القاعدة !

ويقال : فيه وجهان :

أحدهما : أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعا لنا ، فكما أعزنا الله في هذه الدار يزنا في الآخرة ، فجاء الجواب على معتقدهم أنهم أعلى ، وغيرهم أدنى .

الثانى : لما قيل قبل الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِطْلَاقٍ ذَلِكِ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا<sup>(١)</sup>؛ أَيْ يظنون أن الأمر بهمل، وأن لاحشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك، ولكن يظنون أنا نجعل للمؤمنين كالحجرمين، والمعتقين كالنجار.

\*\*\*

السادسة : أن التشبيه في القدم يشبه الأعلى بالأدنى ، لأن اقدم مقام الأدنى ، والأعلى ظاهر عليه فيشبه به في السلب ، ومنه قوله : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أَيْ فِي النِّزُولِ لَا فِي الْمَوْتِ .

ومنه : ﴿ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> أَيْ فِي سُوءِ الْحَالِ ؛ وَإِذَا كَانَ فِي اللَّحْمِ يَشَبُّهُ الْأَدْنَى بِالْأَعْلَى فَيَقَالُ : تَرَابٌ كَالْمَسْكِ ، وَحُمَى كَالْيَاقُوتِ ، وَفِي الدَّمِ : مَسْكٌ كَالْتَرَابِ وَيَاقُوتٌ كَالزُّجَاجِ .

\*\*\*

السابعة : قد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك ، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾<sup>(٤)</sup> . فَمَثَلُ الْقَدِيرِ : وَمَثَلُ وَاظِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَمَثَلُ الْوَاظِ ، وَالْقَصُودُ تَشْبِيهِ حَالِ الْوَاظِ مِنْهُمْ بِالنَّاقِ لِلْأَغْنَامِ ، وَهِيَ لَا تَقْلُ مَعْنَى دَعَائِهِ وَإِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا تَفْهَمُ غَرَضَهُ ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّشْبِيهُ عَلَى النَّفْمِ الَّتِي يَنْفِقُ بِهَا الرَّاعِي ، وَيَعِدُّ صَوْتَهُ إِلَيْهَا ، وَفِيهِ وَجُوهٌ : أَحَدُهَا : أَنَّ الْمَعْنَى : مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّفْمِ لَا تَفْهَمُ نَدَاءَ النَّاقِ ، فَأُضَافُ الْمَثَلُ إِلَى النَّاقِ ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى لِلْمَنْقُوقِ بِهِ ، عَلَى الْقَلْبِ .

ثَانِيهَا : وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَثَلْنَا وَمَثَلُكَ ، كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ ، أَيْ مَثَلُهُمْ فِي الْإِعْرَاضِ

(٢) سورة الأحزاب ٢٢

(٤) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة ص ٢٧

(٣) سورة ص ٢٨

ومثلنا في الدعاء والإرشاد ، كمثل الناقى بالنم ، غذف للثل الثانى كفاء بالأول ، كقوله :  
﴿ سَرَّائِيلَ تَقِيكُمُ الْغُرَّةَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وثالثها : أن للنفى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام - وهى لا تقبل ولا تسمع -  
كمثل الذى ينطق بما لا يسمع ؛ وعلى هذا فالدعاء والدعاء منتصبان به « ينطق » و « لا » تؤكد  
الكلام ، ومعناها الإنفاء .

رابعها : أن للنفى ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واستزادهم  
إياها ، كمثل الراعى الذى ينطق بنمته وينادىها ، فهى تسمع نداء ولا تفهم معنى كلامه ،  
فيشبه من يدعو الكفار من المبودات من دون الله بالنم من حيث لا تقبل الخطاب .  
وهذا قريب من الذى قبله ، ويترقان في أن الأول يقتضى ضرب للثل بما لا يسمع  
الدعاء والنداء جملة ، ويجب صرفه إلى غير النعم ، وهذا يقتضى ضرب للثل بما لا يسمع  
الدعاء والنداء جملة ، وإن لم يفهمها ، والأصنام - من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة -  
يجب أن يكون داعيها ونادىها أسوأ حالا من منادى النعم . ذكر ذلك الشريف للرفعى  
في كتاب « غرر الفوائد »<sup>(٢)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَسَمَلِ رِيحٍ فِيهَا مِرٌّ ﴾<sup>(٣)</sup> الآية ، وإنما وقع التشبيه  
على الحرب التى أهلكته الريح ، قيل فيه إشهار ، أى مثل إهلاك ما ينفقون كمثل  
إهلاك ريح .

قال ثعلب : فيه هديم وتأخير ، أى كمثل حرث قوم غلوا أنفسهم أصابته ريح  
فيها صر فأهلكته .

(١) سورة النمل ٨١

(٢) وهو الكتاب المعروف بأمانى للرفعى ٢١٧ - ٢١٨

(٣) سورة آل عمران ١١٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإنَّ التقدير : كما يحب المؤمنون الله ، قال : وحُذِفَ الفاعل ، لأنه غير ملتبس .  
واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك ، فإنَّ المعنى حاصل بتقديره مبنياً للفاعل .  
وأجيب بأنه تقدير معنى ، لكنَّ محافظةً على اللفظ فلا يقدَّر الفاعل ، إذ الفاعل في  
باب المصدر فضلة ، فلذلك جعله كذلك في التقدير .

## الاستعارة

هي من أنواع البلاغة ، وهي كثيرة في القرآن ، ومنهم من أنكره ؛ بناء على إنكار الجواز في القرآن ، والاستعارة مجاز ، وقد سبق تقديره . ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ الاستعارة فيه ، لأن فيها إيهاما للحاجة ، وهذا كما منع بعضهم لفظ : القرآن مخلوق ، وهو لا ينكر وقوع المجاز ، والاستعارة فيه إنما توقف على إذن الشرع .

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإيهام ؛ وقد يعمنون الإيهام للذكور لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب القصاحة .

وقال الطرطوسي<sup>(١)</sup> : إن أطلق للسلون الاستعارة فيه أطلقناها وإن امتنعوا امتنعنا ؛ ويكون هذا من قبيل أن الله تعالى عالم ، والعلم هو العقل ، ثم لا نصيفه به لعدم التوقيف . انتهى .  
والشهور تجوز الإطلاق .

### [ مباحث الاستعارة ]

ثم فيها مباحث :

#### الأول

وهي « استعمال » ، من العارية ، ثم نقلت إلى نوع من التخيل<sup>(٢)</sup> لتعبد للبالغة

---

(١) هو القاضي نجيم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي المتوفى سنة ٧٥٨ ، صاحب كتاب عمدة المحكام فيما لا ينفذ من الأحكام ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٢) ت : « التخييل » .



في التخيل والتشبيه مع الإيجاز؛ نحو قيت أسداً، وتنفى به الشجاع .  
وحقيقتها أن استعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها ، وحكمة  
ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ، أو بموصول للمبالغة أو للمجموع .  
فقال إظهار الخفي قوله تعالى : ﴿ وَآتَاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإن حقيقته أنه في  
أصل الكتاب ؛ فاستعير لفظ « الأم » للأصل ؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كما تنشأ  
الفروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمركب حتى يصير مركباً ، فينقل السامع  
من حد السماع إلى حد البيان ؛ وذلك أبلغ في البيان .

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ  
الْقُلُوبِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ لأن المراد أمر الولد بالقلل لوالديه رحمة ؛ فاستعير للولد أولاً جانب ، ثم  
جانب جناح ؛ وتقدير الاستعارة القريبة : « وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَانِبَ الْقُلُوبِ » ، أي اخفض  
جانبك ذلاً .

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمركب مركباً ؛ لأجل حسن البيان ، ولما كان  
للمراد خفض جانب الولد للوالدين ؛ بحيث لا يبقى الولد من القلل لهما والاستكانة مركباً ؛  
احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ؛ فاستعير الجناح ، لما فيه من المعاني التي لا تحصل  
من خفض الجناح ؛ لأن من ميل جانبه إلى جهة السفلى أدنى ميل ، صدق عليه أنه خفض  
جانبه ؛ والمراد خفض يلقى الجنب بالإبط ؛ ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر ؛  
وأما قول أبي تمام :

لا تسقى ماء السلام فلنقى صبة قد استعذبت ماء بكائي <sup>(٣)</sup> .  
فيقال : إنه أرسل إليه قارورة ، وقال : ابست إلى فيها شيئاً من ماء للام ، فأرسل

(٢) سورة الإسراء ٢٤

(١) سورة الزخرف ٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٥

أبو تمام : أن ابنت لي ريشة من جناح الدَّلْ أبنت إليك من ماء اللام .  
وهذا لا يصحُّ له نفاق به ، والفرق بين التشبيهين ظاهر ؛ لأنه ليس جعل الجناح للدَّلْ  
كجعل الماء لللام ، فإن الجناح للدَّلْ مناسب ؛ فإن الطائر إذا وهى وتسب بسط جناحه  
وألقى نفسه إلى الأرض . وللإنسان أيضاً جناح ؛ فإن يديه جناحه ، وإذا خضع وأستكان  
يطأطئ من رأسه ، وخفض من بين يديه ، لحسن عند ذلك جعل الجناح للدَّلْ ، وصار  
شبهاً مناسباً ، وأما ماء اللام فليس كذلك في مناسبة التشبيه فلذلك استحسن منه . هل أنه  
قد يقال : إن الاستمارة التخيلية فيه تابعة للاستمارة بالكناية ؛ فإن تشبيه اللام بنظر  
الشرب لاشتماله على ما يكرهه الشارب لمرارته ، ثم استمار للام له كجائه ، ثم يخرج منه شيء  
يشبه بالماء ؛ فالاستمارة في اسم الماء .

#### الثاني

في أنها قسم من أقسام الجاز ؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له .  
وقال الإمام نضر الدين : ليس بمجاز لعدم النقل . وفي الحقيقة هي تشبيه محذوف الأداة  
لفظاً وتقديراً ؛ ولهذا حذوها بعضهم بإدعاء معنى الحقيقة في الشيء ، مبالغة في التشبيه .  
كقولهم : انشقت عصام ؛ إذا تفرقوا ، وذلك للمصاحفة لا لقوم ، ويقولون : كشفت الحرب  
عن ساق .

ويفترقان في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة فلا خفاء أنه تشبيه ؛ وإن حذفت فهذا  
يُنْتَبَس بالاستمارة ؛ فإذا ذكرت للشبه كقولك : زيد الأسد ، فهذا تشبيه بليغ ، كقوله  
نعال : (مَمْ بِكُمْ هَمْ) <sup>(١)</sup> ، وإن لم يذكر المشبه به فهو استمارة ، كقوله :  
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لَيْدٌ أَغْفَارُهُ لَمْ تَهْلَمْ <sup>(٢)</sup>

(١) البيت لزهير من اللطعة ؛ ديوانه ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨

هاك السلاح ؛ أى سلاحه ذو شوكة ، أى شائك . والمقذف : التليظ الهم . واليد : العر للتراكم  
فوق ؛ أى الأسد .

فهذه استمارة قلت لما وصف الشجاع ؛ إلى عبارة صالحة للأسد ، لولا قرينة السلاح  
فشككت : هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضاري ؟

### الثالث

لا بدّ فيها من ثلاثة أشياء أصول : مستعار ، ومستعار منه ، وهو اللفظ ؛ ومستعار له  
وهو للمنى ؛ ففى قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾<sup>(١)</sup> المستعار الاشتغال ، والمستعار  
منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار  
لبياض الشيب .

وفائدة ذلك وحكمته وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر . وأصل الكلام  
أن يقال : واشتمل شيب الرأس ؛ وإنما قلب للبالغة ؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع  
الرأس ؛ ولو جاء الكلام على وجهه لم يُد ذلك العموم . ولا يخفى أنه أبلغ من قولك : كثر  
الشيب فى الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المنى ؛ والحق أن المنى يار ؛ أولاً ثم بواسطة يار  
اللفظ ، ولا تخفى الاستمارة إلا حيث كان الشبه مقررّاً بينهما ظاهراً ؛ وإلا فلا بدّ من  
التصرّح بالشبه ؛ فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قوله :  
« مثل للمؤمن كمثل النخلة » أو « الخامة » لكنت كالملفّز<sup>(٢)</sup> .

ومن أحسن الاستمارة قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ وحقيقته « بدأ  
انتشاره » و « تنفس » أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار فى المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً ،  
بينه وبين إخراج النَّفْس مشاركة شديدة .

(١) سورة مريم ٤

(٢) ما حدثنا نفعها السيوطى فى الجامع الصغير ٢ : ٧٦٧ ؛ أحدهما عن أبوهريرة : « مثل للمؤمن كمثل  
خامة الزروع من حيث أنها الريح كفتاتها ، فإذا سكنت اعتدلت ؛ وكذلك للمؤمن يكفأ بالبلد ، ومثل القاجر  
كالأرزة صاه ممتدة ؛ حتى يهصبا الله تعالى إذا شاء » . وثانيهما عن ابن عمرو : « مثل المؤمن مثل  
النخلة ، إن أكلت أكلت طيباً ؛ وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقعت على عدد نحر لم تكسره ،  
ومثل للمؤمن مثل سبيكة الذهب إن تفتت عليها احترت ، وإن وزنت لم تنقص » .

(٣) سورة التكموير ١٨

وقوله: ﴿أَلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ <sup>(١)</sup>، لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه،  
ويزوله عنه حالا غالبا، كذلك اتصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما  
فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهُمْ مُرَادُهَا﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿سَنَسِيحُهُ عَلَى أَنْظُرُ حُلُومِ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ <sup>(٤)</sup>، ويقولون للرجل للذموم: إنما هو حمار.

وقوله: ﴿وَأَلْقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ <sup>(٥)</sup>.

﴿أَيْنَمَا لَرَدُّوْهُمْ فِي الْأَخْفَرَةِ﴾ <sup>(٦)</sup>، أى فى الخلق الجديد.

﴿بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ <sup>(٧)</sup>.

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ <sup>(٨)</sup>.

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ <sup>(٩)</sup>.

﴿وَأَمْرًا لَهُ جَمَلَةٌ لِّلْخَلْبِ﴾ <sup>(١٠)</sup>.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ <sup>(١١)</sup>.

﴿وَيُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ <sup>(١٢)</sup>.

---

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة يس ٣٧       | (٢) سورة الكهف ٢٩     |
| (٣) سورة نون ١٦      | (٤) سورة الدثر ٥٠     |
| (٥) سورة القيامة ٢٩  | (٦) سورة النازعات ١٠  |
| (٧) سورة المطففين ١٤ | (٨) سورة البلد ٤      |
| (٩) سورة الطق ١٥     | (١٠) سورة المد ٤      |
| (١١) سورة المدخان ٢٩ | (١٢) سورة النسيكوت ١٧ |

(أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) <sup>(١)</sup> .  
 (أَلَا إِنَّا طَارِفٌ مُّمْ عِنْدَ اللَّهِ) <sup>(٢)</sup> ، وللراد حفظهم وما يحصل لهم .  
 وقوله تعالى : (أَفِرَّ الصَّلَاةَ) <sup>(٣)</sup> ، أى أمتها كما أمرت .  
 (إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) <sup>(٤)</sup> ، أى عصمك منهم ، رواه شعبة عن أبي  
 وجاء عن الحسن .  
 (وَلَا تَنْفِرْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ) <sup>(٥)</sup> .  
 (وَعِنْدَهُ مَفَاحُ النَّبِيِّ) <sup>(٦)</sup> .  
 (وَلَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْكَذِبُ) <sup>(٧)</sup> .  
 (فَسَحَرْنَا آيَةَ الْقِيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) <sup>(٨)</sup> .  
 (بَلْ هَذِبُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَذِمُّهُ قَدْذَا هُوَ زَاهِقٌ) <sup>(٩)</sup> ، فالصحف  
 والتذف مستعار .  
 (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) <sup>(١٠)</sup> ، يريد لا إحساس بها ، من غير صَمَ .  
 وقوله : (فَأَصْدَحْ بِمَا تُوْمَرُ) <sup>(١١)</sup> ، فإنه أبلغ من « بَلِّغْ » ، وإن كان بمعناه ،  
 لأن تأثير الصدح أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدح يؤثر جزما .

(٢) سورة الأعراف ١٤١

(٤) سورة الإسراء ٦٠

(٦) سورة الأنعام ٥٩

(٨) سورة الإسراء ١٧

(١٠) سورة الكهف ١١

(١) سورة الشعراء ٢٢٥

(٣) سورة الإسراء ٧٨

(٥) سورة الزخرف ٤

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة الأنبياء ١٨٠

(١١) سورة الحجر ٩٤

### الرابع

تنقسم إلى مرشحة - وهي أحسنها - وهي أن تنظر إلى جانب المستعار وتراعيه ، كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإن للمستعار منه الذي هو الشراء هو الراعى هنا ، وهو الذي رشح لفظ الربح والتجارة للاستعارة لما بينهما من اللامعة .

وإلى تجريدية ؛ وهي أن تنظر إلى جانب المستعاره ، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فالستعار اللباس ، والمستعاره الجوع ، فجرد الاستعارة ، بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعاره وهو الجوع ، لا المستعار وهو اللباس ، ولو أراد ترشيحها لقال : وكساها لباس الجوع . وفي هذه الآية مراعاة المستعاره ؛ الذي هو المعنى ، وهو الجوع والخوف ؛ لأن ألتها يذاق ولا يلبس .

وقد نجي ملاحظة المستعار الذي هو اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَرَأْتُهُ حَمَّالَةَ الْخُلُبِ ﴾ ، إذا حملنا الخلب على القيمة فاعتبر اللفظ فقال : « حمالة » ولم يقل : « راوية » فيلاحظ المعنى .

وأما الاستعارة بالكناية فهي ألا يصرح بذكر المستعار ، بل تذكر بعض لوازمه تنبها به عليه ، كقوله : شعاع يفترس أقرانه ، وعالم يفترف منه الناس ، تنبها على أن الشعاع أسد والعالم بحر .

ومنه المجاز العقلي كله عند السكاكي .

ومن أقسامها - وهو دقيق - أن يسكت عن ذكر المسار ثم يوصي إليه بذكر شيء من ثوابه ورواده ؛ تنبيها عليه ، فيقول : شجاع يفتخر أقرانه ، فنبهت بالافتراض على أنك قد استمرت له الأسد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فنبه باللفظ الذي هو من توابح الحبل ورواده ، على أنه قد استمار للمهد الحبل لما فيه من باب الوصلة بين الصاعدين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، لأن حقيقته « حملنا » لكن « قَدِمْنَا » أبلغ ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفره ؛ لأنه من أجل إسماعهم السابق عاملهم ؛ كما فعل الثابت عنهم إذا قدم فرأهم على خلاف ما أمر به . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإعمال .

وقوله : ﴿ إِنَّا لَنَّا ظَنَىٰ الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، لأن حقيقة « ظنى » علاء ، والاستمارة أبلغ ، لأن « ظنى » ، علا قاهرا .

وكذلك : ﴿ بَرِّحْ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، لأن حقيقة « عاتية » شديدة ، والمعنى أبلغ ، لأنه شدة فيها تمرد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ يَدَكَ مَثُولَةً إِلَىٰ حُنْفِكَ . . . ﴾ <sup>(٥)</sup> ، الآية ؛ وحقيقته : لا تمنع ما تملك كل النعم ، والاستمارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غلّ اليمين إلى المنق ، وحال النائل أظهر .

(٢) سورة الفرقان ٢٣

(٤) سورة الحاقة ٦

(١) سورة البقرة ٢٧

(٣) سورة الحاقة ١١

(٥) سورة الإسراء ٢٩

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل : أخرجت ما فيها من الكنوز .

وقيل : يحمي به للوئ ، وأنها أخرجت موتاهها ، فسي للوئ قفلا تشبها بالحنل الذي يكون في البطن ؛ لأن الحنل يسمى قفلا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومنها : جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء والإحاطة به نافعة في آيات الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> . ويسمى التضييل : قال الزمخشري : ولا تعبد بابا في علم البيان أدق ولا أعون في تامل للشبهات منه ، وأما قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٥)</sup> قال القراء : فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جعل طلوعها رؤوس الشياطين في القبح .

والثاني : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ؛ وهو ذو القرن .

والثالث : أنه شوك قبيح للنظر ، يسمى رؤوس الشياطين .

فعل الأول يكون تخييلا . وعلى الثاني يكون تشبيها مختصا .

### تقسيم آخر

الاستعارة فرع التشبيه ، فأقسامها كأقسامه خمسة :

\*\*\*

(٢) سورة الأعراف ١٨٩

(٤) سورة الزمر ٦٧

(١) سورة الزلزلة ٢

(٣) سورة القمر ١٤

(٥) سورة الصافات ٦٥



الأول : استمارة حتى لحق بوجه حتى ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْتَقَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فإن الستار منه هو النار ، والستار له هو الشيب ، والوجه هو الانبساط ؛ فالطرفان حستان والوجه أيضاً حتى ، وهو استمارة بالكناية ؛ لأنه ذكر التشبيه ، وذكر المشبه وذكر للشبه به مع لازم من لوازم المشبه به ؛ وهو الاشتغال .  
وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أصل الموج حركة للياه ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستمارة .

\*\*\*

الثاني : حتى لحق بوجه عقل ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فالستار له الريح . والستار منه المرأة ، وهما حستان ، والوجه المنع من ظهور النتيجة <sup>(٤)</sup> ، والأثر وهو عقل وهو أيضاً استمارة بالكناية .  
قال في الإيضاح <sup>(٥)</sup> : وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ؛ ولهذا جبل صفة للريح ، لا اسماً . والحق أن الستار منه مافى المرأة من الصفة التي تمنع من التحيل والستار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإقحاح شجر [ والجامع لها ما ذكر ] <sup>(٦)</sup> .  
وهو مندفع بالنهاية ، لأن المراد من قوله : « الستار منه » المرأة التي عبر عنها بالعقيم ، ذكرها السكاكي بلفظ ما صدق عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْقَيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، الستار له ظلمة النهار من ظلمة الليل ، والستار منه ظهور السلوخ عند جلده ، والجامع عقل وهو ترتب أحدهما على الآخر .

(٢) سورة الكهف ٩٩

(٤) ت، م : التفقة؛ وما أتجه عن الإيضاح ٢ : ٢٩٧

(٦) من كتاب الإيضاح .

(١) سورة مريم ٤

(٢) سورة القاريات ٤١

(٥) الإيضاح ٢ : ٩٧

(٧) سورة يس ٣٧

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَنْفِنِ بِالْأَمْرِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أصل الحصيد النبات والجامع المهلك ، وهو أمر عقلي .

\*\*\*

الثالث : معقول لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ بَشَّرْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالرقاد مستعار للموت ؛ وها أمران معقولان ، والوجه عدم ظهور الأفعال ؛ وهو عقلي ، والاستعارة تصريحية لكون الشبه به مذكورا .

وقوله : ﴿ وَلَكَا سَبَكَتَ عَنْ مَوْسَى النَّضْبُ ﴾<sup>(٣)</sup> المسعار السكوت ، والمستمار له النضب ، والمستعار منه الساكت ، وهذه ألطف الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمقول ، لمشاركته في أمر معقول .

\*\*\*

الرابع : محسوس لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَسْتَهْمُ الْبَاسَةِ وَالْفَرَاهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أصل التماس في الأجسام ، فاستعير لقساة الشدة ، وكون للمستعار منه حسيا ، والمستعار له عقليا ، وكونها تصريحية ظاهرا ، والوجه اللعوق وهو عقلي .

وقوله : ﴿ بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾<sup>(٥)</sup> فالتدغف والمغم مستعاران .  
وقوله : ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْقُدَّةُ أَبْنَاءَ تُقَفُّوا إِلَّا يَجْبَلِي مِنْ أَفْهِ وَحَبْلِي مِنْ النَّاسِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله : ﴿ فَتَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾<sup>(٧)</sup> .

(٢) سورة يس ٥٢  
(٤) سورة البقرة ٢١٤  
(٦) سورة آل عمران ١١٢

(١) سورة يونس ٢٤  
(٣) سورة الأعراف ١٥٤  
(٥) سورة الأنبياء ١٨  
(٧) سورة آل عمران ١٨٧

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وكلّ خَوْضٍ ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخَوْضِ في الماء .  
وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ <sup>(٢)</sup> استعارة لبيانها عما أوحى إليه ، كظهور ماء في الزجاجه عند انصداعها .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، البنيان مستعار وأصله للحيطان .  
وقوله : ﴿ وَيَبْتَغُوا حِوْجًا ﴾ <sup>(٤)</sup> الحِوَج مستعار .  
وقوله : ﴿ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ <sup>(٥)</sup> وكلّ ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار .

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ الوادي مستعار ، وكذلك الهَيَّان ، وهو على غاية الإيضاح .  
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

\*\*\*

الخامس : استعارة معقول لحسوس : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ <sup>(٩)</sup> للستار منه التكبر ، وللستار له الماء ، والجامع الاستعلاء للفرط .  
وقوله : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِجْمٍ صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، المتوّهاننا مستعار .

---

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٦٨  | (٧) سورة الحجر ٩٤    |
| (٢) سورة التوبة ١٠٩  | (٨) سورة هود ١٩      |
| (٣) سورة إبراهيم ١   | (٩) سورة الفرقان ٢٣  |
| (٤) سورة الشعراء ٢٢٥ | (١٠) سورة الإسراء ٢٩ |
| (٥) سورة الحاقة ١١   | (١١) سورة الحاقة ٦   |

وقوله : ﴿ نَسْكَادُ تَمَيُّزًا مِنَ الْغَيْظِ ﴾ <sup>(١)</sup> فلفظ الغيظ مستمر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْفَارُوقِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فهو أفصح من مضبوطة .

﴿ حَقًّا نَقُصُّ الْحَرْبَ أُوزَارَهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ومنها الاستعارة بلفظين ، كقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ بمعنى تلك

الأواني ليس من الزجاج ، ولا من الفضة ، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة .

وقد سبق عن الفارسي جملة من التشبيه .

ومثله : ﴿ قَسَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، يعني عن الدوام والسوط يعني

عن الإيلام ؛ فيكون للراد - والله أعلم - تمذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٤) سورة النحر ١٦

(١) سورة الملك ٨

(٣) سورة محمد ٤

(٥) سورة النجم ١٣

## التورية

ونسى الإيهام والتخييل واللفظة والتوجيه ؛ وهي أن يحكم الحكم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد اللفظ البعيد ، يوم السامع أنه أراد القريب ؛ مثاله قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له ، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب ، لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر .

وقوله : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُعَلِّى فِي الْيَحْرَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> والمراد المعرفة .

وقوله : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أراد بها في نعمة وكرامة ، والسامع يتوهم أنه أراد من النومة .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾<sup>(٤)</sup> أراد بالأيد القوة الخارجة .

وقوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى مقرطون تجمل في آذانهم القِرطلة ، والخلق الذي في الأذن يسمى قرطاً وخلة ، والسامع يتوهم أنه من الخلود .

وقوله : ﴿ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، أى علمهم منازلهم فيها ، أو يوم إرادة العرف ، الذي هو العليب .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقوله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ ﴾<sup>(٨)</sup> فذكر « رضوان »

مع « الجنات » مما يوم إرادة خازن الجنات .

(٢) سورة آل عمران ٤٩

(٤) سورة القاريات ١٧

(٦) سورة النحل ٦

(٨) سورة القوبة ٢١

(١) سورة الرحمن ٦

(٣) سورة الناهية ٨

(٥) سورة النحر ١٩

(٧) سورة المائدة ٤

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾<sup>(١)</sup> أى أرعنا سمعنا وانظر إلينا والسكفار يقولونها: «فاعل» من الرعونة. وقال أبو جعفر: هى بالمصرية، فلما عوتبوا قالوا: إنما قول مثل ما يقول المسلمون، فهى للمسلمون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْفَيْثَ مِنْ بَدَمٍ مَقْطُوعٍ وَيَنْفُثُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿الْوَلِيُّ﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الولي لمبادئه بالرحمة والنفرة، وقوله: ﴿الحكيم﴾ يحتمل أن يكون من «حامد» لمبادئه للطيبين، أو «محمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه. ويحتمل أن يكون الولي من أسماء للطر، وهو مطر الربيع، والحكيم بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الفَيْث.

وقوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>، فليست لفظة «ربك» رشعت لفظة «ربه»، لأن يكون تورية؛ إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه ولللك، فلما اقتصر على قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>، ولم تدل لفظة «ربه» إلا على الإله فلما تقدمت لفظة «ربك» احتمل للمنيين.

## تنبيه

[ في الفرق بين التورية والاستخدام ]

كثيراً ما تلبس التورية بالاستخدام؛ والفرق بينهما أن التورية استعمال للمنيين في اللفظ وإعمال الآخر؛ وفي الاستخدام استعمالها مما بقرينتين.

(١) من قوله تعالى في سورة البقرة ١٠٤ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَانصَمُوا﴾ .

(٢) سورة النورى ٢٨

(٣) سورة يوسف ٤٧

وحاصله أن للترك إن استعمل في مفهومين معا فهو الاستخدام ؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية .

ومثال الاستخدام قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ﴾<sup>(١)</sup> ، فإن لفظة « كتاب » يراد بها الأمد المحكوم والكتوب ، وقد توسعت بين لفظتين ، فاستعملت أحدهما لمفهومها ، وهو الأمد واستعملت « يمحو » للمفهوم الآخر ، وهو للكتوب . وقوله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة ، وتحتمل إرادة موضعها فقوله : ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا﴾<sup>(٣)</sup> استعملت إرادة نفس الصلاة ، وقوله : ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾<sup>(٤)</sup> ، استعملت إرادة موضعها .

## التجريد

وهو أن نعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مبين له، فنخرج ذلك إلى الفاظه بما اعتقدت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سألتك لتسألن منه البحر. فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً وهو عينه هو الأسد والبحر؛ لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات، وهو عينه ونفس تلك الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وإنما هذا ناب عن قوله: ﴿وَأَعْلَمُ أَنِّي عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾<sup>(٥)</sup>، ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلدٍ وغير دار خلد، بل كلها دار خلد؛ فكأنك لما قلت: في الجنة دار الخلد اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخلد، فجردت منها هذا الواحد، كقوله:

• وفي الله إن لم نُنصفُوا حكمٌ عدلٌ •

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>(٦)</sup>، على أحد

(٢) سورة البقرة ٢٦٠

(٤) سورة الأحزاب ٢١

(٦) سورة الأنعام ٩٥

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة ق ٣٧

(٥) سورة فصلت ٢٨



التأويلات في الآية عن ابن مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة، وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة، قال ابن عطية: في تفسيره هذه الآية: إن لفظة الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما تقول في صبي جيد البنية: يخرج من هذا رجل قوى.

وقد يحتمل قوله: ﴿وَيُخْرِجُ أَلَيْتٍ مِّنَ الْخَلْقِ﴾<sup>(١)</sup>، أى الحيوان كله ميتة، ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد.

وذكر الزمخشري أن عمرو بن عبيد قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، بالرفع، بمعنى حصلت منها [سما] <sup>(٣)</sup> وردة، قال: وهو من التجريد. وقرأ على وابن عباس في سورة مريم: ﴿يَرْئِي وَارِثًا مِّنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهب لي من لدنك ولياً يرثني منه وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكانه جرّد منه وارثاً.

(٢) سورة الرحمن ٣٧، وانظر الكشاف ٤: ٣٥٨

(٤) سورة مريم ٦

(١) سورة الأنعام ٩٥

(٣) من الكشاف.

## التجْنِيسُ

وهو إما بأن تساوى حروف الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ وفي ذلك رد على من قال <sup>(٣)</sup> : ليس منه في القرآن غير الآية الأولى .

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وإما لاحق ، بأن يختلف أحدا الحرفين ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَقْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

وإما في الخط ، وهو أن تشبها في الخط لا اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

(١) سورة الروم ٥٥

(٢) سورة الصافات ٧٢ ، ٧٣

(٣) هو ابن الأثير صاحب اللؤلئ السائر ؛ ذكره في الجزء الأول ص ٢٤٦

(٤) سورة القيامة ٢٩ ، ٣٠

(٥) سورة الماديات ٧ ، ٨

(٦) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٧) سورة الأنعام ٢٦

(٨) سورة غافر ٧٥

(٩) سورة النساء ٨٣

(١٠) سورة الكهف ١٠٤

وقوله : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(١)</sup> .  
وأما في السمع قرب أحد المخرجين من الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ  
فَالْأَمْرَ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

## تَشْبِيهَات

الأول : نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى وقال : عندي<sup>(٣)</sup> أنه ليس  
بتهجيس أصلا ، وأن الساعة في اللوامين بمعنى واحد ، والتهجيس أن يتفق اللفظ  
ويختلف المعنى ، وألا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازا ؛ بل تكونا حقيقتين ؛ وإن  
زمان القيامة . وإن طال . لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة ؛ لأن قدرته  
لا يجزئها أمر ، ولا يطول عندها زمان ؛ فيكون إطلاق لفظ « الساعة » على أحد اللوامين  
حقيقة ، وعلى الآخر مجازا ؛ وذلك يُخرج الكلام من التهجيس ؛ كما لو قلت : ركب  
حمارا ، ولقيت حمارا ، وأردت بالثاني البليد . وأيضا لا يجوز أن يكون المراد بالساعة  
الساعة الأولى خاصة ؛ وزمان البعث ، فيكون لفظ الساعة مستملا في اللوامين حقيقة  
بمعنى واحد ؛ فيخرج عن التهجيس .



الثاني : يقرب منه الاقتضاب ، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللفظ ،  
كقوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وقوله : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وقوله : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٢) سورة الروم ٤٣

(٣) سورة الواقعة ٨٩

(١) سورة الشعراء ٧٩ ، ٨٠

(٣) انظر الفلك السائر ١٣

(٥) سورة البقرة ٢٧٦

وقوله: ﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرِضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاهُ عَرِيضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿أَنَا قَلَّمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

الثالث : اعلم أن الجنس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ، ولهذا تركوه عند قوة المعنى بتركه ؛ ولذلك مثالان :

أحدهما قوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٨)</sup> ، فذكر الرازي في تفسيره<sup>(٩)</sup> أن الكاتب الملقب بالرشيدى ، قال : لو قيل : « أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » [ أو هم أنه أحسن ، لأنه كان ]<sup>(١٠)</sup> تحصل به رعاية معنى التجنيس أيضاً ؛ مع كونه موازاً لـ « تَذَرُونَ » .

وأجاب الرازى : بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليفات ، بل لأجل قوة للمانى وجزالة الألفاظ .

وقال بعضهم : مراعاة للمانى أولى من مراعاة الألفاظ ، فلو كان « أَتَدْعُونَ »

(٢) سورة الشعراء ١٦٨

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٦) سورة الأنعام ٧٩

(٨) سورة الماعث ١٢٥

(١٠) من تفسير الفخر الرازى .

(١) سورة فصلت ٥١

(٣) سورة الرحمن ٥٤

(٥) سورة النور ٣٧

(٧) سورة التوبة ٣٨

(٩) تفسير الفخر الرازى ٧ : ١٠٩

« وتَدْعُونَ » كما قال هذا القائل لوقع الإلباس على القارئ فيجعلها بمعنى واحد تصحيفا منه،  
وحينئذ فينخرم اللفظ، إذا قرأ و « تَدْعُونَ » الثانية بسكون الدال؛ لاسيما وخط الصحف  
الإمام لا ضبط [ فيه ] ولا قطع .

قال : وبما صحف من القرآن بسبب ذلك وليس بقراءة قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِي  
أَحْيَبُ بِهِ مِنْ آسَاءِ ﴾<sup>(١)</sup> بالسين للمهلة .

وقوله : ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾<sup>(٢)</sup> بالباء للوحدة .

وقوله : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُ ﴾<sup>(٣)</sup> بالعين للمهلة .

وقرأ ابن عباس « مَنْ فَرَّعُونَ » على الاستفهام .

قلت : وأجاب الجويني عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه : أن « يذر » أخص من  
« يَدَع » وذلك لأن الأول ، بمعنى ترك الشيء اعتناء ، بشهادة الاشتقاق ، نحو الإبداع ،  
فإنه عبارة عن ترك الودعة مع الاعتناء بمالها ، ولهذا يختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها ؛ ومن ذلك  
اللمعة بمعنى الراحة . وأما « تذر » فمعناها الترك مطلقا ، والترك مع الإعراض<sup>(٤)</sup> والرخص  
الكلية ؛ ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ؛ فأريد هنا تبشيع حالم  
في الإعراض عن ربهم ، وأنهم يلغوا الغاية في الإعراض .

قلت : ويؤيده قول الراغب<sup>(٥)</sup> : قال : فلا يَذَرُ الشيء أى يقذفه لقلة الاعتداد به<sup>(٦)</sup> .  
وَالْوَدْعَةُ قُطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ [وتسميتها بذلك]<sup>(٧)</sup> لقلة الاعتداد به ؛ نحو قولهم [فيم لا يبتد به]<sup>(٨)</sup> : هو  
لحم على وضوء ، قال تعالى : ﴿ أَجِثْنَا لَنُبَدِّلَ لَكَ وَنُذَرِّمًا كَانِ يَعْبُدُ آبَاءَنَا ﴾<sup>(٩)</sup> وقال تعالى :  
﴿ وَيَذَرِكْ وَأَلَيْتُكَ ﴾<sup>(١٠)</sup> . ﴿ نُذَرِّمُهُمْ وَمَا يَصْتَرُونَ ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾<sup>(١٢)</sup>

(٢) سورة التوبة ١١٤

(١) سورة الأعراف ١٥٦

(٤) ت : « الاعتراض » .

(٣) سورة عيس ٣٧

(٥) في المفردات ٣٩٦ مع تصرف في الباءة ؛ وتقديم وتأخير .

(٦) من المفردات .

(٧) لقلة اعتداده به .

(٩) سورة الأعراف ١٢٢

(٨) سورة الأعراف ٧٠

(١١) سورة البقرة ٢٧٨

(١٠) سورة الأنعام ١١٢

وإنما قال: ﴿يَذَرُونَ﴾ ولم يقل «يتركون» و«يُخَلِّفُونَ» لعلك . انتهى .  
وعن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني أنه أجاب عن هذا السؤال بأن التجنيس محسن ،  
وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان ؛ وهذا مقام تهويل ، والتصد فيه للمنى ، فلم يكن  
لمراعاة اللفظة فائدة .

وفيه نظر ، فإنه ورد في قوله : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ <sup>(١)</sup> .  
للتال الثانى : قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> قال :  
معناه : وما أنت مصدق لنا ، فيقال : ما الحكمة في المدول عن الجناس ، وهل قيل :  
«وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين» ، فإنه يؤدى معنى الأول مع زيادة رعاية  
التجنيس اللغوى ؟

والجواب أن فى «مُؤْمِنٍ لَنَا» من المنى ما ليس فى «مصدق» ، وذلك أنك إذا قلت :  
«مصدق لى» فمعناه . قال لى : صدقت ، وأما «مؤمن» فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ،  
ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ؛ فلهذا عدل إليه .

فأمل هذه اللطائف الغريبة ، والأسرار العجيبة فإنه نوع من الإيجاز !

## فائدة

قال الخفاجى : إذا دخل التجنيس نقي عذ طباقا ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي  
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> ، لأن «الذين لا يعلمون» هم الجاهلون ، قال :  
وفى هذا يختلط التجنيس بالطباق .

(٢) سورة يوسف ١٧

(١) سورة الحاثية ٢٧

(٣) سورة الزمر ٩

## الطَّبَاق

هو أن يُجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ، كالبياض ، والسواد، والليل والنهار؛ وهو قسمان : لفظي ومعنوي؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، طابق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

ومثله : ﴿لِيَكِيلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَحْزُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وَنَحْنُ بِهِمْ أَفْظَاكُا وَهُمْ رَفُودٌ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿تَوَاتَى الْمُلْكُ مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمُلْكُ مِنْ نَشَاءٍ . . .﴾<sup>(٦)</sup> الآية .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْخُرُورُ .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾<sup>(٧)</sup> .

ثم إذا شرط فيها شرط وجب أن يشترط في ضديهما ضِدٌّ ذلك الشرط ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . . .﴾<sup>(٨)</sup> الآية ، لما جعل التيسير

(١) سورة الحديد ٢٣

(٢) سورة الكهف ١٨

(٣) سورة آل عمران ٢٦

(٤) سورة الليل ٦٠٥

(١) سورة التوبة ٨٢

(٢) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤

(٣) سورة الرعد ١٠

(٤) سورة طه ١٩ - ٢٢

مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ، وجعل ضده وهو التمسير مشتركا بين أضداد تلك الأمور ، وهى النع والافتناء والتكذيب .

ومنه : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قَائِلٌ بَيْنَ الْعُلَى وَالْدَنَى .

وقوله : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فذكر الليل والنهار وهما ضدان ، ثم قابلهما بضدين وهما الحركة والسكون ، على الترتيب ، ثم عبّر عن الحركة بلفظ « الإرداف » فاستلزم الكلام ضربا من الحاسن زائدا على المبالغة ، وعذّل عن لفظ الحركة إلى لفظ « اجفاء الفضل » ليكون الحركة تكون للمصلحة دون للفسدة ، وهى تسير إلى الإغاة بالقوة وحسن الاختيار الدال على راحة العقل ، وسلامة الحس ، وإضافة الظرف إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى للتحرك إلى بلوغ المآرب .

\*\*\*

ومن الطباق الممتوى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَهُكُمْ لَمْرُسُلُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون .

وقوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ <sup>(٥)</sup> ، قال أبو حنيفة : في « الحجة » : لما كان البناء رضا للبنى قوليل بالفراش الذى هو على خلاف البناء ، ومن ثم وقع البناء على ما فيه ارتفاع فى نصيبه إن لم يكن مدرا .

\*\*\*

(٢) سورة الفاهية ١٣ ، ١٤

(٤) سورة يس ١٥ ، ١٦

(١) سورة المالة ٢٢ و ٢٣

(٣) سورة القصص ٢٣

(٥) سورة البقرة ٢٢



ومنه نوع يسمى الطباقي الخفي ؛ كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ خَطِيبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا ﴾<sup>(١)</sup> ، لأن الفرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء في النار والنار ، قال ابن منذر<sup>(٢)</sup> : وهي أخفى مطابقة في القرآن .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر ، وهذا أيضاً فيه تدبيح بديهي .

ومنه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

قال ابن المنذر<sup>(٥)</sup> ؛ وهذا من أملح الطباقي وأخفاه .

وقوله تعالى في الزخرف : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ لأن « ظَلَّ » لا تستعمل إلا نهاراً ، فإذا لمع مع ذكر السواد كأنه طباق يذكر البياض مع السواد .  
وقوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَالِي أَذْهَبَكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

(٢) هو الأمير أسامة بن منذر ؛ أحد أبطال

الإسلام وأدبائهم وشعرائهم ؛ وصاحب كتاب لباب الآداب ، والبديع في نقد الشعر . توفى سنة ٥٨٤ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٣) سورة يس ٨٠

(٥) هو عبد الله بن المنذر الحليفة البياضي ، وصاحب كتاب البديع ؛ توفى سنة ٢٩٦

(٧) سورة ظفر ٤١

(٦) سورة النحل ٥٨

## المقابلة

[ مباحث للمقابلة ]

وفيها مباحث :

### الأول : في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ، ويخالفه في بعضها ، وهي من باب « المفاعلة » ، كالمقابلة والمضاربة ، وهي قريبة من الطباق ؛ والفرق بينهما من وجهين :  
الأول : أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا .

والثاني : لا يكون الطباق إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها ؛ ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة .

### الثاني : في أنواعها

وهي ثلاثة : نظري ، وتقيضي ، وخلاقي . والخلاقي أنهما في التشكيك ، وألزمها بالتأويل ، والتقيضي ثمانية ، والنظري ثمانية .

وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلي : أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكيمية الملية ، من الكائنات والزمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات ؛ حيث اتصلت من حيث تعددت ، واتصلت من حيث انفصلت ؛ وأنها قد ترد على شكل المربع تارة ، وشكل المسدس أخرى ، وعلى شكل

الثالث ، إلى غير ذلك من التشكيلات المجيبة ، والترتيبات البديعة ، ثم أورد أمثلة من ذلك .

مثال مقابلة النظيرين ، مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ لأنهما جميعا من باب الرقاد للقابل باليقظة .

وقوله : ﴿ وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً ، ثم السنة والنوم باضدادهما متقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة . ومثال مقابلة الاختلافين ، مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَا تَذَرِي أَشَرًا أُرِيدَ بَيْنَ فَالِ الْأَرْضِ أَمْ أُرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقابل الشر بالرشد ؛ وهما خلافان ، وضد الرشد النقيض ، وضد الشر الخير ، والخير الذي يخرج به لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً ، وألني الذي يخرج به لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ : نطقان وضمنان ؛ فكان بهما رباعيتان .

وهذا الشكل الرباعي يقع في تفسيره على وجوه ، فقد يرد وبعضه مفسر ، مثل ما ذكرناه ، وقد يرد وكله مفسر ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾<sup>(٤)</sup> فقابل « صدق » بـ « كَذَّب » و« صلى » الذي هو أقبل بـ « وتولى » . قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، اللغو في الحثية للنكرة والتأثيم في الحثية الناكرة ، واللغو منشأ للنكر ومبدأ درجاته ، والتأثيم منشأ التكبر ومبدأ درجاته ، فلا نكير إلا بمبدأ منكر ، ولا اعتقاد إنكار إلا بعد اعتقاد تأثيم ، ومنشأ اللغو في أول طرف للكرهات وآخره في طرف المحطورات ومبدأ التأثيم . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَمْحَجَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ فَصِيحٌ بِحَمْدِكَ وَفُتِّسَ لَكَ ﴾<sup>(٦)</sup> فقابل الإفساد بالتفسيح والحمد ، وسفك الدماء بالتفديس ،

(٢) سورة الكهف ١٨  
(٣) سورة القيامة ٣١ ، ٣٢  
(٤) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة البقرة ٢٥٥  
(٢) سورة الجن ١٠  
(٥) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

فالتسبيح بالحمد إذن ينفى الفساد، والتقدّيس ينفى سفك الدماء، والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقدّيس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح؛ فإن التسبيح بالحمد للإصلاح لا لفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقدّيس؛ وهذا شكل مربّع، من أرضى وهو الإفساد وسفك الدماء، وسمّى وهو التسبيح والتقدّيس، والأرضى ذو فضلين، والسمائي ذو فضلين، ووقع النفس من الطرفين المتوسطين؛ فالطرفان الإفساد في الطرف الأول، والتقدّيس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض، وأول السماء، فالأول مقشرف على الآتى والآخر ملفت إلى الماضى :

وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُوجَزٍ يَدُورُ عَلَى الْمَنَى وَعَهْ يُمَاصِعٌ<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ جَمَعَ الْإِسْمُ الْحَمْدَ كُلَّهَا مَقَاسِيْمَهَا مَجْمُوعَةٌ وَالشَّايِعُ  
وهذا التقدير الذى ذكره هذا الخبر مرعى عظيم، يوصل إلى أمور غير متجاسر عليها،  
كما فى آية الكرمى وغيرها .

\*\*\*

وقسم بعضهم القابلة إلى أربع :

أحدها : أن يأتى بكل واحد من اللقدمات مع قرينة من التوائى ، كقوله تعالى :  
(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)<sup>(٢)</sup> .

والثانية : أن يأتى بجميع التوائى مرتبة من أولها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ  
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(٢) سورة النبا ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢١٧

(١) يمام : يداش .

(٣) سورة النمل ٧٣

الثالث : أن يأتي بجميع القدمات ثم بجميع التوائى مرتبة من آخرها، ويسمى رد المعجز على الصدر، كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

الرابع : أن يأتي بجميع القدمات ثم بجميع التوائى مختلطة غير مرتبة، ويسمى الفقه كقوله تعالى : ﴿وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾<sup>(٢)</sup> كنسبة قوله : ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كنسبة قوله : ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ إلى : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، لأن القولين للتباين يصدران عن متباينين .

وكما قال تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَارِ وَالْمِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> كنسبة قوله : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَارِ وَالْمِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> كنسبة قوله : ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٧)</sup> إلى قوله : ﴿فَتَطْرُدُهُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> لجمع التقديم التاليين بالانفصاف .

\*\*\*

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان :  
مقابل فى اللفظ دون المعنى، كقوله تعالى : ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرَئًا مَكْرًا ﴾<sup>(٩)</sup> .

(٢) سورة البقرة ٢١٤

(٤) سورة النمل ٥٠

(١) سورة آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧

(٣) سورة الأنعام ٥٢

ومقابل في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>؛ فإنه لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ، لكان التقدير: «وإن اهتديت، فإنما اهتديت لها».

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى، أن النفس كل ما هو عليها لها، فهو أعنى أن كل ما هو وبال عليها وصار لها فهو بسببها ومنها؛ لأنها أماراة بالسوء، وكل ما هو بما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه، لأنه إذا دخل تحت مع علو محله كان غيره أولى به.

ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإنه لم يدع التقابل في قوله: ﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، لأن القياس يقتضى أن يكون «والنهار للبصروا فيه»، وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن معنى «مبصرًا» تبصرون فيه طرق القلب في الحاجات.

\*\*\*

واعلم أن في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يتصل غالباً بالافعال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. فانظر فاصلة الثانية ﴿يَسْمَعُونَ﴾ والتي قبلها ﴿يَشْعُرُونَ﴾ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين: مجتمعون وهم مطيعون يحتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكسب الناظر

(٢) سورة النمل ٨٦

(٤) سورة البقرة ١٣

(١) سورة سبأ ٥٠

(٣) سورة البقرة ١١، ١٢

(٥) سورة البقرة ١١، ١٢

(٦) سورة البقرة ١١، ١٢

للمعرفة والعلم ؛ وإنما النفاق - وما فيه من الفتنة والفساد - أمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس ، فذلك قال فيه ﴿ يَسْلُمُونَ ﴾ .  
وأيضاً فإنه لما ذكر السَّعَةِ<sup>(١)</sup> فى الآية الأخرى - وهو جهل - كان ذكر العلم طباقاً وعلى هذا تيمى فواصل القرآن ، وقد سبق فى بابه .

\*\*\*

ومن للقبالة قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ﴾<sup>(٢)</sup> ، فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء ، ثم قُوبِلَ بشئ واحد وهو الوعد ، فأوهم الإخلال بالثانى ، وليس كذلك ؛ وإنما لما كان الفصل مقابلًا للفقر ، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء ؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة ، والمغفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر اللقابل عن ذكر مقابله ، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر .

(١) من قوله فى الآية : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ مِمَّنْ كَانُوا آمِنًا ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٨

## تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن مقابلة أربعة بأربعة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

ومن مقابلة خمس بخمس قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، للدلالة على الحقير والكبير ؛ وهو من الطباق الخفي ، الثاني : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ و ﴿ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، الثالث : ﴿ يَضِلُّ ﴾ و ﴿ يَهْدَى ﴾ به ، والرابع : ﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ، الخامس : ﴿ يَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ أَنْ يَوْصَلَ ﴾ .

ومن مقابلة ست بست : قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٤)</sup> ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ أَوْبَيْضُكُمْ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

(١) سورة التوبة ٨٢

(٢) سورة الليل ٥ - ١٠ ، والآيات بأكملها :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى .

(٣) سورة البقرة ٢٦ ، وبمعنا : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَقْطَعُونَ أَنََّّهُ لَحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالْسِرُونَ .

(٤) سورة آل عمران ١٤



وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ<sup>(١)</sup> ، قَابِلُ الْجَنَاتِ وَالْأَنْهَارِ وَالْخَلْدِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْتَّطَهِيرِ وَالرِّضْوَانِ  
يَلْزَأُ النِّسَاءَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَتَمَ بِالْمَرْثِ ، وَهَذَا طَرَفَانِ مُتَشَابِهَانِ ، وَفِيهِمَا الشَّهْوَةُ وَالْعَاشِ  
الدُّنْيَاوِيَّةُ ، وَآخِرُ ذِكْرِ الْأَزْوَاجِ كَمَا يَجِبُ فِي التَّرْتِيبِ الْآخَرِيِّ ، وَخَتَمَ بِالرِّضْوَانِ .

### فَإِذْ

قد يحىء نظم الكلام على غير صورة القابلة في الظاهر ؛ وإذا توصل كان من أكل  
للقابلات ؛ ولتلك أمثلة :

منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ لَّكَ أَنْ لَا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَمْرَى . وَأَنْتَ لَا تَقْلَمُ فِيهَا  
وَلَا تَضَعِي ﴾<sup>(٢)</sup> قَابِلُ الْجُوعِ بِالْمَرْيِ ؛ وَالْقَلَمُ بِالضَّعْيِ<sup>(٣)</sup> ؛ وَالْوَاقِفُ مَعَ الظَّاهِرِ وَهَذَا  
يُحِيلُ أَنَّ الْجُوعَ يَقَابِلُ بِالْقَلَمِ ، وَالْمَرْيَ بِالضَّعْيِ .

والمُدَقَّقُ يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأنَّ الْجُوعَ أَلَمُ الْبَاطِنِ وَالضَّعْيُ  
مَوْجِبُ لِحَارَةِ الظَّاهِرِ ، فَاقْتَضَتْ الْآيَةُ جَمِيعَ نَوَى الْآفَاتِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَقَابِلُ الْخَلْدِ بِالْخَلْدِ ،  
وَالْإِحْتِرَاقُ بِالْإِحْتِرَاقِ . وَهَاهُنَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ وَسَيْفِ الدُّوْقَةِ ؛  
لَمَّا أَنْشَدَهُ :

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

(٢) سورة طه ١١٨ ، ١١٩

(١) سورة آل عمران ١٤ ، ١٥

(٣) في اللسان عن الليث : « ضعى الرجل يضحى ضعا ، إذا أصابه حر القيس » .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٨٦ ، وبهذه :

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّهُ هَرَبِيَّةٌ وَوَجْهَكَ وَصَّاحٌ وَتَمَرُّكَ بِأَسْمٍ

ونزل الكبيرى عن الراصدى : لما أنشد المتنبي هذا البيت والى بعده ، أنكر عليه سيف الدولة تطبيق  
بجزى البيتين على سريهما ، وقال له : ينبغي أن تطبق بجزى الأول على الثانى ، وبجز الثانى على الأول ؛  
ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِّلذِّبِ وَلَمْ أَتَبَيَّنْ كَأَعْيَا ذَاتَ خَلْخَالٍ  
وَلَمْ أُسَبِّحْ أَرْقَى أَرْوَى وَلَمْ أَقُلْ لِحَظِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ =

( ٢٠ - برهان - ثالث )

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَسْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ (١) ؛  
 فإنه يتبادر فيه سؤال ؛ وهو أنه لم لا قيل : « مثل الفريقين كالأعمى والبصير » ، والأسم  
 والسميع » ، لتكون للقابلة في لفظ « الأعمى » وضده بالبصير ، وفي لفظ « الأسم »  
 وضده السميع .

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أُنْبِيه بانسداد السمع ، وبضد ذلك لما  
 ذكر افتتاح البصر أعقبه بافتتاح السمع ؛ فإتضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في القابلة  
 والأتم في الإيجاز .

== قال : ووجه الكلام في البين على ما قاله أهل العلم بالشعر ، أن يكون مجز الأول على الثاني ، والثاني على  
 الأول ؛ ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للجيل بالكسر ، وسبب الخمر مع تطن الكاهن .  
 فقال له أبو العلي : أدام الله عز مولانا ؛ إن صح أن القى استبرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر  
 فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب معرفة المالك ؛ لأن البراز  
 يعرف جلته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من التزلية إلى التوبة ؛ وإنما قرن امرؤ القيس قبة النساء بلبنة الركوب  
 قصيد ، وقرن الساحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت الموت في أول  
 البيت أُنْبِيته بذكر الردى ليجانسه . ولما كان وجه التهمز لا يخلو من أن يكون صيوساً ، وعينه من أن  
 تكون باكية ، قلت : « وجهك وضاح » ، لأجمع بين الأضداد في الحق . فأعجب سيف الدولة ووصفه  
 بحسنة دنانير .

## ردّ الجهر على الصّد وعكسه

(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) <sup>(١)</sup> .  
(وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) <sup>(٢)</sup> .

## التكس

وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ، كقوله تعالى : (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) <sup>(٣)</sup> وقدره الزمخشري <sup>(٤)</sup> ، أى لا حلّ بين المؤمن والمشرک ، والآية صرّحت بنفي الحلّ من الجهتين ، قد يستدلّ بهما من قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع .  
ومثله قوله تعالى : (وَلَطَمَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَلَطَمَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) <sup>(٥)</sup> أى ذهابكم ، وهذه رخصة للسلمين .

(٢) سورة المائدة ٩٦

(٤) الكشاف : ٤١٣

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة المائدة ١٠

(٥) سورة المائدة •

## الْبَيْمُ الْمُخْتَصِمُ بِالْحُجَّةِ

وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية ، تقطع المماندة فيه . والسبب من  
ابن للمنز في بديده ، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن ، وهو من أساليبه .  
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ <sup>(١)</sup> ثم قال النجاة :  
إن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ، وخالفهم ابن الحاجب وقال : المتنع الأول لأجل  
الثاني ؛ فالتعدد منتف لأجل امتناع الفساد .

وقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup>  
وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> إلى قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا  
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ المعنى أن  
الأهون أدخل في الإمكان من غيره ؛ وقد أمكن هو ، فالإعادة أدخل في الإمكان من  
بده الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ مَا آمَنَدَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ  
بِمَا خَلَقَ . . . ﴾ <sup>(٧)</sup> الآية ، وهذه حجة عقلية ، تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدت  
كل منهما بخلقته ، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر ، ويؤدي إلى تناهي

(٢) سورة يس ٧٩ ، ٨١

(٤) سورة الروم ٢٨

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنعام ٣٠ ، ٢٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

مقدوراتها<sup>(١)</sup>؛ وذلك يبطل الإلهية ، فوجب أن يكون الإله واحدا ثم زاد في الحجج  
 قال : ﴿ وَلَمَّا بَعَثْنَاهُمْ عَلَىٰ بَعْضِهَا ۖ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى ولقلب بعضهم بعضا في المراد ، ولو أراد  
 أحدهما إحياء جسم والآخر إمامته لم يصح<sup>(٣)</sup> ارتفاع مرادها ؛ لأن رفع النقيضين  
 محال ، ولا وقوعهما للتضاد ، فنفي وقوع أحدهما دون الآخر ؛ وهو المألوف وهذه  
 تسعى دلالة التامع ، وهى كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ نُنَاجِيهِ لَا يَبْقَا إِلَىٰ  
 ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾<sup>(٥)</sup> .  
 وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ تَخَلَّفُونَهُ أَمْ نَحْنُ أَتَخْلِفُونَهُ ۚ ﴾<sup>(٦)</sup> فبين أننا  
 لم نخلق للمنى لتذره علينا ، فوجب أن يكون الخالق غيرنا .

\*\*\*

ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمات ، وذلك من أول سورة الحج  
 إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۖ ﴾<sup>(٧)</sup> ، فنطق على خمس نتائج من عشر  
 مقدمات ؛ فالتدمات من أول السورة : ﴿ وَأَنْبَتَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ ﴾<sup>(٨)</sup> ،  
 والنتائج من قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ۖ ﴾<sup>(٩)</sup> إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَنْ  
 فِي الْقُبُورِ ۖ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وتفصيل ترتيب للتدمات والنتائج أن يقول : أخبر الله أن زلزلة الساعة شئ عظيم ،  
 وخبره هو الحق ، ومن أخبر عن النيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق ، وأنه يأتي بالساعة

- (٢) سورة المؤمنون ٩١  
 (٤) سورة الإسراء ٤٧  
 (٦) سورة الرافعة ٥٨ ، ٥٩  
 (٨) سورة الحج ٥

- (١) ت : « مقدوراتها » .  
 (٣) ت : « دفع » .  
 (٥) سورة الأفعال ٢٣  
 (٧) سورة الحج ٧  
 (٩) سورة الحج ٦

على تلك الصفات ولا يُعلم صدقُ الغيبر إلا بإحياء اللوتى ، ليدركوا ذلك ، ومنْ يأتي بالساعة يحى اللوتى ؛ فهو يحيى اللوتى . وأخير أنه يجعل الناس من هول الساعة سُكَّارى لشدة العذاب ، ولا يقدر على عموم الناس لشدة المذاب إلا مَنْ هو على كل شيء قدير ؛ فإنه على كل شيء قدير . وأخير أن الساعة يُجازى فيها من يجادل فى الله بغير علم ، ولا بُدَّ من مجازاته ، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية ، ولا تأتى الساعة حتى يبعث مَنْ فى القبور ، فهو يبعث مَنْ فى القبور . والله ينزلُ للاء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من القبور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ <sup>(١)</sup> مقدمتان ونتيجة ، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلal يوجب سوء المذاب ؛ فانتج أن اتباع الهوى يوجب سوء المذاب . وقوله : ﴿ فَلَا أَقْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أى القمر أقل ، وربى فليس بأقل ، فاقمر ليس برُبِّ ، أثبتته بقياس اقترافى جلى من الشكل الثانى ، واحتج بالتمثيل على الخلوث ، والخلووث على الحديث .

## التقسيم

وليس المراد به القسمة العقلية التي يحكم عليها التكلم ؛ لأنها قد تتضمن أشياء مستحيلة كقولهم : الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجسمة أو متفرقة ، أو لافترقة ولا مجسمة ، أو مجسمة ومفترقة مما ، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق ، فإن هذه القسمة صحيحة عقلاً ، لكن بعضها يستحيل وجوده ، وهو استيفاء التكلم أقسام الشيء ؛ بحيث لا يفاد شيئاً وهو آلة المحصر ومطلنة الإحاطة بالشيء ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذُنُّهُ ﴾<sup>(١)</sup> فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما ظالم نفسه ، وإما سابق مبادر إلى الخيرات ، وإما مقصد فيها ، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها . ومثله قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الَّتِيْمَةِ مَا أَصْحَابُ الَّتِيْمَةِ . وَأَصْحَابُ الشَّامَةِ مَا أَصْحَابُ الشَّامَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهذه الآية مماثلة في المعنى لما قبلها ، وأصحاب للشامة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب للتيمة هم المقصدون ، والسابقون هم السابقون بالخيرات .

كذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾<sup>(٣)</sup> الآية ، فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها .

وقوله : ﴿ وَأَلَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله : ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهو في القرآن كثير ، وخصوصاً في سورة براءة . ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآبَرِزَ خَوْفًا وَمَلَمًا ﴾<sup>(٦)</sup> ، وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لها .

(١) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(١) سورة فاطر ٣٢

(٢) سورة مريم ٦٤ ، وعندما : ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

(٣) سورة الرعد ١٢

(٤) سورة التوز ٤٥

وقوله : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ )<sup>(١)</sup> ، فاستوفت أقسام الأوقات ، من طرقي كل يوم  
ووسطه مع اللطافة والمقابلة .

وقوله : ( الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ )<sup>(٢)</sup> ، فلم يترك سبحانه  
قسما من أقسام الهيئات .

ومثله آية يونس : ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا )<sup>(٣)</sup> .  
لكن وقع بين ترتيب الآيتين مفارقة أوجبها للبالغة ، وذلك أن المراد بالذِّكْر  
في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم الاضطجاع ، وإذا زال بعض الضرر قدم المضطجع ،  
وإذا زال كل الضرر قام القاعد ، فدعا لتمام الصحة ، وتكمل القوة .

فإن قلت : هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة ، فلنما تحصل في الكلام  
حسن انساق ، واختلاف الألفاظ مع المماثل ، وقد عدل عنها إلى « أو » التي سقط  
مها ذلك .

قلت : يأتي التضرع على أقسام ، فإن منه ما يتضرع المضرور عند وروده ، ومنه  
ما يقمده ، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئا ، والهداء عنده أولى من التضرع ،  
فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى ، فوجب العدول عن الواو ، نحو الصدق في الخبر ،  
والكلام بالاختلاف ، ويحصل النسق ، والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد ،  
وبالثاني عن أشخاص فقلب الكثرة ، فوجب الإتيان بـ « أو » واجدى بالشخص الذي  
تضرع لأن خبره أشد فهو أشد تضرعا ، فوجب تقديم ذكره ، ثم القاعد ؛ ثم القائم ،  
فحصل حسن الترتيب واختلاف الألفاظ ومما فيها .

(٢) سورة آل عمران ١٩١

(١) سورة الروم ١٧ ، ١٨

(٣) سورة يونس ١٧



وقوله : ﴿يَهَبُ لَنَ إِنْ شَاءَ إِنَّا وَإِهَبْ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا  
وَأُنثَىٰ وَبِمَحَلٍّ مِّنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾<sup>(١)</sup> ، قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها  
الوجود ، لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بهيمة الإناث ، أو بهيمة الذكور ، أو يجمعهما له ،  
أو لا يهب شيئاً . وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور  
فيه ، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي وهبتها جميعاً ، وجاءت<sup>(٢)</sup> كل أقسام المطية بلفظ الهبة ،  
وأفرد معنى الحرمان بالتأخير ، وقال فيه ﴿يُحِلُّ فِيهِ﴾ فبدل عن لفظ الهبة للتفاير بين للماني ،  
كقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُمُونَ . أَلَأَنسُ تَزَعُونَ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ  
حُطَامًا﴾<sup>(٣)</sup> ، فذكر امتداد إيمانه بلفظ الزرع ، ومعنى الحرمان بلفظ الحبل .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق .

أحدها : جبراً لمن ، لأجل استئصال الأيوين لمكانهن .

الثاني : أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ، لا ما يشاء الأيوان ، فإن الأيوين  
لا يريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء ؛ فبدأ بذكر النصف  
الذي يشاء ولا يريد الأيوان غالباً .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يندوهن ؛  
أي هذا النوع الخثير عندكم مقدّم عندى في الذكور .

الرابع : قدّمهن لضعفهن ، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من النعم إلى القرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بمد تنكير ، فغير هص الأنوثة بالتقديم ، وجبر  
هص المتأخر بالترتيب ، فإن التعريف تنويه .

(٢) ت : « وجاء فيه كل أقسام المطية » .

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة الواقعة ٦٣ - ٦٥ .

وهذا أحسن مما ذكره الواحدى أنه عرف الذكور لأجل الفاصلة .  
ولمّا ذكر الصنفين مما قدّم الذكور ، فأعطى لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير . والله أعلم بما أراد .

بقى سؤال آخر ؛ وهو أنه عطف الثانى والرابع بالواو ، والثالث بـ « أو » ولمّله ، لأنّ هبة كلّ من الإناث والذكور قد لا يقترن بها ، فكأنه وهب لهذا الصنف وحده أو مع غيره فلذلك تيفت « أو » . فأمل لطائف القرآن ويدائمه !

ومن هذ التّقسيم أخذ بعض العلماء أن الغنقى لا وجود له ؛ لأنه ليس واحداً من اللذكورين ، ولا حجة فيه ، لأنه مقام امتنان ؛ واللغة بنير الغنقى أحسن وأعظم . أو لأنه باعتبار ما فى نفس الأمر ؛ والغنقى لا يخرج عن أحدها .

---

## التقيد

هى إيقاع الألفاظ للبدّة على سياق واحد؛ وأكثّر ما يؤخذ فى الصفات؛ ومقتضاها ألا يطف بعضها على بعض لاتحاد محلها، ويجريها مجرى الوصف فى الصديق على ماصدق؛ ولذلك يقلّ عطف بعض صفات الله على بعض فى التنزيل، وذلك كقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿أَنطَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْمُزَيَّزُ الْجَبَّارُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإنما عطف قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾<sup>(٤)</sup>؛ لأنها أسماء متضادة للماعى فى موضوعها، فوقع الوم بالمطف عن يستبعد ذلك فى ذات واحدة؛ لأن الشئ الواحد لا يكون ظاهرا باطنا من وجه، وكان المطف فيه أحسن. ولذلك عطف «الناهون» على «الأمرون»، «وأبكارا» على «تبيات» من قوله: ﴿الْقَائِمُونَ الْعَالِمُونَ الْخَامِدُونَ السَّاعُونَ الرَّائِمُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَاجِدَاتٍ تَبِيبَاتٍ وَأَبْسَكَرًا﴾<sup>(٦)</sup>، فجاء المطف لأنه لا يمكن اجتماعها فى محل واحد بخلاف ما قبله.

وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾<sup>(٧)</sup>، إنما عطف

(٢) سورة الحجر ٢٥

(٤) سورة الحديد ٣

(٦) سورة النجم ٥

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة الحجر ٢٣

(٥) سورة التوبة ١١٢

(٧) سورة غافر ٣

فيه بعضا ولم يعطف بعضا ، لأن « غافرا » و « قابلا » يشعران بمحدث المغفرة والقبول ، وهما من صفات الأفعال وقوله في غيره لا في نفسه ، فدخل العطف المفارقة لتنزلهما منزلة المجتئنين ، تنبيها على أنه سبحانه يفعل هذا ويقبل هذا . وأما شديد العقاب فصفة مشبهة ، وهي تشعر بالدوام والاستمرار ؛ فتدل على القوة ، ويشبه ذلك صفات الذات .

وقوله : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، المراد به ذاته ، فترك العطف لاتحاد المعنى .

وقد جاء قليلا في غير الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية ، قال الزمخشري <sup>(٣)</sup> : العطف الأول كقوله : ﴿ تَبَيَّنَاتِ وَأَبْكَارًا ﴾ ، في أنهما جنسان مختلفان ، إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العطف الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : أن الجامعين والجامعات لهذه الصفات <sup>(٤)</sup> أعد لهم مغفرة . انتهى .

وقال بعضهم : الصفات للتعاطف إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه ، كقوله : ﴿ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فإن للوصوف « الله » ، وإما في النوع كقوله : ﴿ تَبَيَّنَاتِ وَأَبْكَارًا ﴾ <sup>(٦)</sup> فإن للوصوف الأزواج ، وقوله : ﴿ آلَا مَرْوَنَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ فإن للوصوف النوع الجامع للصفات للتقدمة . وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ . فإن دل دليل على أن من عطف الصفات اتبع كهذه الآية ، فإن هذه الأعداد لمن جمع الطاعات العشر ، لالمن اغرد بوحدة منها ؛ إذ الإسلام والإيمان كل منهما شرطه في الآخر ، وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي ، ومن كان مسلما مؤمنا فله أجره ، ولكن ليس هذا الأجر العظيم الذي أعد الله في هذه الآية

(١) سورة الأحزاب ٣٥

(١) سورة غافر ٣

(٢) الكشاف : « لهذه الطاعات » .

(٣) الكشاف ٣ : ٤٢٦

(٤) سورة التحريم ٥

(٥) سورة غافر ٣

(٦) سورة التوبة ١١٢

الكريمة، وقرّن به لإعداد المفرة زائدا على المفرة؛ فلخصوص هذه الآية جل الزمخشري ذلك من عطف الصفات، والموصوف واحد؛ فلو لم يكن كذلك واحتدل تقدير موصوف مع كل صفة وعلمه يُحل على التقدير؛ فإن ظاهر المطف التفاضل. ولا يقال: الأصل عدم التقدير؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ . . . ﴾<sup>(١)</sup> الآية، ولو كان من عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان، ولذلك إذا وقف على التفهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات.

---

تم بحون الله وجعل توفيقه الجزء الثالث من كتاب البرهان في علوم القرآن  
للإمام بدر الدين الزركشي

ويليه الجزء الرابع وأوله: مقابلة الجعم بالجمع؛ وهو أحد أساليب القرآن المندرجة تحت  
النوع السادس والأربعين

## فهرس الموضوعات

|    |   |
|----|---|
| ٣  | القسم الحادى عشر (*) : للتفى وإرادة الواحد                            |
| ٦  | القسم الثانى عشر : لإطلاق الجمع وإرادة الواحد                         |
| ٨  | القسم الثالث عشر : لإطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع                   |
| ٨  | القسم الرابع عشر : التكرار على وجه التأكيد                            |
| ١١ | فوائد التكرير   |
| ٢٣ | صنيمهم عند استئقال تكرير اللفظ  |
| ٣٤ | القسم الخامس عشر : الزيادة فى بنية الكلمة                             |
| ٣٦ | القسم السادس عشر : التفسير  |
| ٣٨ | الجملة التفسيرية  |
| ٢٨ | القسم السابع عشر : خروج اللفظ مخرج الغالب                             |
| ٤٠ | القسم الثامن عشر : القسم  |
| ٤٧ | القسم التاسع عشر : إبراز الكلام فى صورة الاستحيل ليدل على بقية الجملة |
| ٤٨ | القسم العاشر : الاستثناء والاستدراك                                   |
| ٥١ | القسم الحادى والعشرون : للبالغة                                       |
| ٥٥ | الاختلاف فى تقدير للبالغة فى الكلام                                   |

(\*) تابع أقسام التركيد ، وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن للتدرجة تحت النوع السامى والأدبى ، وأوله فى الجزء الثانى ص ٢٨٢

|    |  |
|----|--|
| ٥٦ | القسم الثاني والعشرون : الاعتراض         |
| ٦٤ | حكم الاعتراض بين واو المطف وما دخلت عليه |
| ٦٤ | القسم الثالث والعشرون : الاحتباس         |
| ٦٨ | القسم الرابع والعشرون : التذليل          |
| ٧٠ | القسم الخامس والعشرون : التتبع           |
| ٧٠ | القسم السادس والعشرون : الزيادة          |
| ٧٥ | حروف الزيادة                             |
| ٧٥ | زيادة « إن »                             |
| ٧٦ | زيادة « أن »                             |
| ٧٦ | زيادة « ما »                             |
| ٧٨ | زيادة « لا »                             |
| ٨٢ | زيادة « من »                             |
| ٨٣ | زيادة « الباء »                          |
| ٨٥ | زيادة « اللام »                          |
| ٩٠ | القسم السابع والعشرون : الاشتغال         |
| ٩١ | القسم الثامن والعشرون : التعليل          |

## الأسلوب الثاني

### الحذف

|     |   |
|-----|---|
| ١٠٣ | فصل في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور |
| ١٠٤ | فصل في أن الحذف خلاف الأصل                      |

## أوجه الكلام على الحذف

|      |  |
|------|--|
| صفحة |  |
| ١٠٤  | الوجه الأول : في فوائده                              |
| ١٠٤  | الوجه الثاني : في أسبابه                             |
| ١٠٨  | الوجه الثالث : في أدلته                              |
| ١١١  | الوجه الرابع : في شروطه                              |
|      | الوجه الخامس : في أقسامه :                           |
| ١١٧  | ١ - الاقتطاع   |
| ١١٨  | ٢ - الاكتفاء   |
| ١٢٣  | ٣ - الضمير والتثنية                                  |
| ١٢٤  | ٤ - الاستدلال بالفعل لشئيين ، وهو في الحقيقة لأحدهما |
| ١٢٦  | ٥ - أن يقتضى الكلام شيئين وهو في الحقيقة لأحدهما     |
| ١٢٦  | ٦ - أن يذكر شيئين يمود الضمير على أحدهما دون الآخر   |
| ١٢٩  | ٧ - الحذف للتعاطي                                    |
| ١٣٤  | ٨ - الاختزال   |

## حذف الاسم

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١٣٥ | حذف للمبتدأ                         |
| ١٣٩ | حذف الخبر                           |
| ١٤٣ | حذف التامع                          |
| ١٤٦ | حذف المضاف وإقامة للمضاف إليه مقامه |
| ١٥٢ | حذف المضاف إليه                     |
| ١٥٢ | حذف المضاف والمضاف إليه             |
| ١٥٣ | حذف الجار والجارور                  |



|      |  |
|------|--|
| صفحة |  |
| ١٥٤  | حذف للوصوف                                   |
| ١٥٥  | حذف الصفة                                    |
| ١٥٦  | حذف للمطوف                                   |
| ١٥٧  | حذف للمطوف عليه                              |
| ١٥٨  | حذف للبديل منه                               |
| ١٥٨  | حذف الموصول                                  |
| ١٥٩  | حذف المخصوص في باب نم إذا علم من سياق الكلام |
| ١٦٠  | حذف الضمير المنصوب المتصل                    |
| ١٧٠  | حذف المفعول                                  |
| ١٧٩  | حذف الحال                                    |
| ١٨٠  | حذف المتنادى                                 |
| ١٨٠  | حذف الشرط                                    |
| ١٨١  | حذف جواب الشرط                               |
| ١٨٣  | حذف الأجوبة                                  |
| ١٩٢  | حذف جواب القسم                               |
| ١٩٤  | حذف الجملة                                   |
| ١٩٦  | حذف القول                                    |

### حذف الفعل

|     |   |
|-----|---|
| ١٩٨ | الخاص   |
| ١٩٩ | العام   |
| ٢٠٩ | حذف الحرف                                     |
| ٢١٥ | قائمة ، في حذف الجار ثم إصال الفعل إلى الجرور |

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ٢١٦ | فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى |
| ٢٢٠ | الإيجاز                           |

### القول في التقديم والتأخير

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٢٣٣ | الفصل الأول : أسبابه  |
| ٢٣٨ | الفصل الثاني : أنواعه |

### النوع الأول ما قدم والمضى عليه (وهو أقسام)

|     |   |
|-----|---|
| ٢٣٩ | ١ - التقديم بالسبق                          |
| ٢٤٦ | ٢ - بالقات                                  |
| ٢٤٧ | ٣ - بالهزة والسبب                           |
| ٢٤٩ | ٤ - بالمرتبة                                |
| ٢٥١ | ٥ - بالداعية                                |
| ٢٥١ | ٦ - التعميم                                 |
| ٢٥٢ | ٧ - الشرف                                   |
| ٢٦٢ | ٨ - الثقل والكثرة                           |
| ٢٦٢ | ٩ - سبق ما يقتضى تقديمه                     |
| ٢٦٣ | ١٠ - مراعاة اشتقاق اللفظ                    |
| ٢٦٥ | ١١ - الحث عليه خيفة من التهاون به           |
| ٢٦٥ | ١٢ - لتحقيق ما بعده واستغنائه عنه في تصويره |
| ٢٦٦ | ١٣ - الاهتمام عند الخطاب                    |
| ٢٦٧ | ١٤ - للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد           |

صفحة

- ٢٦٨ ١٥ - التنبيه على أن السبب مرتب  
٢٦٨ ١٦ - التنقل  
٢٧٠ ١٧ - الترقى  
٢٧١ ١٨ - مراعاة الأفراد  
٢٧٢ ١٩ - التحذير منه والتنبيه عنه  
٢٧٢ ٢٠ - التخويف  
٢٧٣ ٢١ - التصحيح من شأنه  
٢٧٣ ٢٢ - كونه أدل على القدرة  
٢٧٣ ٢٣ - قصد الترتيب  
٢٧٤ ٢٤ - خفة اللفظ  
٢٧٤ ٢٥ - رعاية القواصل

### النوع الثاني

- ٢٧٥ مما قدم والنية به التأخير

### النوع الثالث

- ٢٨٤ . ما قدم في آية وأخر في أخرى

### أسلوب القلب

- ٢٨٨ قلب الإسناد  
٢٩٢ قلب المعلوم  
٢٩٢ العكس  
٢٩٣ للسعوى  
٢٩٤ مقلوب البعض

|     |           |
|-----|-----------|
| ٢٩٤ | الدرج     |
| ٢٩٦ | الترقي    |
| ٢٩٧ | الاقتصاص  |
| ٢٩٩ | الإلناز   |
| ٣٠٠ | الاستطراد |
| ٣٠١ | الترديد   |

### → التخليب وهو أنواع :

|     |   |        |
|-----|---|--------|
| ٣٠٢ | : تخليب المذكر  | الأول  |
| ٣٠٣ | : تخليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب       | الثاني |
| ٣٠٥ | : تخليب الماقل على غيره                               | الثالث |
| ٣٠٨ | : تخليب المتصف بالشئ على ما لم يتصف به                | الرابع |
| ٣٠٩ | : تخليب الأكثر على الأقل                              | الخامس |
|     | : تخليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس | السادس |
| ٣١٠ | مغمور فيا بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع       |        |
| ٣١١ | : تخليب الموجود على ما لم يوجد                        | السابع |
| ٣١١ | : تخليب الإسلام                                       | الثامن |
| ٣١١ | : تخليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بنير هذا الوجه   | التاسع |
| ٣١٢ | : تخليب الأشهر  | العاشر |

## الالتفات

( وفيه مباحث )

|     |   |
|-----|---|
| ٣١٤ | البحث الأول في حقيقته                                   |
| ٣١٤ | البحث الثاني في أقسامه :                                |
| ٣١٥ | الأول : من التكلم إلى الخطاب                            |
| ٣١٦ | الثاني : من التكلم إلى الغيبة                           |
| ٣١٧ | الثالث : من الخطاب إلى التكلم                           |
| ٣١٨ | الرابع : من الخطاب إلى الغيبة                           |
| ٣١٩ | الخامس : من الغيبة إلى التكلم                           |
| ٣٢٢ | السادس : من الغيبة إلى الخطاب                           |
| ٣٢٥ | السابع : بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله .            |
| ٣٢٥ | البحث الثالث في أسبابه                                  |
| ٣٣١ | البحث الرابع في شرطه                                    |
| ٣٣٣ | البحث الخامس في أنه يقرب من الالتفات قل الكلام إلى غيره |
| ٣٣٨ | التضمين   |
|     | وضع الخبر موضع الطلب                                    |
| ٣٤٧ | في الأمر والنهي   |
| ٣٥٠ | وضع الطلب موضع الخبر                                    |
| ٣٥٣ | وضع النداء موضع التمجيد                                 |
| ٣٥٥ | وضع جمع التثنية موضع الكثرة                             |
| ٣٥٩ | تذكير المؤنث  |
| ٣٦٥ | تأنيث المذكر  |

|     |  |
|-----|--|
| ٣٧٢ | التمييز عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه                      |
| ٣٧٧ | مشاكلة اللفظ للفظ  |
| ٣٧٨ | مشاكلة اللفظ للمعنى  |
| ٣٨٧ | التنصت   |
| ٣٨٨ | الإبدال  |
| ٣٩١ | الحلازة  |
| ٣٩٣ | قواعد فى النفى   |
| ٣٩٥ | نقى الشئ رأسا  |
|     | إخراج الكلام مخرج الشك فى اللفظ دون الحقيقة لضرب من للساعة |
| ٤٠٩ | وحسم المناد  |
| ٤١١ | الإعراض عن صريح الحكم                                      |
| ٤١٢ | الهدم  |
| ٤١٣ | التوسع   |

### التشبيه

#### ( وفيه مباحث )

|     |        |                            |
|-----|--------|----------------------------|
| ٤١٤ | الأول  | : فى تعريفه                |
| ٤١٥ | الثانى | : فى النرض منه             |
| ٤١٥ | الثالث | : فى أنه حقيقة أو مجاز     |
| ٤١٦ | الرابع | : فى أدواته                |
| ٤١٦ | الخامس | : فى أقسامه                |
| ٤٢٣ | السادس | يفتظم قواعد تتعلق بالتشبيه |

صفحة

## الاستعارة

( وفيها مباحث )

|     |         |   |
|-----|---------|---|
| ٤٣٢ | الأول   | : هي « استعمال » من العارية                                       |
| ٤٣٤ | الثاني  | : في أنها قسم من أقسام المجاز                                     |
|     | الثالث  | : لا بد فيها من ثلاثة أصول : مستعار ، ومستعار منه ،<br>ومستعار له |
| ٤٣٥ |         |   |
| ٤٣٨ | الرابع  | : تنقسم إلى مرشحة وتجريدية  |
| ٤٤٠ | الخامس  | : هي فرع التشبيه وأنواعها كأنواعه                                 |
| ٤٤٥ | التورية |   |
| ٤٤٦ |         | الفرق بين التورية والاستخدام                                      |
| ٤٤٨ |         | التجريد   |
| ٤٥٠ |         | التجنيس   |
| ٤٥٥ |         | الطباق  |

## المقابلة

( وفيها مباحث )

|     |         |
|-----|---------|
| ٤٥٨ | حقيقتها |
| ٤٥٨ | أنواعها |

## أقسامها

|     |        |  |
|-----|--------|--|
| ٤٦٠ | أحدها  | : أن يأتي بكل واحد من اللقدمات مع قرينة من التوافي       |
| ٤٦١ | ثانيها | : أن يأتي بجميع التوافي مرتبة من أولها                   |
|     | ثالثها | : أن يأتي بجميع اللقدمات ثم بجميع التوافي مرتبة من آخرها |

|     |   |
|-----|---|
| ٤٦١ | رابعها : أن يأتي بجميع اللقدمات ثم بجميع التوائى مختلفة غير مرتبة |
| ٤٦٢ | مقابلة الشيء بمثله  |
| ٤٦٤ | تقسيم   |
| ٤٦٥ | قائدة ، قد يسمى نظم الكلام على غير صورة المقابلة فى الظاهر        |
| ٤٦٧ | رد المعز على المصدر   |
| ٤٦٧ | المعكس  |
| ٤٦٨ | إلجام العلم بالحجة  |
| ٤٧١ | التقسيم   |
| ٤٧٥ | التحديد   |









